أسست عام 1385 هـ - 1965 م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٩٢) ذو الحجة ١٤٣٥ هـ - أكتوبر ٢٠١٤ م

50 عاماً من العطاء

البَهجَةُ المُطمئِنَّة

‹ عندما يكون الأدب في خدمة الصهيونية

‹ العقيدة.. ودورها في التنمية الاقتصادية

‹ وظائف التأليف في الرقائق

‹ منهج الإقراء في الأندلس

مجانا مع العدد
«براعم الإيمان»

الافتتاحية

حصائد الألسنة

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

الإنسان إنما هو صورة ممثلة، أو ضالة مهملة؛ لولا اللسان. والكلام ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائر، ويخبر بمكنونات السرائر، فحق على العاقل أن يحترز من زلله بالإمساك عنه، أو بالإقلال منه. والله رفع درجة اللسان على سائر الجوارح، فليس منها شيء أعظم أجرا منه إذا أطاع، ولا أعظم ذنبا منه إذا جنى، ومن حفظ لسانه أراح نفسه، وللكلام آداب، إن أغفلها المتكلم أذهب رونق كلامه، وطمس بهجة بيانه، فمن آدابه: ألا يتجاوز في مدح، ولا يسرف في ذم، وأن يتجافى هجر القول، ومستقبح الكلام، وقرنه بالتلطف واللين، لقوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾.

تصدى رجل للرشيد فقال: إني أريد أن أغلظ عليك في المقال، فهل أنت محتمل؟ قال: لا؛ لأن الله تعالى أرسل من هو خير منك إلى من كان شرا مني، وأمره باللين، فقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه:٤٤).

وواجب من يعظ أن لا يعنف، ومن يوعظ أن لا يأنف، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة:٨٣)، وجعل الإحسان لسائر الناس بالقول، لأنه القدر الذي يمكن معاملة جميع الناس به، على أن الله أمر بالإحسان الفعلي، حيث يتعين ويدخل تحت قدرة المأمور، وأمر بالإحسان القولي إذا تعذر الفعلي، على حد قول الشاعر:

«فليسعد النطق إن لم تسعد الحال»

وضبط اللسان وحبسه هو أصل الخير كله.. وإن من ملك لسانه فقد ملك أمره وأحكمه وضبطه، وصدق رسول الله ﷺ «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟.. كف عليك هذا»، «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».

فإن معصية النطق يدخل فيها الشرك، وهو أعظم الذنوب عند الله، ويدخل فيها القول على الله بغير علم، وهو قرين الشرك، وشهادة الزور، والقذف والكذب والنميمة والغيبة، لقوله ﷺ «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها؛ يزل في النار...»، فاللسان هو المورد للمرء موارد العطب، والصمت يكسب المحبة والوقار..

تعاهد لسانك إن اللسان — سريع إلى المرء في قتله
وهذا اللسان بريد الفؤاد — يدل الرجال على عقله

واللسان معيار أطاشه الجهل، وأرجحه العقل، وينبغي للعاقل أن يستميل قلوب الناس إليه بالمزاح، وترك التعبس، والمزاح منه ما يكره ويباح، ومنه المحمود الذي لا يكون بإثم ولا قطيعة رحم، ومنه المذموم الذي يثير العداوة ويذهب البهاء، والمزاح: المباسطة إلى الغير، على جهة التلطف والاستعطاف، دون أذية، والإكثار منه والخروج عن الحد مخل بالمروءة والوقار..

إنما السالم من ألـ — ـجم فاه بلجام
ربما يستفتح المـ — ـز ح مغاليق الحمام

فالعاقل من حفظ لسانه، وكان كلامه لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضر. واللسان فيه خصال يجب على العاقل أن يعرفها، ويضع كل خصلة منها في موضعها، أداة يظهر بها البيان، وناطق يرد به الجواب، وحاكم يفصل به الخطاب، وحاصد تذهب به الضغينة، ونازع يجذب المودة وغيرها من الخصال.

فرحم الله من قال خيرا فغنم، أو سكت فسلم.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٩٢ | ذو الحجة ١٤٣٥ هـ
العام الواحد والخمسون
اكتوبر ٢٠١٤ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي – ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية–٤٣ شارع دجلة – متفرع من شارع جامعة الدول العربية – المهندسين – الدور الأول – مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد

السعادة، هي كمال البهجة، لا تدرك إلا بمعرفة الله، وعبادته، والقيام بأمره، واجتناب نهيه، ولا يكون الإنسان مبتهجا تمام البهجة، راضيا تمام الرضا إلا بهذا، وما عدا هذا فهو منغص على الروح بهجتها وأنسها.

٤٠

انتصار المقاومة الريفية وآثاره على المجتمع الإسباني

٦٢

في حب الآباء للبنات

٧٤

قضايا المرأة في الصحافة الإسلامية

٨٢

العقيدة.. ودورها في التنمية الاقتصادية

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦- ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

- مصر – القاهرة – شارع الصحافة – جريدة أخبار اليوم. – ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- اليمن – صنعاء – الدار العربية للنشر والتوزيع ت – ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان – شركة نعنوع الصحفية – ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا – دمشق – برامكة – ص.ب ١٢٠٣٥ – ت: ٢١٢٤٨٣١ (٠٠٩٦٣ ١١) ف: ٢١٢٨٦٦٤ – المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن – عمان – شركة وكالة التوزيع الأردنية – ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ – ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- المغرب – الدار البيضاء – ص.ب ١٣٦٨٣ – ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس – ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ – الشركة الشريفية
- مملكة البحرين – المنامة – ص.ب ٣٢٦٢ – ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ – مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة – ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ – شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية – الرياض – ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ – ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ – الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان – مسقط – ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ – ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ – مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر – الدوحة – ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا– شركة – المصطفى ميديا جروب سندرين برحد – ت– ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر – شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٣)
- تونس – الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة – لندن – شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار
●الكويت : ٥٠٠ فلس ●السعودية: ٥ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٥ ريالات ● الإمارات : ٥ درهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن:دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ●اليمن : ١٠٠ ريال ●لبنان: ٢٠٠٠ ليرة ● سوريا: ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● الجزائر: ٤ دينار جزائري ●تونس: دينار واحد تونسي ● المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني ● باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

المحتويات

٣	**الافتتاحية**/ حصائد الألسنة	فيصل يوسف العلي
٦	**مناسبات**/ بحثا عن ولادة جديدة	محمد مصطفى ناصيف
٩	الإعلام في عرفات	د. محمد البنداري
١٢	البيت الحرام وأثره في الاقتصاد العالمي	د. مجدي حسن
١٤	الحج رحلة حنين	محمد عبدالحميد توفيق
١٦	**حوار**/ د. أحمد معبد: سخرني الله لتكوين مدرسة حديثية دقيقة	إسلام لطفي
٢٠	**تفسير**/ التفسير والحديث.. وبداية الانفصال	عبدالعزيز فارح
٢٣	**تاريخ** / تأريخ موسم الحج في بيت المقدس	التحرير
٢٤	**ملف العدد**/ لنفرح ولنتعبد	السنوسي محمد
٢٦	البهجة المطمئنة	د. هبة رءوف عزت
٢٨	غذاء الأرواح بالمزاح	التحرير
٣٠	اللهو المباح في العصر الحديث	التحرير
٣٢	أسباب السعادة في سورة الانشقاق	خديجة أحمد
٣٦	**دراسات**/ محنة القضاة: الخوارزمي نموذجا	د. محمود محمد خلف
٤٠	انتصار المقاومة الريفية وآثاره على المجتمع الإسباني	أحمد لحميمي
٤٤	منهج الإقراء في الأندلس	د. مراد زهوي
٥٠	وظائف التأليف في الرقائق	د. خالد فهمي
٥٤	**لغة وأدب**/ القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٢٥)	عبدالله أيت الأعشير
٥٦	من أوابد عرب الجاهلية وأكاذيبهم	محيي الدين الظاهر
٥٨	قصة البناء والإعراب	محمود الأسمائي
٦٠	أنشودة المساء	مياسة النخلاني
٦٢	في حب الآباء للبنات	د. يوسف الحزيمري
٦٤	عندما يكون الأدب في خدمة الصهيونية	المنشاوي الورداني
٦٧	**تحقيق**/ زكاة الفكر	عبدالله الشريف
٧٠	**أسرة**/ الطفل والولع بالصور المتحركة	د. إبراهيم نويري
٧٢	واجبات الأم التربوية	إحسان الدبش
٧٤	قضايا المرأة في الصحافة الإسلامية	سعاد بعوش
٧٧	مقتطفات من الإنصاف	التحرير
٧٨	كيف أنمي الحس الجمالي لدى الأطفال	د. آندي حجازي
٨١	**قضايا**/ صلة الأرحام واجب لا يقتصر على الأعياد	حسن بن محمد
٨٢	**اقتصاد**/ العقيدة.. ودورها في التنمية الاقتصادية	أحمد العبادي
٨٥	**تراث**/ المخطوطات القرآنية النادرة في المكتبات المغربية	ياسين محمد كتاني
٨٨	**قرآن**/ العطاء في القرآن	د. محمد سعيد باه
٩٠	**فتاوى الوعي**	د. محمود الكبش
٩٢	**بريد القراء**	علاء عبدالفتاح
٩٤	**ينابيع المعرفة**	تركي النصر
٩٦	**مسك الختام**/ العمران البشري	د. خالد راتب

كلمة العدد

الابتهاج

إن الإنسان في هذه الحياة قد يكون مجبولا على فعل ما هو خير وحق ومحمود في نفسه، مثل أن يحب الإحسان إلى ذوي الحاجات، والعفو عن الزلات، ويحب الصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصلة الرحم.. وغيرها من الصفات الحسنة.

قد يحب هذه الأوصاف وإن لم يكن مسلما؛ لأن النفوس السوية تبتهج بالخير وتميل إليه، وتكره الشر وتنفر منه، هذه حال أكثر النفوس. على أن النفس إن كانت مسلمة؛ فإنها تزيد على الجبلة والطبيعة في فعل هذه المستحسنات طاعة الله وابتغاء الأجر، وإن لم تكن مسلمة فإن صاحبها يقبل على هذه الأمور وهو لا يتقرب بها إلى أحد من الخلق، ولا يطلب مدح أحد ولا خوفا من ذمه، بل لأنها من أسباب تنعم الحي وتلذذه بفعلها، فيجد بها فرحا وسرورا، كما يلتذ بمجرد سماع الأصوات الحسنة، أو شم الرائحة الطيبة.. هذه هي البهجة. قال أبو داود للإمام أحمد ابن حنبل: «جمعت هذا العلم لله؟ فقال: لله عزيز، ولكن حبب إلي أمر ففعلته».

إن السعادة، التي هي كمال البهجة، لا تدرك إلا بمعرفة الله، وعبادته، والقيام بأمره، واجتناب نهيه، ولا يكون الإنسان مبتهجا تمام البهجة، راضيا تمام الرضا إلا بهذا، وما عدا هذا فهو منغص على الروح بهجتها وأنسها.

فالهوى أكبر أدواء النفس البشرية، ومخالفته أعظم أدويتها. ولأن النفس تجهل وتظلم، فهي تتسبب في تلف ذاتها وعطبها، وتتعاطى داءها في موضع دوائها، فيتولد لها من ذلك أنواع من الأسقام والعلل؛ تحول بينها وبين سعادة الروح وبهجة النفس وسمو الإدراك وقمة العطاء، وإذا وصل العليل إلى هذه الحال، فلا مطمع في شفائه إلا برجوعه إلى ربه، واطراحه بين يديه؛ محبة لله، وإجلالا له، وخوفا منه، ورجاء فيه، فبذلك يحصل له من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه آلام الكروب والهموم والغموم.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

بحثا عن ولادة جديدة

محمد مصطفى ناصيف
باحث في مشروع تعظيم البلد الحرام

نسمات رقيقة ترفرف حول قلوب المسلمين، مضاءة بظلل إيمانية تغمر قلوب من استجابوا لنداء الله تأدية لمناسك الحج المفروض لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران:٩٧)، في اجتماع إيماني فريد، يجلببهم رداء ناصع واحد، تلهج ألسنتهم بنداء واحد، يقفون على مكان واحد، يلبون ربا أحدا واحدا.

فالحج: رحلة إيمانية، قوامها الاستطاعة، جسدية ومالية، وزادها التقوى بأن يبدأ الحج طاهرا، ظاهرا وباطنا، ثم يستمر على ذلك؛ لأنها الرحلة الوحيدة التي تحمل إلى

صاحبها روح الجنة، ويستروح في حياته بنسيمها ومباهجها.

الحج: هو خامس الأركان في الإسلام، وآخر ما فرض الله من الشعائر والعبادات التي رسم حدودها ومعالمها، وفي أدائه يتضمن كل الأركان الأخرى، ففيه مضمون الشهادة السابقة من طاعة الله ورسوله، ومنه جوهر الصلاة من حيث الصلة الروحية بالله، وفيه معنى الزكاة من حيث التضحية بالمال، وفيه من أهداف الصوم من حيث منع النفس من مزاولة أشياء معينة في أثناء الحج.

الحج: يبدأ بالميقات الذي هو المكان المحدد للإحرام، والإحرام يتمثل بنية الحج.

الحج: رحلة كريمة، ينتقل فيها المسلم ببدنه وقلبه إلى المكرمة «مكة»، البلد الأمين، الذي أقسم الله به في كتابه.

الحج: غذاء روحي عظيم تمتلئ به جوانح المسلم خشية وتقى لله عزوجل، وعزما على طاعته، وندما على معصيته، فتنمو فيه عاطفة الحب لله ورسوله ولمن نصروه وعزروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، لتوقظ فيها مشاعر الأخوة لأبناء دينه في كل مكان.

الحج: تدريب على ركوب المشقات، ومفارقة الأهل والوطن، والتضحية بالراحة والدعة في الحياة الرتيبة بين الأهل والأصحاب.

الحج: ابتلاء للنفوس بالطاعة في التوجه إلى البيت الموضوع ببكة، ليميز الطائعين من العاصين، وليتشبهوا بالطواف حوله بالطائفين بالبيت المعمور من ملائكة رب العالمين في ملكوت السماوات ارتقاء، ثم لقطع دابر أهل الفساد في الأرض.

الحج: تدريب للمسلم على المبادئ الإنسانية العليا التي جاء بها الإسلام، ففي وحدة مظهر الحجاج في إحرامهم معنى المساواة في أحلى وأتم صورها ومظهرها.

الحج: اجتماع روحي تلتقي فيه الأرواح قبل الأجساد عند غاية واحدة، والعمل لهدف واحد وهو رضا الله لتحقيق حكمته في خلقه.

الحج: تصحيح المسار إلى الله المتفضل على هذه الأمة الإسلامية أن جعل لها نوافذ لتطهير النفوس وتزكيتها، حتى تنال رضاه سبحانه، ويجعل الحج المبرور من أوسع هذه النوافذ.

الحج: أحاسيس ومشاعر تفرزها الروح مع صلة وثيقة مرتبطة بالمكان، حيث المناسك التي حدد معالمها هادي البشرية ﷺ بوقفة الضراعة الذليلة، أمام الصمدية العزيزة.

الحج: مظهر من مظاهر السلام، فأرض الحج هي البلد الحرام، قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ (آل عمران:٩٧)، فمنطقة الحج منطقة أمان، شملت الطير في الجو، والصيد في البر، والنبات على الأرض، إنها منطقة لا يصاد صيدها، ولا يروع طيرها ولا حيوانها، ولا يقطع شجرها ولا حشائشها.

الحج: ترى فيه معنى الوحدة الإسلامية المطلوبة جليا واضحا، حيث شعور المسلمين فيه واحد، وشعائرهم واحدة، لا إقليمية، ولا عنصرية، ولا عصبية للون أو جنس أو طبقة، جميعهم يلبون ربا واحدا.

الحج: عبادة جماعية ميزت ديننا ونبينا، حيث لم يشرع لمجرد طواف المسلم منفردا حول بيت الله، ومشاهدة المقدسات فقط، بل ليكون السبيل لجمع المتفرق، ولم المتشتت، وتقابل الآراء؛ ليعود المجتمعون وقد حملوا مسؤولياتهم المشتركة، وأخذ كل منهم نصيبه منها، يعمل مع إخوانه المسلمين على تحقيقها والقيام بواجبها، ليتكون بعدها من جميعهم أمة أعلى الله شأنها ورفع ذكرها، باختيار الله لهذا الاجتماع الإيماني، ولتلك الرحلة الربانية الكريمة، وأماكن الذكريات ومهابط الرحمة الإيمانية لرسم طريق وحدة أمتنا، وتوحدها بعبودية واحدة ترتفع عن الزمان والمكان والأشخاص، متصلا حاضرها ومستقبلها بماضيها المضيء، ويصبغ كتلتها الموحدة بصبغة الوحدة، يتذكر فيها ضيوف الرحمن صفحة التبليغ الإلهي الذي قام به سيدنا علي رضي الله عنه مأمورا بأمر الرسول العظيم على رأس الحجيج المسلمين لأول مرة في العام التاسع بعد الفتح الكبير، ذلكم التبليغ الذي أعلنت به كلمة الإسلام النهائية في علاقة المشركين والبلد الحرام، وسجلته سورة التوبة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ (التوبة:٢٨)، وثيقة يجب على المسلمين في جميع العصور والأمكنة تعهدها والقيام بأحكامها مهما اختلفت بهم الأجناس والأقطار واللغات.

ويصبح شعارهم الدائم، وكلمتهم الصاعدة هذا الدعاء الإلهي الذي يعبرون به عن وضعهم أمام الله، وشعورهم بعظمته ونعمته وملكه وسلطانه.

«لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك»، حيث يصحبهم شعار الحج هذا في جميع مراحله، إذ يستحب لهم أن يرفعوا بالتلبية صوتهم، وكأنه استجابة للنداء الإلهي الأزلي الذي أذن به إبراهيم عليه السلام، لأن التلبية في حقيقتها هي النزوع بالنفس من عامل الظلم والطغيان إلى عامل العدل والإحسان، يسجل بها المؤمن على نفسه في جميع أوقاته معاني الخضوع والاستجابة لنداء مولاه، والاعتراف بوحدانيته، وأحديته في الملك والسلطان، والفضل والإنعام، والتدبير والتصرف، ويقر بأنه الواقف ببابه، الملبي لأوامره، المسارع لإجابته، المقسم على عهده ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنعام:١٦٢).

وبهذا يرجع من شذ عن غفلة إلى دين

الله، فلا يعبد سواه، ولا يلبي غيره، تنطلق بها الحناجر وأصوات الملايين المؤمنة فتصل ما بينهم وبين السماء، وهذه التلبية «شعار الإيمان» جعلت عنوانا خاصا بالحج؛ لتفرده بمزايا لا توجد في غيره، كما ستظل الشعار الدائم للحج والإيمان رغم أنف فلول المنافقين والمرجفين.

الحج: محاولة فك أغلال غليظة قيدت الروح والجسد وحرمتهما من الانطلاق. وإذا كانت مناسك الحج وأفعاله فيما يعرفه العامة من الناس من إحرام وتجرد من المخيط، وطواف، وسعي، ووقوف بعرفة، ومبيت بمنى والمزدلفة، وذبح الهدي، في حقيقتها صور معان كامنة في صورتها وشكلها لمعنى الحج، إلا أن لها أبعادا وخلفيات روحانية تخالط الروح وتجعلها منيرة مضاءة، إنها خروج هذا العقل، إحدى المعجزات الإلهية في الإنسان، عن حدود المادة، وأن يسكب ضياء الإيمان على هذه الروح فيوقظها على عامل آخر لا يصل إليه العقل، وهو تلك النية الصادقة، مقصد الحج لما يريده الله سبحانه وتعالى.

فالإحرام والتجرد من المخيط والثياب التي يزهو بها الناس ويختالون، والاقتصار على إزار ورداء لا فخر فيهما لأحد على أحد، وليس خلع المخيط ولبس الثياب البيضاء فقط، بل لبس البياض من هذه الثياب؛ ليمازج معها بياض القلوب والألباب مع التجرد من شهوات النفس والهوى وحبسها عما سوى الله، وكذلك التجرد من الطبقية للتوحد والمساواة.

والكعبة المشرفة، وهي أول بيت أقيم في الأرض لعبادة الله تعالى، ليست ذلك البناء الذي يمكن بناؤه، وأستارها السوداء ليست نسيجا مطرزا بخيوط الذهب ينتجها مصنع كسوة الكعبة المشرفة في المكرمة مكة، وتزينها أيدي عمال التزيين المختصين، بل هي بيت الله العظيم، حفرت معانيها في الذاكرة، ووشمت على القلب، تستريح تحت الأهداب، فمنها ترتقي الروح إلى بارئها لتغيب في عظمته وجلاله، مستجيبة لأوامره، منتهية عن نواهيه، فلا يكاد يصل ضيف الرحمن إلى الكعبة المشرفة حتى يرسم بجسده حدودا بين مرحلتين، فقد جلب أوزاره معه ليتركها بجوار الباب مع حذائه، وليطوي صفحة الأمس مستشعرا أن ملخص حياته هو تلك الخطوات، وكيف يجب أن تكون في ضوء منهج عقدي ارتضاه الله ورسوله.

والطواف حول الكعبة المشرفة ليس ترديد كلمات خالية من الحس والشعور، كما أنه لا يعني هذه الحركة الجسمانية التي يزاحم بها الحاج أخاه، لكنه يعني التفاف القلوب ودورانها حول قدسية الله بكلمات وأدعية علمنا إياها معلم الإنسانية الخير ﷺ، تبثها من أعماق روحك، تظهر فيها خضوعك، راجيا فيها حاجتك من خالقك الذي لا يستطيع قضاءها سواه سبحانه، وألا تجعل بينك وبينه حاجزا وفاصلا، فهو وحده القريب السميع المجيب.

والسعي بين الصفا والمروة، لا يعني مجرد الهرولة بين الميلين الأخضرين، وقطع هذه المسافة ماشيا، وإنما التردد بين علمي الرحمة استمطارا لها، والتماسا للمغفرة والرضوان.

والسعي تأكيد وتوكيد بأن الله تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد، وأن الإنسان عليه قبل أن يرجو عونه - تبارك وتعالى - أن يتأكد من صحة مسعاه ويؤكده مرة أخرى؛ ليصيب مسعاه بعون الله مما هو في حاجة إليه.

والوقوف بعرفة لا يعني مجرد الإقامة عشية ونهارا وسط هذا الوادي اللافحة شمسه، إنما يعني بذل المهج في الضراعة بقلوب مملوءة بالخشية، وأيد مرفوعة بالرجاء، وألسنة لاهجة مشغولة بالدعاء، وآمال صادقة في أرحم الراحمين.

ورمي الجمرات، ليس إلا رمزا يعبر عن مقت البشر واحتقار نزعات الأنفس الأمارة بالسوء، وطرد وساوس الشيطان الرجيم، وهو رمز مادي يصور صدق عزيمته في طرد الهوى المفسد للأفراد والجماعات بعدما أصبحنا في عصر يرجم فيه الأشقياء طهارة الأتقياء.

وذبح الهدي هو الخاتمة في درج الترقي إلى مكانة الطهر والصفاء، لأنه في حقيقته إراقة لدم الرذيلة بيد اشتد ساعدها في بناء الفضيلة، وبقلب امتلأ إيمانا بالتضحية على مشهد من جند الله الأبرار الأطهار.

فهل استقر في قلوبنا بعض هذه الدروس والعبر في هذا المؤتمر الإسلامي السنوي، الذي تجتمع فيه القلوب قبل الأجساد؟

اللهم، هاهم ضيوفك بين يديك، وفدوا إليك، شعثا غبرا، وقد وقفوا وقوف الراجين، ونفروا نفور المؤملين، وباتوا مبيت الخاشعين، وضحوا تضحية تحلل المبتهجين، وطافوا طواف المودعين، فتقبل منهم ربنا، فأنت أكرم من أن ترفض دعاءهم وتضرعهم، فأنت وحدك الغفور البر الرحيم، وحقق لهم ما جاءوا من أجله، لأنها مرحلة غادروها مودعين، ليبدأوا مرحلة أخرى وفتح صفحة جديدة بعدما وضحت لهم معالم الطريق، يضيئون بهذه الشواهد ظلمات حياتهم وما رسب منها في الزوايا، وما تراكم على الجدران يمحوه قولك الكريم:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣).

هذا، وما أبعد الذين ينسلخون عن شعائر الإيمان، فلبيك اللهم لبيك، نملأ بها نفوسنا، ونقوم بها أعمالنا، ونسمعها العالم أجمع. ويبقى الحج رمزا خالدا لاتحاد المسلمين، فقوام الإسلام كلمة التوحيد، ووحدة الكلمة وتوحيدها.

الإعلام في عرفات
بين الواقع والمأمول

د. محمد مبارك البنداري
أستاذ مساعد في جامعة أم القرى بمكة المكرمة

حينما نتحدث عن الإعلام في المجتمع الإسلامي وفي يوم عرفة خاصة؛ فإننا نقرر حقيقة لا مراء فيها، وهي أن الإعلام ليس إضافة مستحدثة أو ضرورة تقتضيها ظروف العصر أو طبيعة التطور ليتزود بها المجتمع الإسلامي، بل هو جزء من الدعوة الإسلامية وسمة ظاهرة من سمات المجتمع الإسلامي، فالمجتمع الإسلامي هو مجتمع الاتصال الدائم، والوحدة الكاملة، والفكر الواحد والشعور الواحد والنظرة الواحدة إلى الأمور من منطلق العقيدة.

فالمجتمع الإسلامي يتميز بوجود الدعوة المتجددة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، والسعي إلى تحقيق ما ينفع الناس.

والإعلام في المجتمع الإسلامي يتميز بخصيصة فريدة، ذلك أنه إعلام متداخل متكامل؛ لأنه ينبع من منطلق العقيدة الإسلامية، ويتخلل حياة المجتمع بكل تفاصيلها ودقائقها، فهو أشبه ما يكون بخيوط النسيج المتداخل والمنتظم في حياة المجتمع الإسلامي.

إن الإسلام أرسى وحقق أنجح وأكمل وفعّل وسائل الاتصال بين أفراد المجتمع الإسلامي، في حين كانت كثير من الأمم تتخبط في ظلمات الجهل والخرافة والشائعات والعزلة الاجتماعية بين الأفراد والجماعات.

وبدأ الإعلام مع الدعوة الإسلامية، وظهر واضحا بهذا الأسلوب الإعلامي البسيط – آنذاك – حينما خرج الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ إلى الكعبة معلنين إسلامهم.

وكان الصحابة – رضوان الله عليهم – يستخدمون أدوات الإعلام المتاحة آنذاك، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يريد أن يُعلن إسلامه فيسأل عن الرجل الذي ينقل الخبر سريعا فقيل له جميل وهو معروف في مكة، فيأتيه ويقول له: أخبرك خبرا، لا تذعه، إني أسلمت، فصرخ في القوم: يا قوم، إن ابن الخطاب قد صبأ...

وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه يجهر بالقرآن عند الكعبة ليسمع الكفار – وكان أول من فعل ذلك –، فيلطمه أبو جهل...

والحوادث التي تدلل على الإعلام الإسلامي من قبل الصحابة كثيرة، وقد استخدموا فيها الوسائل المتاحة آنذاك.

الشعر آلة الإعلام

الشعر هو الكلام الموزون المقفى قصدا، والعرب اشتهروا بالفصاحة والبيان، وامتدحهم القرآن بذلك بقوله: ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ (المنافقون: ٤)، فجعلوا من الشعر بضاعة لهم، وآلة إعلامية تخلّد آثارهم، وتمجّد أسيادهم، وتتحدث عن أيامهم وحروبهم.... فعقدوا الأسواق التي يتناشدون فيها الشعر، وعلقوا أجمل قصائدهم على الكعبة، وعقدوا الأفراح لبروز الشاعر منهم؛ لأنه آلة الإعلام للقبيلة قد يرفعها أو يخفضها ببيت من الشعر...

فهذه امرأة تريد أن تزوج بناتها فتستقبل الأعشى (ميمون قيس) الشاعر المعروف، وتذبح له ناقة، وتشتري له زقا من الخمر فيمدحهم، فيسارع سادة العرب لخطبتهم...

والحطيئة (جرول الشاعر) المعروف يمدح قبيلة أنف الناقة، فيفخرون بهذا اللقب بعدما كانوا لا يحبونه، وذلك أنه أنشد:

قوم هم الأنوف والأذناب غيرهم

ومن يسوّي بأنف الناقة الذنبا

وسجلوا حروبهم في شعرهم، وهو ما عرف بأيام العرب، وكانوا دائمي الإنشاد لهذا الشعر.

ولما جاء الإسلام استعان بآلة الإعلام هذه، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وهجا أبو سفيان و ضرار بن الخطاب وعبد الله بن الزبعري – قبل أن يسلموا – النبي ﷺ تصدى لهم إعلام المسلمين من شعراء النبي ﷺ: حسان ابن ثابت، عبد الله بن رواحة، كعب بن مالك... وردوا عليهم، وعقد النبي ﷺ لحسان منبرا في مسجده، وقال له: اهجهم وروح القدس معك...

وحينما كانوا يعقدون مسابقات إعلامية (أي: شعرية) كان حسان يرد عليهم، فلما قدم وفد بني تميم وقالوا للنبي ﷺ: ائذن لشاعرنا وخطيبنا فأذن لهم... ثم أرسل لحسان رضي الله عنه فجاء وهو ينشد عينيته المشهورة:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم

قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها من كانت سريرته

تقوى الإله والأمر الذي شرعوا

وهكذا أدى شعراء المسلمين دورهم الإعلامي في ظل الدولة الإسلامية الوليدة.

عند أداء مناسك الحج

لا ينبغي أن ننظر إلى الإعلام عند العرب على أنه مستحدث – خاصة عند أداء مناسك الحج – نعم، أصبح الإعلام في يوم عرفة يعنى بالأساليب الدعوية، وحياة المجتمع الإسلامي، ووظفه في موضعه الحقيقي، وبين وظيفته الشاملة في المجتمع الإسلامي.

لقد كانت الأسواق التي تعقد في الجاهلية على مقربة من مكة عقب موسم الحج مركزا إعلاميا للعرب كعكاظ (افتتح هذا العام في الطائف) ومجنة وذي المجاز... والعرب كانت تسعى إلى هذه الأسواق من كل حدب وصوب؛ ليشهدوا منافع لهم ويتناشدوا الأشعار ويذيعوا الخطب، ويتحاكموا في خصوماتهم، ويتفادوا الأسرى، ويعقدوا الصلح، أو يتفاخروا بالأحساب والمحامد والأمجاد.

فقد كان موسم الحج مكانا لنشر شعرهم في تجمعات العرب المختلفة عند البيت، بلغة يعرفها الجميع، وكانوا يضربون خيمة للحكم الذي يحكم بين الشعراء، فقد ورد أنهم ضربوا قبة من أدم (جلد) للنابغة الذبياني ليحكم على الشعراء، فأنشده حسان، والخنساء... ففضل عليه الخنساء (تماضر السلمية) فاعترض أمام الجميع وقال: أنا أشعر منك ومنها، فقال له، وماذا تقول، قال:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى

وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق

فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فقال له: قلت: «الجفنات» فقللت، ولو قلت الجفان كان أفضل، وقلت: «يقطرن» دما ولو قلت يجرين لكان أفضل، وقلت: «فأكرم بنا خالا»... والعرب تفخر بمن ولدت من الولد...

هذه القصة تدل على أهمية الإعلام في موسم الحج في الجاهلية عن طريق الشعر، الأداة المعروفة آنذاك، ولماذا الشعر هو أداة الإعلام؟

لسهولة حفظه لأنه موزون مقفى، والطرب عند إنشاده أو سماعه لما فيه من موسيقى.

واستمر الوضع هكذا حتى مجيء الإسلام وتغيير النسك والمشاعر التي ابتدعها الجاهليون في الحج، وألغاها في حجة النبي ﷺ اليتيمة.

وسائله قديما

لما حج النبي ﷺ خطب في عرفات، وعرفت هذه الخطبة بخطبة الوداع، وقد أرسى فيها معالم الحريات، وحقوق الإنسان بقوله ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا....» وقد كان خلف النبي ﷺ رجل يرفع صوته في الناس مبلغا الحجيج، لأن عددهم حوالي ١٠ آلاف حاج، وهذه هي وسيلة التغطية الإعلامية المتاحة آنذاك.

وظل هذا الأمر قائما إلى يومنا هذا؛ لأن النبي ﷺ قال: «خذوا عني مناسككم»، فلابد من جمع الصلاة، ثم إلقاء خطبة عرفات، أداة الإعلام في الحجيج.

ويمتاز هذا الموضع بخصائص إعلامية منها:

١ - تضمين الخطبة نصائح وإرشادات للحجيج عند أدائهم مناسك الحج.

٢ - أن الخطاب لجميع البلدان الإسلامية، وكل واحد ينقل ما سمع.

٣ - أن الحج مؤتمر إسلامي يجب تغطيته تغطية شاملة عن طريق نقل الخطبة بكل الوسائل.

ومع تقدم وسائل الإعلام تنقل قنوات العالم المسموعة والمرئية والمقروءة خطبة عرفات، ومضامينها، وأهدافها السامية وما تتضمنه من حقوق إنسانية أرسى مبادئها النبي ﷺ ... بيد أننا نجد قصورا في نقلها في وادي عرفات للحجيج أنفسهم، الجمهور المباشر للإعلام في خطبة عرفات!!

في عرفات

ذكرنا أن الإعلام في خطبة عرفات عالمي، ويغطى عبر وسائل الإعلام المعروفة بكل لغات العالم، بيد أننا وجدنا أن هناك مشكلة في الإعلام عن خطبة عرفات في وادي عرفات نفسه، فالحجيج وهم الفئة المستهدفة إعلاميا قبل غيرهم في المنازل والبلدان المختلفة، لا يسمعون خطبة عرفات! ولا أذان صلاتي الظهر والعصر...

مما أدى إلى ظهور كثير من البدع في كل مخيم، ولدى كل مجموعة من الناس حسب معتقداتهم وعاداتهم، التي غالبا ما تخالف العقيدة الصحيحة، عقيدة أهل السنة والجماعة.

فنجد رجلا يدعو بصوت مرتفع... وآخر يلهو ويلعب... لأنه لا يسمع خطيبا أو واعظا في مخيمه... فلا بد من العمل الجاد لنقضي على كل هذه البدع، عن طريق إرشاد أصحاب الفطر السليمة في إعلام عرفات، ويجب أن نراعي الضوابط الشرعية، وأن يقتصر دور الإعلام على نقل الخطبة والأذان لكل من في وادي عرفات، في المخيمات، والشوارع الرئيسية...

فالإعلام الإسلامي إعلام نابع من دين الله - عزوجل - الذي ارتضى لعباده، ومرتبط بهذا الدين علما وعملا وعقيدة، ومنهاج حياة، ومن الخطأ أن يسعى بعض الباحثين إلى تنظير الإعلام الإسلامي، فالإعلام الإسلامي غني عن التنظير والنظريات؛ لأن الإعلام الغربي قام على نظريات وضعية ومرتبط بفكر وعقول أشخاص، أما الإعلام الإسلامي فمرتبط بالدين الإسلامي والدعوة إليه، وما أدل على ذلك من إعلام خطبة عرفات.

وفي النهاية نقرر أن الإعلام الإسلامي لا يمكن أن تحتويه نظرية، مهما بذل فيها من جهد ودراسة وبحث، وأبلغ مثال على ذلك تعرض الباحثين لأساليب الدعوة، والقصص القرآني... ولكنهم يقفون عاجزين أمام بلاغة القرآن، وإنشاء نظرية للإعلام الإسلامي تضييق على الإعلام وجناية عليه.

المراجع

- الأدب الإسلامي (الواقع والطموح) بحوث المؤتمر الثاني لكلية الآداب بجامعة الزرقاء بالأردن جمع د. جميل بني عطا ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩م.
- الإعلام الإسلامي - المرحلة الشفهية، د. إبراهيم إمام، مكتبة الانجلو - مصر ط. ١، ١٩٨٠م.
- الإعلام الاسلامي وتطبيقاته العملية، د. محيي الدين عبد الحليم، ط القاهرة ١٩٨٠.
- الإعلام الهادف (أسسه وقضاياه) د. محمد الشاذلي - بحث مقدم في مؤتمر الاعلام والشباب بمصر.
- الإعلام في صدر الإسلام، د. عبداللطيف حمزة، ط ٢ دار الفكر العربي، ١٩٧٨م.
- الإعلام في المجتمع الإسلامي، حامد عبد الواحد، مجلة دعوة الحق، ع ذي الحجة ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م تصدر عن رابطة العالم الاسلامي.
- حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ، د. محمد الشاذلي البنداري.
- الشباب في موكب الدعوة/ محمود امبارك الشاذلي، مجلة صوت قنا ٢٠٠٥م.
- عمل جهاز مصغر لتلطيف الجو وتكييفه (مشروع نادي العلوم بمركز شباب قنا)/ محمود امبارك الشاذلي.
- ضوابط الإعلام في الشريعة الإسلامية وأنظمة المملكة العربية السعودية، د. يوسف محمد قاسم، نشر جامعة الملك سعود ١٣٩٩هـ.
- في الأدب الإسلامي (قضاياه وفنونه ونماذج منه)، د. محمد صالح الشنطي، ط. دار الأندلس بالسعودية.
- من قضايا الإعلام في القرآن، رمضان لاندو، مطبعة الهدف الكويت، ١٩٨٣ م.
- وسائل وأساليب الاتصال، د. زيدان عبدالباقي، مكتبة النهضة العربية ١٩٧٩م.

البيت الحرام وأثره في الاقتصاد العالمي

د. مجدي حسن
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

أن يكون المسجد الحرام رمزا دينيا، وحوله وعنده تقوم شعائر الله، والناس يتوجهون إلى الله بعبادات متنوعة مختلفة من صلاة وطواف وذكر لله.. فهذا أمر طبيعي لا جدال فيه ولا عجب منه.

أما أن يكون المسجد الحرام له تأثير قوي في الاقتصاد العالمي وسوق المال فهذا الأمر الذي نتعجب منه، لكن لا نتحير فيه، لأن القرآن الكريم علمنا ذلك، ودلنا على أهمية المسجد الحرام الاقتصادية في دنيا الناس، الناس كلهم، على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وثقافتهم، بل وأديانهم.

فهي أساس عظيم أيضا تقوم عليه أمور الدنيا من معاش الناس، وحياتهم الدنيوية من تجارة وزراعة وصناعة وكل أشكال النشاط الاقتصادي.

قال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المائدة:٩٧).

فالله تعالى جعل الكعبة البيت الحرام أصلا عظيما يقوم عليه الدين، ويقوم به الدين، فيتم إسلامهم بذلك، وتُغفر الذنوب، وتُضاعف الحسنات، ويكثر الإحسان الإلهي لضيوف الرحمن الذين أنفقوا الأموال واقتحموا الصعوبات ليؤموا البيت الحرام استجابة لأمر الله تعالى، وجاءوا من كل فج عميق؛ ليتعاونوا ويتشاوروا في المصالح العامة للأمة؛ ولتتعارف هذه الشعوب وهذه القبائل في ما بينهم فيزول ما بينهم من وحشة واغتراب، ويعيشوا تحت ظلال عقيدة التوحيد أمة واحدة.

ولكون البيت الحرام أقام دين الناس وكان سببا لقيام دين الناس، قال بعض العلماء إن حجه في كل عام فرض كفاية، فلو ترك الناس حجه أثم كل قادر.

وفي الكعبة البيت الحرام يأمن الخائف، وينصر الضعيف، ويتعبد المتعبد، فهي قبلتنا في الصلوات الخمس كما قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ (البقرة:١٤٤).

وحول الكعبة نطوف في الحج والعمرة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ (الحج:٢٩)، وحولها الراكع والساجد والقائم والذاكر لله جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (البقرة:١٢٥)، فقد أقامت الكعبة الدين لارتباطه بها بأركانه من: الصلاة، والحج، والطواف، والسعي، وعمارة المسجد بالشعائر والمناسك المختلفة.

كذلك أقامت الكعبة معاش الناس وحياتهم الدنيوية، وكان لها تأثير اقتصادي كبير على حياة الناس من قديم، وكانت سببا قويا لتنشيط حركة الاقتصاد وسوق المال، فكانت سببا لقيام أمور الحياة وأمور المعاش.

قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾ (قريش:١ - ٤).

ألا يتضح تأثير الكعبة الاقتصادي عندما نرى نشاط حركة المواصلات لنقل الحجاج والمعتمرين من بقاع الأرض المختلفة حتى يصلوا إلى بيت الله الحرام، سواء عبر الطائرات أو السفن أو السيارات؟!

وكذلك حركة النقل الداخلي في مكة وما حولها للقيام بمناسك الحج أو زيارة المسجد النبوي الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام؟!

وما تحدثه الكعبة من نشاط في حركة التجارة والبيع والشراء لسائر البضائع من الأطعمة والمشروبات والملبوسات التي يستهلكها الحاج والمعتمر أو يقتنيها للهدايا.

إن الكعبة في مركز الأرض، وبسببها تحرك اقتصاد العالم كله، يزرعون ويصنعون ويصدرون إليها، ويجلبون إليها الخيرات من مشارق الأرض ومغاربها، وبسببها تنشط السياحة الداخلية، وتعمل الفنادق وترتفع درجة الإشغال فيها، وتتوافر فرص العمل للأيدي العاملة المسلمة بل وغير المسلمة، وتنشط حركة المال في سوق المال وأروقته، وتنشط تجارة الأنعام لتقديم الهدي والقرابين والأضاحي، كما قال تعالى: ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ (المائدة:٩٥).

لقد كانت الكعبة سببا عظيما لقيام الدين، وكانت سببا لقيام الدنيا وأسباب الحياة والمعاش، والآية قالت: ﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ (المائدة:٩٧)، ولم تقل قياما للمؤمنين أو المسلمين، مما يدل على أن الخير يتعدى المؤمنين إلى غير المؤمنين ممن يعملون في أي مجال، سواء في مجال النقل والمواصلات أو الزراعة أو الصناعة.

ومادة «قيام» تسمى منها الله جل وعلا باسم القيوم، وهي صيغة مبالغة في القيام بالشيء والرعاية له والمحافظة والإصلاح. فهو سبحانه قائم بنفسه غير محتاج إلى خلقه لكمال غناه وقدرته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (فاطر:١٥ - ١٧)، وهو سبحانه مقيم لغيره من سائر المخلوقات في السماوات وفي الأرض، فهي في حاجة دائمة متجددة إلى الله جل وعلا، فلا بقاء لها ولا صلاح لها إلا بالله تعالى، فكل المخلوقات والكائنات فقيرة وفي احتياج دائم إلى الله سبحانه.

إن رسالات السماء جاءت إلى الناس بكل خير، وبرغد العيش وسعادة الدنيا والآخرة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:٦٦)، أي: إذا أقاموا ما في كتبهم من أحكام شريعة الله، ومنها الإيمان برسالة النبي محمد ﷺ لتفجرت الخيرات لهم من كل مكان، ولتيسرت أسباب الرزق وزادت وكثرت وتنوعت.

كذلك كانت رسالة الإسلام خيرا على البشرية، فقد جاءت بسعة الرزق وكثرة الخير والغنى واليسار، وبرغم ذلك فإن البعض قابلها بالكفر والجحود، مع أنهم انتفعوا من الإسلام، واتسع رزقهم وكثر بعدما كانوا فقراء وعالة.

هذا ما وقع من المنافقين فقال تعالى عنهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ (التوبة:٧٤)، أي: ما عابوا وما أنكروا إلا ما يستحق المدح والثناء وهو إغناء الله لهم من فضله، وقد كان هؤلاء المنافقون في ضيق من العيش فلما قدم النبي ﷺ المدينة تيسرت معيشتهم وكثرت أموالهم.

إن الإسلام جاء لإصلاح حال الناس في الدنيا، ومواجهة الأزمات والملمات التي تقف حائلا بين الناس وسعادتهم، وإيجاد حلول لهذه المشكلات وإزالتها من طريق حياتهم. لذلك، وجه الإسلام الأمة إلى مساعدة ومعاونة الضعفاء منهم من الفقراء والمساكين، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٦٠).

لقد كانت الكعبة البيت الحرام سببا للخير العميم على البشرية كلها في مشارق الأرض ومغاربها، هي قائمة شامخة في مكانها ترفل في ثوب العز، والدنيا كلها تتحرك لأجلها، الكل يطوف حولها ما بين طواف شرعي، وطواف اقتصادي، إن جاز التعبير، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ (المائدة:٩٧).

بوركت يا بيت الله الحرام، وبوركت هذه الكعبة، شرفها الله بما تسببت فيه من خير للعالمين، سائلا المولى جل وعلا أن يهدي من انتفع من خيرها الدنيوي إلى أن ينتفع وينهل من خيرها الديني.

مغفرة مأمولة.. ودعاء مجاب.. ورب رحيم

الحج رحلة حنين

محمد عبدالحميد توفيق
أديب مصري

كل الرحيل يذكرك بالغربة، والتسيار من بلد إلى بلد يبعث في النفس القلق، وحمل الأمتعة يثير مشاعر ذات نكهة غريبة.. إلا الرحيل إلى الحج، فهو مسيرة إلى السكينة، وترحال إلى الحنين عبر أشواق ملتاعة، وأنفاس متسارعة، تتوق إلى القرب من الرحمن وتنفيذ أمره بالطواف حول بيته الحرام، وسكب آهات الروح طلبا لمغفرته، وتطهيرا للجوارح والوجدان من الخطايا والآثام.

إنها بحق رحلة البداية، بداية البراءة والصفو والنقاء، وغسل الروح بأنداء التوبة والتطهر والقرب من الله، فكل حاج يتجرد من زخرف الدنيا، ويخلع ثيابه المعتادة، مرتديا ملابس الإحرام، ويرحل، جسدا وروحا، إلى ساحة الله الأكرم، وأماكنه المقدسة المختارة. وكما تجرد جسده من اللباس المعتاد، فإن روحه تخلع أوزارها، وتتلمس طريق أنوارها، وتعلي من سموها في رحلة الحب الإلهي، وهنا يتجلى بهاؤها، وتترقرق آمالها، وتزداد شغفا بنيل الفضل والثواب والدخول في رحاب الخالق من أوسع الأبواب، والجسد يرق ويطهر لتكتب له النجاة من العذاب.

حجاج بيت الله يشدون الرحال إلى رحلة نورانية، ويبزغ النور والحلم في قلوبهم المؤمنة، ليولدوا من جديد أنقياء من سقطات النفس وزلاتها، وليخلصوا أرواحهم من هفوات الجسد، ويعيدوا براءتها إلى فضاء الرحمة وأمكنة النور، مرددين آيات نورانية وأقوالا تقربهم من ربهم، وتلهج ألسنتهم بالمناجاة والطاعة «لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك».

وبتأمل قول الله سبحانه ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ (الذاريات:٢٠)، نجد أنها مدعاة للتنقل والترحال والسفر في بقاع الدنيا.. ومن ذلك قوله عزوجل: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (التوبة:٢). لذا، كانت السياحة في الأرض والتأمل في عجائب المخلوقات مما يزيد من عمق الروح بالتأمل في ملامح الأمكنة ودلائل القدرة الربانية. ولكن يبقى للسفر تعب ومشقة، كما أنه يذكر بفراق الأهل والأحبة، ورب غروب للشمس يرسم على الوجدان هالة التذكار، ويملأ القلب شوقا بلقاء الصحبة. كما أن فراق المرء لبيته وأحبابه وتعرضه لما يخالف عاداته في يقظته ومنامه وشرابه وطعامه، كل ذلك يجعل السفر عملا ذا معاناة ومشقة.

الروح تطلب المغفرة.. والجسد يسمو في حضرة المشاعر

لكن في السفر إلى الحج لذة وأنس ومحبة وتحنان وشوق وأمان، فتلك الرحلة ليست غربة، بل ارتحال من حياة القلق والتعب إلى راحة النفس ونور البصيرة وهدى القلب وفرحة الروح بتطهرها وسموقها، وإن كان في الأمر فراق للأهل ومشقة الترحال وجهد الانتقال، فكل الأمور تهون في سبيل تنفيذ أمر الواحد الديان، وكل الجوارح تنقاد للوجدان الراغب في طلب المغفرة والصلاة في بيت الله الحرام والتي تعدل ألف صلاة في غيره من المساجد.

في الطريق إلى الحج تجد قلوبا مرفرفة، وأنفاسا محترقة، وأفئدة تكاد تنفطر شوقا إلى الوصول إلى أرض دبت عليها أقدام النبي محمد ﷺ.

هنا كانت حياة عامرة بالزهد، مفعمة بمشاق الدعوة إلى طريق الأرواح عبر تبيان الحقيقة. وهناك، وعلى هذه الأرض، ولدت الحقيقة واتحدت القلوب بالضياء، وأشرقت شمس الإيمان بإذن ربها فكانت النبوة امتدادا لدعوة الخليل إبراهيم ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ (إبراهيم:٣٧).

أيتها الأرض، اشهدي، هنا ابتدأ الحب رحلته، وعرفت الإنسانية معنى الحياة، وانبثقت من قلوب مؤمنة شجرة المعرفة بالله ربا، وبضمير التوحيد طريقا. وكانت مكة البلد الأمين، وأرض الرسالة، ومهبط الوحي، ولدى الوصول إلى البيت الحرام تنسكب العبرات.

هنا لا يأس من المغفرة.. ففي مشهد الوقوف بعرفة يتجلى الله غفارا، لا يقنط من ساحته آثم مهما تعاظم إثمه، ولا يطرد من رحمته مذنب مهما كبر ذنبه، ولا يرد من قصده، ولا يطرد من ساحة كرمه كل لائذ أواب.. وهناك يكون الغوث والنجاة والإشراق بالطهارة من الذنوب.

ولسان حال تجمع الحجاج: «ربنا أتيناك من كل بقاع الأرض وقد لبينا دعوتك عبر أنبيائك، وهرعنا، رجالا وركبانا، من كل فج عميق لنشهد أنك رب أوحد، وإله أعظم.. يا أكبر من كل كبير، ويا أكرم من كل كريم، يا صاحب عز لا يضام.. وجاه لا ينفد، يا ولي نعمة لا تحد، ويا ملكا أعلى من كل متعال، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ربنا اغفر وارحم وارض وتكرم إنك أنت الأعز الأكرم».

إن رحلة الحج درس عظيم في الإنسانية ونبل الضمير، ففي تلك الأماكن المقدسة خطب النبي ﷺ في حجة الوداع خطبته الجامعة وسط حشود من الناس، ولم يشأ أن ينفض هذا التجمع من دون استغلال أمثل لتقرير قواعد النبل والسلام والمحبة الخالصة من أجل خير الإنسانية «أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا.. ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع». ومن تلك البقاع الطيبة انطلقت رسالة المحبة والأمن لكل الناس «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم ودمائهم وأعراضهم».

وفي المدينة المنورة يزور الحجاج مسجد الرسول ﷺ، ويصلون فيه، ويسلمون على الحبيب سلام شوق، ويحدثونه حديث صدق، ويستمع إلى نبضات أفئدتهم المترعة صفوا ووفاء.. ولسان حالهم يقول:

«السلام عليك يا سيد الصابرين، يا من ارتحلت دامعا من بيتك ووطنك وهاجرت من بلدك باحثا عن قلوب عامرة بالهداية.. ولتملأ الأرض عدلا بعدما ملئت قهرا وجورا.. السلام عليك يا من احتملت الأذى في سبيل قضيتك العادلة، وتجرعت مرارة الصد والجفاء من أجل الثبات على مبادئك التي أوحى الله بها إليك، وتركت الأرض المحببة إليك حيث أفضيت إليها بمحبتك وأنت خارج منها: الله يعلم أنك أحب بلاد الله إلي ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت».

هنالك في موضع قبر الرسول الكريم تسبق الدموع الأنفاس، وترتجف الأرواح خشوعا، وترق الأبدان، وتسمو عن الرذائل وتصعد إلى فضاءات الخير والوئام.

للحج نورانية غامرة، ومن استجابوا لنداء الطاعة وشدوا رحالهم لزيارة قبر الرسول ﷺ، وبعد أن أدوا مناسكهم وطافوا بالبيت العتيق، ارتحلت أبدانهم وذواتهم لتطوف طواف الوداع.. وعلى قبر الرسول ﷺ تنطرح الأشواق هداية ورحمة.. «جئناك يا رسول الله، ونشهدك أنا لسنا دعاة جهالة ولا قطيعة محبة، ولسنا الداعين إلى الجفوة مع الناس، ولسنا الشتامين ولا سافكي مياه المودة.. نحن أتباعك، وأنت أبدا لم تدع إلى القسوة والغلظة ولم ترهب الناس منك يا نبي الإنسانية، أيها القائل: «إنما أنا رحمة مهداة».

أكد أن علم التخريج لا يدرس حاليا على أسس صحيحة..

د. أحمد معبد: سخرني الله لتكوين مدرسة حديثية دقيقة

إسلام لطفي
القاهرة : دار الإعلام العربية

الدكتور أحمد معبد أستاذ الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر وعضو هيئة كبار العلماء، تعلم في وقت ابتعد فيه الكثير عن التعليم، لمشقته، إلا أنه تغلب على ذلك ولم يعمل بالزراعة كأهل قريته، لـ«نذر» والدته لتعليمه بالأزهر، واستمر فيه حتى سافر للعمل في المملكة العربية السعودية .. «الوعي الإسلامي» التقته فكان هذا الحوار.

● ما دافعك لدراسة الحديث؟

– في البداية درست في مرحلة الليسانس بكلية أصول الدين، شعبتي التفسير وعلومه والحديث وعلومه، وعند الاتجاه إلى التخصص في الدراسات العليا اتجهت إلى التخصص في التفسير أولا، ثم بعد ذلك تحولت إلى التخصص في علم الحديث، حيث كان لدي إلمام سابق به، وعندي كذلك رغبة للاستزادة من هذا العلم، فتحولت من تخصص التفسير إلى الحديث، وأكملت دراستي المتخصصة فيه، على مرحلتين، أولاهما الماجستير في كلية أصول الدين، ثم الدكتوراه في نفس الكلية، ثم اشتغلت بعد ذلك بالتدريس حتى الوقت الحالي.

وفي المرحلة الجامعية، كان من أبرز شيوخي الإمام الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق، رحمه الله، والدكتور محمد محمد السماحي أستاذ الحديث بكلية أصول الدين، وأستاذ الحديث د. محمد محمد أبو شهبه، ود. محمد مصطفى التازي، هؤلاء هم أبرز الأساتذة الذين درسوا لي، كذلك د. عبدالوهاب عبداللطيف، أستاذ الحديث ووكيل كلية أصول الدين في ذلك الوقت.

● لو عدنا إلى نشأتك الأولى.. ماذا تذكر منها؟

– ولدت في إحدى قرى محافظة الفيوم، وتسمى قرية الشيخ سعد عام ١٣٥٩ هجرية، يوافق عام ١٩٣٩ ميلادية، وعلى طريقة التعليم التي كانت موجودة آنذاك اتجهت إلى التعليم بعد وفاة والدي رحمه الله، ولم يكن الاتجاه إلى التعليم آنذاك كبيرا، بل كان من يتجه إلى طلب العلم أقلية من البنين أو البنات، وأراد الله لي أن أتجه إلى التعليم بدلا من الاشتغال بالزراعة، كما هو شأن القرية التي ولدت فيها.. فقد نذرت والدتي عند ولادتي أن توجهني إلى دراسة العلم ومواصلة التعليم في الأزهر الشريف،

كثير من الناس يظنون أن التجديد إتيان أشياء ليست موجودة في الشرع.. وهذا غير صحيح

وبناء عليه تعلمت القراءة والكتابة في كتاب القرية، وكان القائم عليه الشيخ عبدالرحمن إسماعيل محمد، وبعد أن تعلمت على يديه القراءة والكتابة، وبعض سور القرآن الكريم توفاه الله، وتوقف هذا الكتاب، فاتجهت إلى مواصلة التعليم واستكمال حفظ القرآن الكريم.

وقد درست في المرحلة الابتدائية كتاب «التحفة السنية في قواعد العربية»، ثم كتاب «قطر الندى»، ثم كتاب «شذور الذهب»، ثم «شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك» كاملا، ثم «مغني اللبيب لابن هشام»، وهذه الكتب حاليا منها ما لا يدرس إلا في الدراسات العليا، كذلك كانت دراستي الشرعية، أني درست فقه المذهب الحنفي كاملا، ابتداء من الوضوء والصلاة إلى نهاية المواريث، ثم بعد حصولي على الشهادة الثانوية الأزهرية، التحقت بكلية أصول الدين بالقاهرة ودرست فيها مرحلة الليسانس تخصص التفسير والحديث وتخرجت عام ١٩٦٦ ميلادية، وكان من توفيق الله، أني حصلت على درجة الليسانس، بتقدير جيد جدا مع مرتبة الشرف، لكني لم أعين معيدا في الكلية، حيث إن وظائف المعيدين لا تستغرق كل المتفوقين، وبناء عليه اتجهت إلى الدراسات العليا بعد الليسانس، والتحقت بالعمل في وزارة الأوقاف كإمام وخطيب ومدرس، وكان ذلك بناء على طلبي.

وبعد أن حصلت على الماجستير في الحديث الشريف، عينت في كلية أصول الدين معيدا ثم مدرسا مساعدا ثم مدرسا، وأكملت في كلية أصول الدين إلى أن ساعدت الظروف أن أخرج متعاقدا للعمل بالمملكة العربية السعودية، لكلية أصول الدين في الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد كانت النية عند خروجي أن أكون في هذا العمل سنة واحدة ثم أعود بعدها للعمل بكلية أصول الدين بالقاهرة التي خرجت منها، لكن تغيرت الظروف وطلب مني المسؤولون في الكلية أن أستمر معهم في العمل، وكان هذا من الأسباب التي جعلتني أستمر في العمل في كلية أصول الدين في الرياض نحو ثماني عشرة سنة، درست فيها في مرحلة الليسانس والدراسات العليا كما انتدبت للتدريس والإشراف والمناقشة للرسائل العلمية فيما كان معروفا في السعودية برئاسة التعليم للبنات، ثم بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ثم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وكانت هذه الفترة من أخصب فترات العمل التي أعانني الله سبحانه وتعالى، ورزقني بمجموعات من الطلاب المتفوقين الذين يعملون كمعيدين أو مدرسين مساعدين، وخلال هذه المدة أزعم أنني كونت مدرسة لعلم الحديث والتخصص فيه، وخاصة الجوانب الدقيقة في هذا العلم، وهي علم التخريج، وعلم علل الحديث، وكذلك تحقيق تراث الحديث الشريف خلال هذه الفترة. وكان ممن تخرجوا على يدي عدد من الفتيات اللاتي يعتبرن الآن من أساتذة علم الحديث في المملكة العربية السعودية.

● وماذا عن نتاجك العلمي المطبوع والمنشور؟

– أرى أنني مقل في النتاج العلمي من وجهة نظري إذا قيس ما هو مطبوع بما كان ينبغي أن ينشر ويكون بأيدي الناس، وحققت شرح جامع الترمذي

للإمام ابن سيد الناس اليعمري، وأخرجت منه ثلاثة مجلدات معروفة بكتاب «النفح الشذي في شرح جامع الترمذي»، وقد طبع الكتاب في عام ١٤٠٩هـ في الرياض، كما أخرجت بعض المؤلفات التي تعتبر بحوثا متخصصة، منها كتاب «ألفاظ الجرح والتعديل بين الإفراد والتكرير والتركيب ودرجة دلالتها على درجة الراوي ودرجة حديثه»، وطبع منذ نحو ١٥ عاما، ولا أعرف من سبقني إلى التأليف في هذا الموضوع وأخرجت كتابا عن الحاسب الآلي واستخدامه في خدمة علوم السنة، وأخرجت آخر عن حديث عمار بن ياسر ونصه الراجح في صحيح البخاري، وآخر عن أجوبة حفاظ الحديث عن بعض الأسئلة الحديثية، كما أخرجت بحثا منشورا عن سيف بن عمر التميمي ودرجته في الجرح والتعديل ودرجة حديثه، ومثل هذه المؤلفات إذا قيست بحياتي العلمية تعتبر قليلة.. والسبب في قلتها انشغالي بالإشراف والمناقشة على الرسائل العلمية، وهذه المهمة هناك من يتهاون في شأنها ويعتبر أن البحث مسؤولية الطالب، وهذه حقيقة.. لكني لم أكن أفعل ذلك، فقد كنت أتولى الطالب وأقرأ له بحثه من أوله إلى آخره، وأسدد له أفكاره، وأصوب ما أراه بحاجة إلى تصويب، ومثل هذه المهمة كانت تستغرق علي وقتي، وأحمد الله أن الطلاب مازالوا حتى الآن يذكرونني ويعترفون بأني بذلت لهم من وقتي وعلمي ما لم يبذله لهم غيري، وهذا هو عزائي عن قلة تأليفي.

● إذا تطرقنا إلى الرسائل التي أشرفت عليها.. فما أبرز ما تذكر منها؟

– قد يصل عدد الرسائل التي

الشيخ أحمد شاكر رحمه الله صاحب فضل كبير في تحقيق كتب السنة خاصة مسند الإمام أحمد

أشرفت عليها إلى ألف رسالة ماجستير ودكتوراه وبحوث وسيطة بينهما، ومن أبرز ما أشرفت عليه، رسائل في تحقيق كتاب «الكامل للضعفاء» للإمام ابن عدي، وكنت أول من اقترح تسجيل رسائل في هذا الكتاب، ووصل التحقيق فيه إلى نحو ثلثي الكتاب قبل أن ينشر في أيدي الناس، كما اقترحت تحقيق كتاب «الأحاديث المختارة» للضياء المقدسي، وقد أخرجنا منها قبل أن تطبع عدة رسائل، علاوة على كتاب «مسند أبي يعلى الموصلي» قبل أن يطبع، وكان مما اقترحته لأول مرة تحقيق كتب علل الحديث لابن أبي حاتم الرازي، إضافة إلى موضوعات حديثية كثيرة غير تحقيق التراث، سواء في علم الحديث أو في علم الجرح والتعديل، أو في غيرها من المواد، وهذه الرسائل بعضها مازال على رفوف الجامعات التي درست فيها، وأرجو أن تخرج إلى النور ليستفيد منها العلماء والباحثون.

● بالحديث عن الدعوة.. هل ترى أنها بحاجة إلى التجديد؟

– مسألة التجديد تحتاج إلى الوقوف عندها، لأن كثيرا من الناس يفهمون من التجديد أننا نأتي بشيء ليس موجودا بأصول الشريعة، وهذا ليس صحيحا، إنما المعروف أن الدعوة قبل أي شيء جزء من النظام التعليمي التربوي، بمعنى أنك قد تكون في بعض المواقف الدعوية معلما فقط، مثل تعليم صلاة الجنازة والصلاة وغيرها، فيكون التجديد هنا في طريقة العرض فقط، لكن لا يمكن التغيير في الصلاة نفسها وسننها، ولكن في طريقة العرض المشوقة واستخدام عبارات وأسلوب يفهمه المخاطب، وتبسيط المعلومات، وهذا التبسيط يعد نوعا من التجديد، أيضا التجديد أن يعرض على الداعية خلق سيئ انتشر في المجتمع أو ظاهرة فاسدة أو تصور خاطئ لدى بعض الشباب، فعندما يواجهه يبين رأي الشرع بما يتفق مع الواقع الموجود، فهذا تجديد، فالتجديد عرض أمور الإسلام بطريقة مبسطة ووسطية يفهمها الناس وتناسب ظروفهم ولا ينبغي أن يفهم أن التجديد أن نغير ما أحله الله إلى حرام، أو نغير ما حرمه الله إلى حلال، أو نضيق ما وسعه الشارع أو نوسع ما ضيقه من وجوه المعاصي والانحلال والوقوع في الجرائم.

● هل هناك مؤسسات تعنى بجمع علماء الحديث على مستوى الأمتين العربية والإسلامية لتوثيق التعاون بينهم؟

– يوجد مؤسسات في بعض الدول، ففي مصر لدينا الأزهر الشريف، فيه لجنة في السنة النبوية وبها باحثون ولها مشاريع، وأيضا المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في وزارة الأوقاف، له لجنة للسنة النبوية، وفيها أساتذة يقومون بالرد على الشبهات التي تطعن في السنة النبوية وفي شخص الرسول ﷺ، وأيضا يقومون بتأليف موسوعات حديثية ميسرة، يستطيع أن يقرأها الشخص العادي ويستفيد منها في أمور الشرع، وتحقيق بعض كتب

الحديث وتأليفها، مثل كتاب الأحاديث القدسية وشرحها، والمنتخب من السنة النبوية، كما حققت لجنة السنة بالأزهر كتابا للإمام السيوطي يعرف بكتاب «جمع الجوامع»، أو «الجامع الكبير»، وهذا الكتاب يحتوي على خمسة وأربعين ألف حديث، وهو أوسع كتاب في الحديث حتى الآن، وأيضا موجود بالمملكة المغربية -حيث سافرت إليها في كثير من المناسبات- مؤسسة تسمى الرابطة المحمدية، ولها فروع في جميع أنحاء المملكة المغربية، وتعتني بالسنة النبوية، وتحقق التراث الموجود فيها، وكذلك المؤلفات، في مختلف العلوم الإسلامية ولها مطبوعات كثيرة موجودة في السنة والسيرة النبوية، كذلك هناك مركز للسنة النبوية في السعودية، وقد أخرج عدة مؤلفات تطبع لأول مرة من أمهات كتب السنة وإن كان قد توقف نشاطه الآن، لكن نرجو أن يعود إلى خدمة السنة النبوية من جديد، وأيضا في دولة الكويت لديهم نشاط للعناية بالسنة النبوية، وأقامت وزارة الأوقاف الكويتية في محافظات الدولة المختلفة دورات في المساجد للعناية بالسنة النبوية، وقد شاركت في إحدى هذه الدورات في علم التخريج، وشارك بعض طلابي في دورات أخرى في علم علل الحديث، كما تشارك أيضا كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في الكويت، واشتركت في بعض هذه الدورات، والمؤتمرات الحديثية ولهم في ذلك نشاط جيد، وهناك في الهند اعتناء بالسنة النبوية.

● ماذا عن منهج التحقيق في الحديث النبوي.. وهل هناك فارق بين المنهج القديم والحديث؟

- منهج التحقيق في الحديث النبوي، جزء من منهج تحقيق التراث عموما، إلا إن منهج التحقيق في الحديث يحتاج ضوابط يمكن ألا تتوافر في من يجيد تحقيق النصوص العامة،

أشرفت على أزيد من ألف رسالة ماجستير ودكتوراه في جامعات العالم الإسلامي

وأذكر من الأمثلة على مدى مسيرة التحقيق، في البداية عندما طبعت كتب السنة في مصر والهند، كان بعضها في أيدي الناس هو النص الوحيد، لكن عند النظر فيها الآن نجد أنهم لا يذكرون النسخ الخطية التي اعتمدوا عليها، ولا نجد في الكتاب إثبات فروق هذه النسخ، وأيضا لا نجد فيه توثيق نصوص الحديث من المصادر الأخرى، أيضا لا نجد الفهارس الفنية التي تخدم الكتاب وتدل على مشتملاته دون أن تضطر إلى قراءة الكتاب كاملا، فهناك سنن أبي داود وسنن الترمذي وسنن النسائي، فهذه الكتب عندما بدأت كانت بدون هذه الخدمة، وانتقلت في التطور إلى أنها خدمت ببعض الفهارس فقط، وفي الوقت الذي نحن فيه يعتبر تحقيق كتب السنة في أفضل أحواله، وصاحب الفضل الكبير في المنهج العلمي في تحقيق كتب السنة هو الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تحقيقه لمسند الإمام أحمد، حيث حقق قرابة نصف الكتاب، وكذلك تحقيقه لجامع الإمام الترمذي، وكان ينوي أن يحقق صحيح البخاري، وهذا الرجل يعتبر أول من أدخل المنهج العلمي الصحيح في تحقيق نصوص الحديث، ومن يراجع كتابه في هذا، سيجد أن المنهج متوفر، حيث يذكر فروق النسخ وتوثيق النصوص، ويبين درجات الحديث، وهذا هو الوضع الأمثل، فالمنهج المطلوب الآن لتحقيق كتب السنة هو أولا أن يتم تحقيق النص على قدر النسخ الخطية المعروفة للكتاب، وأن تثبت فروق النسخ ضمن التحقيق، وأن توثق نصوص الكتاب في تخريجه من المصادر الأخرى غير الكتاب المحقق، سواء السابقة لها أو اللاحقة، وأن يعلق على الحديث بشرح دون إسهاب ولا إطالة، وأن يذكر درجة الحديث إذا كان المحقق متأهلا لبيان درجة الحديث، كما نراه في عمل الشيخ أحمد شاكر، وإن كان عليه بعض الملاحظات.

● كلمة توجهها لشباب الأمة الإسلامية، خاصة المعنيين بدراسة الحديث.

- أطالبهم بأن يدرسوا علوم الحديث دراسة متأنية، على من يأنسون فيه الكفاءة لذلك، سواء كان في قاعات الدراسة أو في دروس العلماء المعتبرين الذين يشهد الجميع بسلامة وعمق علمهم ووسطية تفكيرهم، بحيث لا يأخذون الناس إلى التشدد ولا يوجهونهم وجهة غير صالحة، ويأخذون بأيديهم إلى الصواب، وأن يكون لهم قراءة خاصة بكتب الحديث، لأن أوقات العلماء مهما كثفت لا يمكن أن تستوعب كل ما يحتاجه طالب العلم، إنما على الطالب أن يقرأ كتب السنة، وإذا صعب عليه شيء يعود إلى من يثق في علمه وخبرته ليستفهم عما يستشكل عليه؛ امتثالا لقول الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ (الأنبياء:٧).. وأرجو من كل من يختص بالحديث أن يقرأ على الأقل كتابا في أصول الفقه، لأنها هي التي تعلم طلبة العلم الشرعي كيف يدل النص على الحكم.

أيضا لدينا كتاب من كتب الحديث كثير من المختصين لا يعطونه العناية، وهو كتاب صحيح ابن حبان، وألفه ابن حبان على أصول الأدلة، فذكر الأوامر، وأن لها في السنة مائة وعشر صيغ، والنواهي كذلك، وبين أن الأفعال النبوية لها عدد من الصيغ.

التفسير والحديث.. وبداية الانفصال

د. عبدالعزيز فارح
رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب بوجدة - المغرب

اتخذ الكلام المتعلق بتفسير آيات من القرآن في المراحل المبكرة شكل الحديث: يُنقل كما ينقل الحديث، ويدون في صحفه وكتبه. وصار بذلك جزءا منه وفرعا من فروعه، لأن مادة التفسير في هذا الوقت ترجع في عمومها إلى أقوال الرسول ﷺ وأقوال صحابته. والتفسير في كتب الحديث لهذا السبب باب من أبوابها يخضع لما تخضع له الأحاديث الأخرى من تقويم للسند والمتن (١)، فمنه المقبول ومنه المردود. ومن الأول الصحيح، والحسن، وبعض الضعيف الذي يُعمل به بشروط. ومن الثاني ضعيف، شديد الضعف، وموضوع لا يعول عليه.

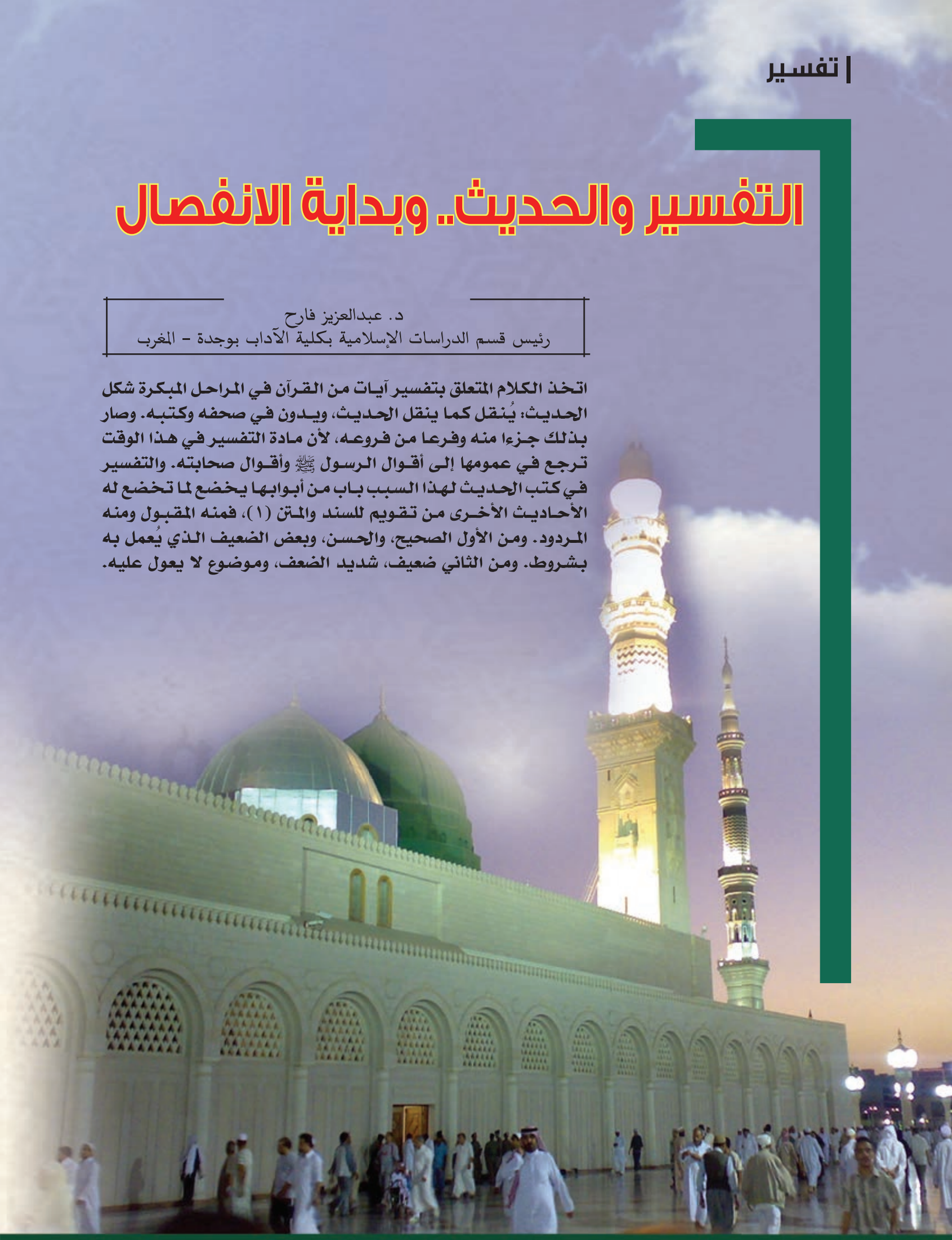

يقول الدكتور مصطفى زيد: «ولابد من الرجوع إلى السنة للاستعانة بها على بيان المراد بالآيات التي تحاول تفسيرها. فقد كان الرسول ﷺ مبينا للقرآن، إلى جانب تبليغه للناس.. قرر القرآن الكريم هذا في آياته، وقرره الرسول ﷺ -وهو الصادق الأمين- حين قال للناس يعلمهم أمر دينهم: «إنما بعثت معلما» (٢).

ويقول أيضا: «وتبلغ الحاجة إلى السنة في التفسير أقصاها عندما تعترض المفسر آية تتناول بعض الأمور الغيبية، أو تحكي قصص الأمم السابقة، أو تخبر بشيء سبق، أو ما شاكل هذا مما لا مجال للعقل -وحده- فيه» (٣).

لذلك، كان عدد من رجال الحديث هم أهل التفسير وحملته إلى من بعدهم. ومع ذلك، فإن تدوين بعض التفسير مستقلا بدأ في وقت مبكر من النصف الثاني من القرن الأول، ولعل أقدم ما وصل إلينا هو ما ثبت عن ابن عباس (٦٨هـ) وأصحابه الآخذين عنه، خصوصا ما يتعلق بغريب القرآن، من ذلك صحيفة علي بن أبي طلحة (١٤٣هـ) عن عبدالله بن عباس، فإنها أصح ما نقل عنه رضي الله عنه (٤). وقد كانت هذه الصحيفة عند أبي صالح، كاتب الليث بن سعد بمصر، وعليها اعتمد الإمام ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر في تفاسيرهم. وهي التي قال عنها الإمام أحمد: «بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كثيرا» (٥).

ومن أقدم ما دون أيضا في التفسير ما ذكر عن الإمام مجاهد (١٠١هـ) أنه كتب عن ابن عباس تفسير القرآن كله في الألواح (٦)، وقد طبع تفسيره (٧).

ويذكر أبو علي الطبرسي (٥٤٨هـ) في مقدمة «مجمع البيان» أن أول كتاب مدون ظهر في التفسير الأثري كان لسعيد بن جبير (٩٥هـ). ثم كان تفسير عكرمة مولى ابن عباس (المتوفى سنة ١٠٥هـ)، وهو القائل: «لقد فسرت ما بين اللوحين» (٨). ونقل التفسير أيضا عن عدد من التابعين وأتباعهم ومن جاء بعدهم كعطاء بن دينار وإسماعيل السدي، الذي يورد أقوالا بالأسانيد إلى ابن مسعود، وابن عباس. وعنه روى الأئمة مثل الثوري، وشعبة بن حجاج، وتفسيره أمثل التفاسير كما يقول الإمام السيوطي (٩).

ويرى الشيخ محمد الفاضل بن عاشور أن علم التفسير قد دخل حيز التدوين الكتابي مع عبدالملك ابن جريح (١٤٩هـ)، فقال: «فلما استهل القرن الثاني ودخلت العلوم الإسلامية في دور التدوين انبرى أحد الأئمة الثقات من رجال الحديث وهو عبدالملك بن جريح (المتوفى سنة ١٤٩هـ) إلى جمع تلك الأخبار في كتاب فكان أول من ألف في التفسير. وهو على ثقته المشهود بها عند ابن سعد ومن بعده من علماء الرجال، لم يتحر آثار تلك النقول، ولكنه أورد الأقوال في تفسير القرآن على علاتها، فعقب كل خبر بما قيل فيه من تجريح أو تعديل، فدخل علم التفسير بذلك إلى حيز التدوين الكتابي» (١٠).

ونقل عن الإمام مالك تفسير، قال الإمام الذهبي: «وقد وقع لنا جزء لطيف من التفسير عن مالك» (١١)، ووصلنا عن عبدالرزاق بن همام تفسير، وقد طبع (١٢).

وغالب تفاسير هؤلاء وأمثالهم تجمع أقوال الصحابة والتابعين، بل إن ذلك سيكون الطابع الغالب على كتب أهل التفسير في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ولا ضرر في ذلك، وقد رأى العلماء أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل حديث مسند له حكم المرفوع، رغم أن الإمام ابن الصلاح يقيد ذلك بما يرجع إلى أسباب النزول، أو بما لا مجال للرأي فيه مما لا يؤخذ إلا عن النبي ﷺ، يقول ابن الصلاح: «ما قيل من تفسير الصحابي حديث مسند فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول الآية يخبر به الصحابي أو نحو ذلك، فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى رسول الله ﷺ فمعدودة في الموقوفات، والله أعلم» (١٣).

ويقول العلامة ابن كثير (٧٧٤هـ) مبينا قيمة أقوال الصحابة: «وحينئذ لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، ولاسيما علماؤهم وكبراؤهم» (١٤).

وإلى مثل هذا ذهب الإمام بدر الزركشي (٧٩٤هـ)، حيث قال وهو يتحدث عن قول الصحابي: «فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ كما قاله الحاكم في تفسيره» (١٥). وقال أيضا: «واعلم أن القرآن قسمان: أحدهما ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره. وقسم لم يرد. والأول ثلاثة أنواع: إما أن يرد التفسير عن النبي ﷺ، أو عن الصحابة أو عن رؤوس التابعين، فالأول يبحث فيه عن صحة السند، والثاني في تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان، فلاشك في اعتمادهم، وإن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلاشك فيه. وأما الثالث: وهم رؤوس التابعين إذا لم يرفعوه

إلى النبي ﷺ، ولا إلى أحد من الصحابة رضي الله عنهم، فحيث جاز التقليد فيما سبق، فكذا هنا وإلا وجب الاجتهاد» (١٦).

ومع ذلك، فقد شاع أن الإمام أحمد قد غض من شأن التفسير من جهة الرواية، إلى جانب كتب السير والملاحم، حيث نقل عنه قوله: «ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي والتفسير والملاحم». قال ابن حجر: «ينبغي أن يضاف إليها الفضائل» (١٧).

وقد فهم الخطيب قول الإمام أحمد على أنه قصد كتبا بعينها، أشهرها كتابان: للكلبي ولمقاتل بن سليمان. وقد قال الإمام أحمد في تفسير الكلبي: «من أوله إلى آخره كذب، لا يحل النظر فيه». وحمل كثير من أهل العلم كلام الإمام أحمد على أن ما صح في التفسير قليل بالنسبة لما لم يصح (١٨).

ويظهر، والله أعلم، أن الإمام أحمد إنما قصد التحذير من المدخول على كتب التفسير والمغازي، وإلا فقد تثبت أحاديث التفسير في المصادر الأصلية المشهورة كالكتب الستة وغيرها، ولم يجرؤ أحد على الطعن فيها، بل وجد من العلماء الأثبات من ألف في التفسير وفضائل القرآن وفضائل السور كأبي عبيد القاسم بن سلام والإمام النسائي وبقي بن مخلد القرطبي والإمام السيوطي وغيرهم. ولعل خروج بعض من تعاطى التفسير عن دائرة التفسير الأثري المتقيد أساسا بالتفسير النبوي وتفسير الصحابة والتابعين كان أيضا وراء الغض من قيمة كتب التفسير، وفي هذا المعنى يقول الشيخ محمد الفاضل بن عاشور: «وكوّن بُعد المفسرين بمنهجهم العلمي عن الطريقة الأثرية، حركة رد فعل هائل في وسط رجال الحديث وأهل الأثر، حصل منها تدافع بين الطائفتين مثل أو قريبا من الذي حدث في ميدان أصول الدين، أو الذي حدث في ميدان الفقه، فأصبح أهل الأثر يعرضون بأهل التأويل أو أهل التفسير بالرأي كما يعرض أهل السنة السلفيون بالمتكلمين، أو يعرض الفقهاء أصحاب الحديث بأهل القياس ويسمونهم أهل الرأي أيضا ...» (١٩).

ورب قائل يقول: إن التفسير مما وقع فيه التساهل في قبول الأحاديث والأخبار ومنها الإسرائيليات، وقد أجاب الإمام الذهبي عن هذا مبينا معنى التساهل وجواز رواية الإسرائيليات فقال: « قلت: لهذا أكثر الأئمة في التشديد في أحاديث والأحكام والترخيص قليلا، لا كل الترخيص في الفضائل والرقائق، فيقبلون في ذلك ما ضعف إسناده، لا ما اتهم رواته، فإن الأحاديث الموضوعة والأحاديث الشديدة الوهن لا يلتفتون إليها، بل يروونها للتحذير منها والهتك لحالها، فمن دلسها أو غطى تبيانها فهو جان على السنة، خائن لله ورسوله، فإن كان يجهل ذلك فقد يعذر بالجهل، ولكن سلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» (٢٠).

وأما فيما يخص الإسرائيليات فقال الإمام الذهبي أيضا وهو يناقش قول ابن فديك (رأيت ابن إسحاق يكتب عن رجل من أهل الكتاب): «ما المانع من رواية الإسرائيليات عن أهل الكتاب مع قوله ﷺ: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج. وقال: إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم» (٢١)، فهذا إذنٌ نبوي في جواز سماع ما يأثرونه في الجملة، كما سمع منهم ما ينقلونه من الطب، ولا حجة في شيء من ذلك، إنما الحجة في الكتاب والسنة (٢٢).

هوامش

١ - أنظر كتب التفسير ورجاله للشيخ محمد الفاضل بن عاشور، ص: ٢٥ وما بعدها، وكتاب رواية التفسير في القرن الأول، وتدوينه لعبدالله توفيق الصباغ، ص:٦، وكتاب دراسات في التفسير للدكتور مصطفى زيد، ص: ٢٠ و٢١.

٢ - دراسات في التفسير، ص:٢٠.

٣ - المرجع نفسه، ص:٢١.

٤ - أنظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/٥-٤/٢٠٧.

٥ - المصدر نفسه، ٤/٢٠٧.

٦ - جامع البيان للطبري ١/٣٠، ومقدمة أصول التفسير لابن تيمية، ص: ٢٨.

٧ - نشره مجمع البحوث الإسلامية بباكستان بتحقيق عبدالرحمن الطاهر السورتي.

٨ - مقدمة مجمع البيان، وانظر أيضا التهذيب لابن حجر ٧/١٩٨.

٩ - المصدر نفسه ٤/٢٠٨.

١٠ - التفسير ورجاله، ص:٣٢ و٣٣.

١١ - سير أعلام النبلاء ٧/٩.

١٢ - بمكتبة الرشد عام ١٤١٠ محققا من طرف الأستاذ مصطفى مسلم محمد.

١٣ - علوم الحديث لابن الصلاح، ص:٥٠.

١٤ - تفسير القرآن العظيم ١/٣.

١٥ - البرهان في علوم القرآن ٢/١٧٤.

١٦ - المصدر نفسه ٢/١٨٨-١٨٩.

١٧ - لسان الميزان ١/١٣.

١٨ - البرهان ٢/١٧٣.

١٩ - التفسير ورجاله، ص: ٥٩-٦١.

٢٠ - سير أعلام النبلاء ٨/٥٢٠ تحقيق نذير حمدان، إشراف وتخريج الأحاديث شعيب الأرنؤوط.

٢١ - أخرجه الإمام البخاري في الاعتصام، باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ٨/١٦٠، وفي كتاب التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها ٨/٢١٣.

٢٢ - ميزان الاعتدال ٣/٤٧٠.

تأريخ موسم الحج في بيت المقدس

التحرير

يتطرق كتاب «تأريخ موسم الحج في بيت المقدس» إلى الضروري من الجوانب الشرعية فقط، ومنها: نية الحج، وزيارة القبر الشريف، وتقديس الحجة، والخرافات التي أشيعت حول الصخرة المشرفة الكائنة في المسجد الأقصى.

وقد استند المؤلف (بشير عبدالغني بركات) في توثيق معلوماته إلى بيانات محفوظة في سجلات محكمة بيت المقدس، وهي مصدر موثوق يصف عدة أحداث بدقة، وخاصة فيما يتعلق بالحياة اليومية خلال موسم الحج؛ كازدياد الطلب على الخبز والماء، وكالتموين والتعاقد والنواحي العسكرية وغيرها.

كما استعان ببعض المخطوطات والمطبوعات التي تضم بيانات مهمة ذات علاقة بموضوعات كتابه، وعلاوة على ذلك فقد رجع إلى بعض المواقع البحثية على الشبكة المعلوماتية كموقع «مدونة الصحراء» الذي انتفع به كثيرا في استيضاح بعض الأمور المشكلة.

ومن الموضوعات المهمة التي أفاض فيها الكتاب: استئذان القاضي في أداء الفريضة، ونية الحج، وزيارة القبر الشريف، وتأثير موسم الحج على الحياة اليومية في بيت المقدس، ويشمل: «التجارة، ازدهار الصناعات المحلية، ارتفاع استهلاك المياه والمواد الغذائية، الضغوط الإدارية والأمنية والقضائية، إرشاد الحجاج ومرافقتهم بهدف الاسترزاق منهم، التبرع للمسجد الأقصى، اعتناق الإسلام»، واستعداد حجاج بيت المقدس لشد الرحال إلى الحجاز، ويشمل: «تبرئة الذمة، التعاقد مع المكاريين والخدام، وسائل الركوب، تأمين الأموال المنقولة قبل السفر»، والركب الشامي، ويشمل: «أمير الحج، قضاة الركب، تمويل القافلة وتجهيزها، مراسم الانطلاق، سفر شخصيات مهمة مع الركب، مسار الركب، تعطل خروج الركب»، والركب المصري، ويشمل: «الركب الرجبي، المحمل المصري يصل بيت المقدس»، والركب الغزاوي، والركب المقدسي، ويشمل: «وفيات الزائرين، سفر المقدسيات للحج، مسار الركب وكفالته، الانطلاق من بيت المقدس بعد افتتاح قناة السويس»، ومخاطر أداء فريضة الحج، ويشمل: «قطع الطريق، العطش وتردي الأحوال الجوية، الفقر، إهمال رعاية الحجاج، سوء الرعاية الصحية وانتشار الأوبئة،»، ووفيات حجاج مقدسيين، والجردة وعودة الحجاج، ويشمل: «الجردة وتطور مفهومها، التبشير وملاقاة الأقارب، التهنئة بسلامة العودة، فقدان أقارب وتخلف آخرين في الحجاز»، وتقديس الحجة، والحج من فلسطين بعد زوال العهد العثماني، ويشمل: «أداء الحج خلال الاحتلال البريطاني، رحلة الشيخ محمد سعود العوري، أداء الحج خلال العهد الأردني، أداء الحج خلال الاحتلال اليهودي».

كما اشتمل الكتاب على ملاحق مفيدة، منها:

- ملحق عن أمراء الركب الشامي.
- ملحق عن وفيات حجاج مقدسيين.
- ملحق عن مقدسيين وزائرين حجوا مع الركب المصري.
- ملحق عن قضاة من بيت المقدس أدوا فريضة الحج خلال ولاياتهم.

لنفرح ولنتعبد

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحفي مصري

لا يحتاج الباحث لكثير عناء حتى يدرك أن موضوعا مثل البهجة، أو الفرح، أو علاقة المسلم بالدنيا كإطار أوسع؛ هو من الموضوعات التي تعرضت لسوء فهم في تاريخ الفكر الإسلامي؛ حتى شاعت بعض الاتجاهات التي حسبت التقوى بلبس الرث من الثياب، والتبطل من الأعمال، وتأديب النفس لحد القسوة.

ذلك أن مركزية عقيدة الدار الآخرة في عقل المسلم؛ بما فيها من حساب، وعدل، وجزاء، وجنة ودار خلود ونعيم مقيم، وانتصاف للمظلومين والمحرومين.. هذه المركزية قد تجعل البعض يتصور أن الإسلام يخاصم الدنيا، ويتخذ موقفا سلبيا منها ومما فيها من زينة ومتاع وبهجة.

كما أن حث الإسلام على الجهاد طوال الوقت؛ سواء اتصل ذلك الجهاد بالنفس وبحملها على المكاره ومنعها مما تحب، أو بالأعداء ودفعهم عن الظلم والفساد في الأرض؛ يعزز تلك الفكرة.

والحقيقة، أن الإسلام كما هو يمد بصر المسلم إلى الآخرة، ويجعل قلبه معلقا بها؛ فهو أيضا يشتبك مع الدنيا ويتفاعل معها؛ إبداعا واستمتاعا؛ في توازن ووسطية تمثل معلما بارزا من معالم الإسلام تجاه القضايا المتعددة.

ومن هنا، نستطيع أن نفهم النصوص الواردة بشأن ذم الدنيا، والزهد فيها، والتخفف منها؛ وتلك التي تدعو للتمتع بالطيبات، وعدم نسيان نصيب الإنسان منها، وتستنكر تحريم «زينة الله»..

ومن تلك الآيات على سبيل المثال، قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣١-٣٢). ولاحظ معي إضافة «الزينة» إلى «لفظ الجلالة»، والدلالة المهمة لذلك!

وقوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧). وقد جاءت تلك الآية الكريمة في سياق قصة قارون مع قومه بعد أن خرج عليهم في زينته مختالا فرحا؛ فقال له قومه: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ (القصص: ٧٦)، أي: «لا تبطر بما أنت فيه من الأموال. قال ابن عباس: يعني المرحين. وقال مجاهد: يعني الأشرين البطرين، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم.

الفـرح بين معنـيين

الفرح هو «لذة في القلب لنيل المشتهى». وهو «أعلى أنواع نعيم القلب، ولذته وبهجته. والفرح والسرور نعيمه، والهم والحزن عذابه. والفرح بالشيء فوق الرضا به؛ فإن الرضا طمأنينة وسكون وانشراح. والفرح لذة وبهجة وسرور؛ فكل فرح راض، وليس كل راض فرحا؛ ولهذا كان الفرح ضد الحزن، والرضا ضد السخط. والحزن يؤلم صاحبه، والسخط لا يؤلمه، إلا إن كان مع العجز عن الانتقام».

وقد ورد الفرح في القرآن والسنة ممدوحا ومذموما؛ فدل ذلك على أنه ليس له حكم بذاته، إنما يتحدد حكمه بما يرتبط به من أسباب، وما يترتب عليه من نتائج.

فمن الفرح المحمود الفرح بتحقيق طاعة الله، أو بالحصول على نعمة من نعمه التي لا تحصى؛ قال تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ (يونس:٥٨).

وقال عن حال الشهداء حين يطالعون

ما أعد الله لهم من جزاء ونعيم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ (آل عمران:١٦٩-١٧٠). أما الفرح المذموم فهو الفرح بمتاع الحياة الدنيا، والاغترار به، ونسيان صاحب الفضل والإحسان. قال تعالى عن هؤلاء المنشغلين بما آتاهم الله من نعم: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (الروم:٣٦). وقال أيضا: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ (الرعد:٢٦).

إذن، الفرح ليس ممدوحا ولا مذموما بذاته؛ وإن كان بعض العلماء يرون أنه إذا أطلق ينصرف للنوع المذموم؛ لأن نهي القرآن عن الفرح جاء بصيغة العموم: ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ (القصص:٧٦)، بينما جاءت مواضع المدح مقيدة، مثل: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس:٥٨).

لكن يجب ألا نغفل عن أن نهي القرآن عن الفرح وإن كان بصيغة العموم، فهو قد جاء تعقيبا على قصة تضرب المثل للفرح المذموم، وهي قصة قارون.. فتأمل!

في حياته ﷺ

لقد كان النبي ﷺ مع جهاده وغزواته، حريصا على أن يملأ حياته بالبهجة والفرح والاستبشار، حتى كانت نموذجا عمليا لحسن التعامل مع الطيبات، ومع ما يدخل السعادة على النفس وعلى الآخرين.

كان ﷺ يحب التفاؤل والتيامن، ويكره التشاؤم والتطير. يدعو إلى الرفق بالنفس، ويوافق سلمان الفارسي على قوله لأبي الدرداء: «إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا؛ فأعط كل ذي حق حقه». بل يدعو إلى إسعاد الآخرين ويجعل ذلك قربة يتقرب بها المسلم لربه سبحانه؛ ويجيب عندما سئل عن أحب الأعمال: «سرور تدخله على مسلم».

لم يكن ﷺ فظا، ولا غليظا، ولا قاسيا، ولا متشائما؛ بل يدعو إلى الرفق في كل شيء، «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما؛ فإن كان إثما، كان أبعد الناس منه». كان رحيما، حتى بالحيوانات والجمادات، ويهدهد الجذع حين يبكي لفراقه! يحذر من العنف والقسوة، ويقول للأعرابي الذي استنكر تقبيل الصبيان: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟».

يعلن النبي ﷺ لأصحابه في غير خجل: «حبب إلي من الدنيا النساء، والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة». وحين يسأل ﷺ عن أحب الناس إليه - وهو بين أصحابه، لا بين أهل بيته!- يجيب: عائشة، ثم أبوها. ويسابقها مرتين؛ يترك لها المجال لتفوز في الأولى، ويداعبها في الثانية بقوله: «هذه بتلك».

يحب من الشاة كتفها، ويأنف أن يأكل الضب، مع حله، لكن يعتذر عنه قائلا: «لم يكن بأرض قومي؛ فأجدني أعافه». رائحته ﷺ أطيب من المسك، ووجهه الشريف يتلألأ مع عرقه الطاهر.

فهل كانت كل هذه الأقوال والأفعال - وغيرها كثير - متعارضة مع جهاده ﷺ، أو مع تبتله وعبوديته؟!

كلا؛ غاية ما هنالك أنه ﷺ كان يعطي لكل وقت حقه، ولكل حال حقه؛ حتى نعى على أصحاب الغلو والتشدد قائلا: «إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له؛ لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي، فليس مني».

من المباحات إلى العبادات

إن المسلم ليستطيع أن يضم مساحات المباحات والطيبات - التي أحلها الله لبني الإنسان كلهم - إلى دائرة العبادات؛ متى استحضر النية الصالحة قبل العمل.. فالنوم عبادة، والأكل والشرب عبادة، وإشباع رغبات النفس عبادة؛ حتى أرشدنا الحديث الشريف: «وفي بضع أحدكم صدقة». ولما سأل الصحابة متعجبين: «يا رسول الله؛ أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟»؛ أجاب ﷺ: «أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال، كان له أجرا».

وحينئذ تتمدد دائرة العبادات لتظلل حياة الإنسان كلها، وتجعلها طاعة لله؛ ومن ثم، يزول الحرج من قلب المسلم بأن ثمة شيء من المباحات يمكن أن يبعده عن العبادة ويحرمه من نيل الأجر.. متى كان ذلك -وهذا شرط ثان- باعتدال لا سرف معه؛ فالنية والتوسط بلا تبذير يحولان العادات إلى عبادات؛ ولذلك حذر القرآن من الإسراف في المباحات فقال: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١).

فليكن شعار المسلم في الحياة: لنفرح.. ولنتعبد.. وليقبل على الطيبات وعلى «زينة الله» يشبع منها رغبات نفسه بلا إسراف، مستحضرا النية الصالحة، متذكرا أنه في كل حالاته ينبغي أن يكون عبدا لله، لا تستثنى حالة من تلك؛ سواء كان في محراب المسجد أو في ساحات الحياة؛ موقنا أن الله سبحانه لا يريد بعباده عسرا، ولا يوقعهم بتشريعاته في حرج؛ بل التيسير والرفق منهج الإسلام، وسعادة الإنسان في الدارين غايته.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧).

البهجة المطمئنة

د. هبة رءوف عزت
أكاديمية مصرية

تعامل الإسلام مع النفس الإنسانية في أطوارها وسياقاتها المتنوعة تعاملا رفيقا، وجعل توازنها وعافيتها من أهم المقاصد والغايات، لأن ذلك سبيلها لحسن القيام بالتكليف والعيش الطيب الذي ارتضاه الله لعباده.

وليست البهجة ترفا حين تشتد المحن، فتحصيل السعادة غاية كل إنسان، لكن المؤمن ينشد سعادة الدنيا والآخرة، فهو في لحظات السعادة لا يغتر بالفرح، وهو عند نقصانها مع تقلب أحوال العيش من الصابرين الشاكرين.

وتستوقفنا عند قراءة كتاب الله تلك الرابطة بين البهجة والكون وأصل النشأة والبعث والآخرة، فنجد البهجة تقترن بالنبات والزرع: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ (النمل:٦٠ و٦١).

وفي موضع ثان نجد هذه النقلة بين الخلق والبعث وآيات الله في الكون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ (الحج:٥).

وفي موضع آخر يتكرر ذلك: ﴿و وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ (ق:٧).

وقد نظرت في سبب ارتباط البهجة التي يشعر بها الإنسان حين ينظر إلى النبات، فوجدت أن بيننا وبينه رابطة وصلة قويتين، فالله تعالى يقول في كتابه الحكيم: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ (نوح:١٧ و١٨).

ويصف مريم البتول وصفا مشابها: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ (آل عمران:٣٧).

ووصف المؤمنين بالزرع: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ

﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ (الفتح:٢٩).

فهناك رباط بين الإنسان والنبات يخلق هذه الوشيجة التي تضفي على النفس البهجة حين يجد نفسه في وسط اللون الأخضر، الذي جعله القرآن من أوصاف الجمال في الدنيا والآخرة.

البهجة إذن ليست الفرحة التي تقترن بزمن أو مناسبة كعيد ونحوه، بل هي انشراح النفس حين تنفتح على كون الله، ووعيها بأنها كالزرع تذبل وتموت إن لم ترتو بماء العبادة، وأن كل زرع يذبل، وتصبح صورة الماء الذي يحيي الزرع كالنعمة التي يحيي الله بها القلب، لذلك يقترن الماء بالبهجة والنبات، والغيث بالرحمة.

وتتعدد في كتاب الله الآيات التي تربط بين الماء والزرع والإحياء والبعث.

وفي سنة رسول الله ﷺ نجد هذا المعنى الباطن للبهجة المقترن بالتأمل والنظر، والذي يقترن فيه التفكر باليقين والتأمل بالعبادة والخشوع.

ولأن النفس لا تطيق غياب البهجة عنها، ذلك الشعور بالجمال وتلك الرؤية لآثار نعمة الله، نجد الآيات القرآنية تترفق بقلب الرسول ومن ورائه أمة الدعوة: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ (الكهف: ٦ و٧).

فمصدر البهجة للمؤمن هو مصدر الابتلاء للكافر.

ويقول تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۚ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ (فاطر:٨).

البهجة إذن زاد للنفس الطيبة، وهي من طيب الحياة التي ارتضاها الله لأهل الإيمان، لا تصرفهم عن العبادة، ولا تنسيهم الآخرة، وتربطهم بالكون.

لذلك، يمكننا أن نصف البهجة في الإسلام بأنها «البهجة المطمئنة»، ليست البهجة الصاخبة، بل البهجة السارية، التي تصاحبها السكينة ويرويها اليقين.

تلك الأحوال هي التي تعين تلك النفس المطمئنة على مواجهة الشدائد والصبر على الكدح والكبد، فهي بهجة غير مؤجلة ولا منسية، بل تسري في حياة المؤمن كما يجري الماء، وتورث قلبه اخضرارا وروحه عافية وقلبه سلامة، وتورثه تلك السعادة التي ينشدها.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ (هود:١٠٨).

غذاء الأرواح بالمزاح

التحرير

جاء في كتاب «غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح» أن النفس تمل، كما أن البدن يكل، وكما أن البدن إذا كل طلب الراحة، كذلك النفس إذا ملت طلبت الراحة.

وفي الكتاب:

١- قال بعض السلف: حادثوا هذه النفوس، فإنها سريعة الدثور. كأنه أراد احتملوها واجلوا الصدى عنها، وأعدوها قابلة لودائع الخير، فإنها إذا دثرت، أي: تغطت، وصديت لم ينتفع بها.

٢- وقيل لخالد بن صفوان: أتمل الحديث؟ قال: إنما نمل العتيق. والحديث معشوق الحسن بمعونة العقل، ولهذا يولع به حتى النساء والصبيان.

٣- وقال الإمام عمر بن عبدالعزيز: إن في المحادثة تلقيحا للعقول، وترويحا للقلب، وتسريحا للهم، وتنقيحا للأدب.

٤- وقال أبو سعيد السيرافي: سمعت ابن السراج يقول: دخلنا على ابن الرومي في مرضه الذي قضى فيه، فأنشدنا:

ولقد سئمت مآربي
فكأن أطيبها خبيث

إلا الحديث فإنه مثل اسمه أبدا حديث، لاسيما إذا كانت المحادثة والممازحة بين الإخوان أهل الصفاء، والمحبة والوفاء، فإن ذلك روح الروح وغذاء النفس.

٥- قال عبدالملك بن مروان رحمه الله لبعض جلسائه: قد قضيت الوطر من كل شيء إلا من محادثة الإخوان في الليالي الزهر على التلال العفر.

٦- وقال سليمان بن عبدالملك: قد ركبنا الفاره، وتبطنا الحرير، ولبسنا اللين، وأكلنا الطيب، وها أنا اليوم أحوج مني إلى جليس يضع عني مؤونة التحفظ، ويحدثني بما لا يمجه السمع، ويطرب إليه القلب. إذا تقرر هذا، فاعلم أيدك الله، أنه لا بأس بالمزح الخالي عن سفاسف الأمور وعن مخالطة السفلة ومزاحمتهم، بل بين الإخوان أهل الصفاء بما لا أذى فيه ولا ضرر، ولا غيبة ولا شين، في عرض أو دين، بل ربما لو قيل: يندب، لم يبعد، إذا كان قاصدا به حسن العشرة والتواضع للإخوان، والانبساط معهم، ورفع الحشمة بينهم، من غير استهزاء أو إخلال بمروءة أو استنقاص بأحد منهم.

٧- وبالجملة، فإن المزح في مقام يقتضيه لا ملام فيه، بل قيل لسفيان: المزاح هجنة؟ فقال: بل سنة، لقوله عليه الصلاة والسلام:

«إنـي لأمـزح ولا أقـول إلا الحـق»، فالعاقل يتوخى بمزحه إحدى حالتين: إما إيناس المصاحبين، والتودد إلى المخاطبين.

٨- قال سعيد بن العاص لابنه: اقتصد في مزحك، فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرئ السفهاء، وإن التقصير فيه يفض عنك المؤانسين، ويوحش منك المصاحبين.

وإما أن يزيل بالمزاح ما طرأ عليه من سأم أو ما حدث به من هم أو غم.

٩- وقيل للخليل بن أحمد: إنك تمازح الناس! فقال: الناس في سجن ما لم يتمازحوا.

١٠- وكان ابن عباس رضي الله عنه إذا أكثروا عليه في مسائل القرآن والحديث، يقول: خذوا في الشعر وأخبار العرب.

١١- وعن عطاء بن السائب، قال: كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا، وربما لم يقم حتى يضحكنا.

١٢- وسأل رجل الشعبي عن المسح على اللحية، فقال: خللها بأصابعك، فقال: أخاف أن لا تبلها، فقال الشعبي: إن خفت فانقعها من أول الليل.

١٣- وسأله آخر: هل يجوز للمحرم أن يحك بدنه؟ قال: نعم. قال: مقدار كم؟ قال: حتى يبدو العظم.

١٤- وسئل عن أكل لحم الشيطان، فقال: نحن نرضى منه بالكفاف.

١٥- وقال له رجل: ما اسم امرأة إبليس؟ فقال: ذاك نكاح ما شهدناه.

١٦- وقال: من فاتته ركعة الفجر فليلعن الثقلاء.

١٧- وكان حماد بن سلمة إذا رأى من يستثقله يقول: ﴿رَبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ (الدخان: ١٢).

١٨- وقال ابن شهاب: إذا ثقل عليك الجليس فاصبر، فإنها ربطة في سبيل الله، فإذا أبرمك وملّك بحديثه، فجاهد بقيامه عنك أو قيامك عنه.

١٩- وكان يزيد بن هارون يقول للانسان إذا استثقله: اللهم لا تجعلنا ثقلاء.

٢٠- وحج الأعمش فلما أحرم لاحاه الجمال في شيء، فرفع عكازه، فشجه به، فقيل له: يا أبا محمد! وأنت محرم؟ فقال: إن من تمام الحج شج الجمال.

٢١- وقال ابن عياش: رأيت على الأعمش فروة مقلوبة، صوفها إلى خارج، فأصابنا مطر، فمررنا على كلب، فتنحى الأعمش، وقال: لا يحسبنا شاة.

٢٢- وسئل الأعمش عن الصلاة خلف الحائك، فقال: لا بأس على غير وضوء. قيل له: فما تقول في شهادته؟ فقال: تقبل مع شاهدي عدل.

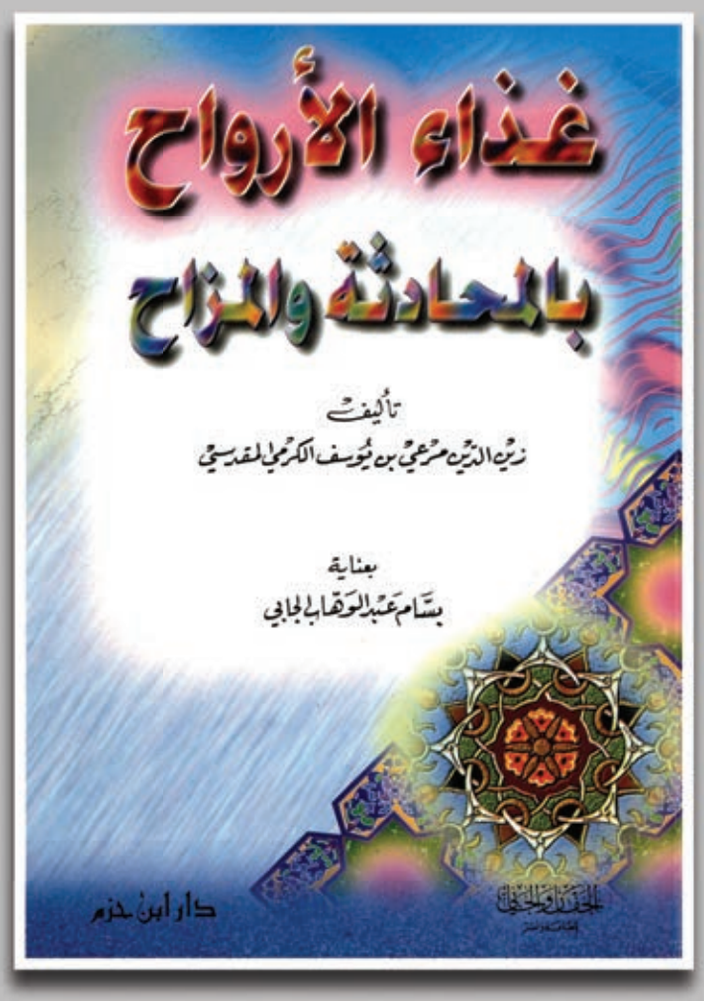

٢٣- وقيل للأعمش: ما عوضك الله من ذهاب بصرك؟ قال: ألّا أرى به ثقيلا.

٢٤- وكان إذا رأى ثقيلا شرب الماء وقال: النظر إلى وجه الثقيل حمى نافض، والحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء.

٢٥- ويحكى أن رجلا ثقيلا كان يجلس إليه، فقال: والله إني لأبغض شقي الذي يليه إذا جلس إلي.

٢٦- ووقع بين الأعمش وبين امرأته وحشة، فسأل بعض أصحابه، وقال لأبي حنيفة أن يصلح بينهما، فقال لها: هذا سيدنا وشيخنا أبو محمد، فلا يزهدنك فيه عمش عينيه، وحموشة ساقيه، وضعف ركبتيه، وقزل وجليه، وجعل يصف، فقال الأعمش: قم عنا قبحك الله، فقد ذكرت لها من عيوبي ما لم تكن تعرفه.

٢٧- وقال الربيع: دخلت على الشافعي رحمه الله وهو مريض، فقلت له: قوى الله ضعفك، فقال: لو قوى ضعفي قتلني.

فقلت: والله ما أردت إلا الخير. فقال: أعلم أنك لو تشتمني لم ترد إلا الخير.

٢٨- قال بعضهم: وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «وقو في رضاك ضعفي». وإنما أراد الشافعي مباسطة الربيع، وإن كان دعاؤه صحيحا.

٢٩- وكان القاضي أبو يوسف رحمه الله يجلس بجانبه رجل فيطيل الصمت، فقال له: ألا تتكلم! فقال: متى يفطر الصائم؟ فقال أبو يوسف: إذا غابت الشمس. قال: فإن لم تغب إلى نصف الليل؟ فضحك أبو يوسف، وقال: أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعاء نطقك.

اللهو المباح في العصر الحديث

التحرير

يعتقد كثير من الناس أن كلمة اللهو لا تنصرف إلا إلى اللهو المحرم، وأنه لا توجد في الدين فسحة من الوقت للترويح عن النفس، ومن ثم فقد انصرفوا إلى ما يصدر عن الغرب يعبون منه عبا، وفي معتقدهم أنه يحمل صورة الكمال في كل شيء، لا فرق بين الغث والثمين، ولا الطيب والخبيث، مع أن ديننا لو نقبوا فيه لوجدوه لم يدع كبيرة ولا صغيرة فيها صلاح دنيانا وأخرانا إلا حثنا عليها، أفرادا وجماعات ودولا، فالإسلام منهج حياة تتحقق به أسباب السعادة في الدارين.

والنفس الهادئة المطمئنة تقبل على مواجهة الحياة وقد دب فيها الأمل، وشع فيها حب العمل من غير اكتئاب أو تقصير. وإن مجتمعا استقر واطمأنت نفوس أفراده هو مجتمع قادر على الخلق والإبداع في كل شؤون الحياة، ومن ثم يتحقق رقيه وتقدمه.

ولاشك في أن مجتمعا يأخذ أفراده بحظ من الترويح من دون إسراف أو مغالاة هو مجتمع متآلف متعاون على كل ما من شأنه تحقيق سوية هذا المجتمع، إذ لا يصل المجتمع إلى الذروة والهمم منحطة في نفوس أفراده، ولا تعلو لهم أو ترتفع العزائم إلا بقدر صفاء النفس وتوافر النشاط من بعد ترويح لا إسراف فيه.

أما الجانب الاقتصادي فمتوقف على مدى صلاحية الجانبين النفسي والاجتماعي، فالإتقان في العمل والزيادة في الإنتاج والكفاءة العالية في النهوض بالمهام، كل ذلك في حاجة إلى نفوس مطمئنة وادعة، وإلى مجتمع غير مغلوب على أمره أو يدفع إلى العمل دفعا.

صور من مزاح النبي ﷺ مع الأطفال

لم يكن مزاحه ﷺ ليقف عند الرجال والنساء، ولكنه كان مع الصغار يبش لهم ويبعث فيهم روح الدعابة والمرح، وهذا من شأنه بث الطمأنينة في نفوس الأطفال واستشعارهم الاطمئنان نحو شخص رسول الله ﷺ.

ومما يروى في هذا الصدد أن عبدالله بن الحارث رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يصف (أي يجعلهم صفوفا) عبدالله وعبيدالله وكثيرا بني العباس رضي الله عنهم ثم يقول: «من سبق إلي فله كذا وكذا»، فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم».

وقال أبو الدرداء: «إني لأستجم قلبي من اللهو «المباح» ليكون أقوى لي على الحق». ومن قول عبدالله بن مسعود: «إن للقلوب شهوة وإقبالا، وفترة وإدبارا، فخذوها عند شهوتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها».

وكان يقال: «الملالة تفسخ المودة، وتولد البغضة، وتنغص اللذة».

وفي صحف إبراهيم عليه السلام: «وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل، فإن هذه الساعة عون له على سائر الساعات».

يقول الإمام الغزالي في الإحياء، وهو من قدامى علماء الإسلام: «ينبغي أن يؤذن له (أي يصرح للصبي) بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب الكتب، وبحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب، وإرهاقه بالتعليم الدائم يميت قلبه، ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا». ومن المعلوم أن الحكمة من هذا اللعب إزالة ما يحس به الولد من السآمة والملل والتعب، وتجديد لنشاطه وحركته، وصفاء لذهنه، وترويض لجسمه من أن يصاب بالأمراض والآفات.

فضروب اللهو المباح إنما رخص فيها لا لتكون ديدن المسلم وعادته، بل ليستريح إليها من تعبه ونصبه، إذ إنه «لا بأس على المسلم أن يلهو ويمرح ويتفكه، على ألا يجعل ذلك عادته وخلقه، ويملأ بها صباحه ومساءه، فيهزل في موضع الجد ويعبث ويلغو في وقت العمل».

تحت هذا العنوان كتب د. فاخر عاقل «وهذا النوع من التربي نفتقده في المجتمع العربي. ولاشك أن من واجبات البيت أن يفسح المجال فيه للعمل كما يفسح المجال فيه للراحة، وهذا أمر مع الأسف لا يعترف به في البيت العربي. إن إحدى نقائصنا الكبرى أننا شعب لا نعرف كيف نلعب، ولا نعرف كيف نستجم، ولا نعرف كيف نستمتع بالراحة. وهنا نرجو أن نفرق بين الراحة والاستجمام واللعب بالمعنى التربوي الصحيح وبين هدر الوقت والانصراف عن العمل المجدي، ذلك بأن الفرق كبير جدا، وذلك بأن الراحة الصحيحة والاستجمام الصحيح لا تقل أهميتهما عن أهمية العمل الصحيح. والحق أن الذي لا يعرف كيف يرتاح

لا يعرف كيف يعمل، ولا يستطيع أن يعمل. والحقيقة أن مفاهيمنا عن اللعب والتعامل معه خاطئة. ففي بيوتنا اللعب محرم على الصغار بحجة أنهم يزعجون الكبار، واللعب محرم على الكبار بحجة ما يدعونه لأنفسهم من وقار. إذا لعب الطفل خرب وأضر، وإذا لعب الكبير أسف وألحق بعائلته الأذى. أما الرياضة والتريض والنزهة والاستجمام والرحلة والتخييم وما إلى ذلك من نشاط يعود على صاحبه بخير وفائدة فإنها أمور يجهلها معظمنا».

الآداب التي تجب مراعاتها عند اللهو

قبل أن نتعرض لأنواع اللهو المباح نتعرف على الآداب التي تجب مراعاتها عند اللهو بصفة عامة، وسوف نفرد لكل نوع منها آدابا خاصة والله الموفق:

أجمع الفقهاء والأئمة على أن مقاصد الشريعة الإسلامية تحث على:

حفظ الدين، حفظ العقل، حفظ النسل، حفظ النفس وحفظ المال.

لذا يراعى:

١- ألا يجعل المسلم الناس محل مزاحه لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ (الحجرات:١١).

٢- أن يحفظ اللاعب لسانه عن الفحش ورديء الكلام.

٣- عدم الإسراف في المال والوقت لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ (الفرقان:٦٧).

٤- لا يتخذ من مادة مزاحه الكذب ليضحك الناس، فلقد حذر رسول الله ﷺ من ذلك فقال: «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ويل له، ويل له».

٥- ألا يكون هذا اللهو هو داؤه وديدنه، فإنما أفلح المؤمنون لأنهم كانوا عن اللهو معرضين.

٦- ألا يؤخر بسببه - أي اللهو، شريطة أن يكون مباحا - عملا واجبا، وألا يسهر، لأنه ﷺ كره النوم قبل العشاء والحديث بعدها إلا أن يكون في مجلس علم.

٧- ألا يكون على قمار أو ما أشبه.

٨- أن يكون اللهو خاليا من الإثارة وأدوات الهدم.

٩- ألا يصاحبه محرم (آلات موسيقية - شرب خمر- مجون).

١٠- ليس فيه هدر لكرامة الإنسان.

١١- ألا تكشف فيه عورة.

١٢- ألا يكون فيه شيء من العنف الأعمى لمجرد الفوز، مثل ما يقال بالضربة القاضية، أي المعجزة القاتلة.

١٣- ألا يكون الغرض منه تمجيدا ومفاخرة وليس تمرينا ومثابرة.

اللعب بالمراجيح

يعد اللعب بالمراجيح للأطفال مما جوزه العلماء بعدما استدلوا على ذلك بحديث عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة، فنزلنا في بني الحارث بن خزرج، فوعكت فتمزق شعري فوفى جميمة، فأتتني أمي أم رومان، وإني لفي أرجوحة، ومعي صواحب لي، فصرخت بي فأتيتها، لا أدري ما تريد بي فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمتني إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين».

الرسم والأشغال وتربية الحيوان

وكما ضرب الله الأمثال للناس ليسهل عليهم فهم مقاصده، فإن رسول الله ﷺ انتهج هذا النهج التربوي في توضيح ما قد يستبهم أو يستغلق على فهم بعض المسلمين من صحابته رضوان الله عليهم، أو لتقريب مراده من الأذهان، وهذا المنهج في التعليم هو ما يسمى بوسائل الإيضاح في العصر الحديث.

● المرجع: «اللهو المباح في العصر الحديث بما يوافق الشرع الحنيف» للمؤلف إبراهيم بن محمد.

أسباب السعادة في سورة الانشقاق

خديجة أحمد
باحثة إسلامية

سورة الانشقاق من السور القرآنية العظيمة، التي يتبين فيها أسباب السعادة من خلال معنى نفس كلمة الانشقاق، والتي معناها في اللغة من مصدر انشق وهي الانفصال عن شيء.

والحقيقة أن السورة القرآنية والتي تعد آياتها مكية وعددها خمس وعشرون آية، تبين كيف يكون الانشقاق والانفصال طاعة لأمر الله تعالى، هو سر السعادة، وانفتاح الكون لما هو أفضل، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ «من ترك شيئا لله، عوضه الله خيرا منه» (قال الألباني إسناده صحيح). كما تبين كيف يكون الانشقاق عن طاعة الله تعالى هو طريق الهلاك، والعياذ بالله.

ومن أبواب السعادة التي يعلمنا الله تعالى في تلك السورة:

الطـاعة وتقـوى الله

يقول الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (الانشقاق:١-٥).

وهكذا تبدأ السورة برؤية السماء وهي تطيع أمر الله تعالى بالانشقاق إيذانا بموعد يوم القيامة، وكذلك تتشق الأرض عن عادتها وتطيع الله تعالى فيما أمر، دون تردد لتمتد وتلقي ما في بطنها من الأموات، وقد حق على الأرض والسماء الطاعة، فقد أشفقن من حمل الأمانة التي وافق الإنسان على حملها.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: «فعرض الله هذه الأمانة على أعيان السموات والأرض والجبال»، هذا قول ابن عباس وجماعة من التابعين وأكثر السلف، فقال لهن أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قال: إن أحسنتن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن، فقلن: لا يا ربنا، نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا، وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله أن لا يقمن بها.. لا معصية ولا مخالفة، وكان العرض عليهن تخييرا لا إلزاما، ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها، والجمادات كلها خاضعة لله عزوجل، مطيعة ساجدة له، كما قال جل ذكره للسموات والأرض: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ (فصلت:١١)، وقال للحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة:٧٤)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ (الحج:١٨).

فيا ترى ماذا عن الإنسان؛ وقد قبل تلك الأمانة وعاهد الله تعالى على الطاعة والالتزام، وإن كان هناك شاهد على هذا الالتزام فهذه الصلوات الخمس قد شهدت بما هو عليه من الالتزام بوقتها وشروطها وأدائها دون إخلال أو تأجيل، فالصلاة عماد الدين، ومع بساطتها وقصر وقتها فهي تدل على فساد العمل أو صلاحه، فقد قال رسول الله ﷺ «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله» (قال المنذري: لا بأس بإسناده).

فيا ترى هل انشق الانسان عن أعمال

الدنيا كي يتفرغ للصلاة في وقتها، كما أطاعت السماء والأرض؟، فالحقيقة أن لزوم الصلاة وترك الأعمال الدنيوية لأدائها ما هو إلا بركة في تلك الأعمال، ففي الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود أنه سأل النبي ﷺ: أي العمل أو أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها» قال: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» وفي لفظ: «الصلاة لوقتها» وهو في الصحيحين.

وعند الترمذي: «على مواقيتها».

والمراد بذلك: الصلاة أول الوقت.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: «قال ابن بطال: فيه أن البدار إلى الصلاة في أول وقتها أفضل من التراخي فيه».

فعلى الإنسان تحري وجوه الطاعة، ومن أفضلها الصلاة، والتي كانت من أولويات ذكرها هنا، وغيرها من الأعمال الصالحة والطاعات، والتي ينشق فيها عن أهوائه لإقامتها والعمل بها، لتكون سببا في سعادته وهنائه في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة، كما قال تعالى ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (النحل:٣٠).

الالـــــتزام

ثم ينتقل الله تعالى إلى التيسير لتلك الطاعة، وهو تيسير له نتائج متعلقة في يوم القيامة، فيقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ (الانشقاق:٦-١٥).

فالإنسان قائم عامل في كل الأحوال، وهو في كل حياته يكون ساعيا مجتهدا، سواء كان عمله لله تعالى أو لغيره، والفرق أن العمل لله تعالى يكون مصحوبا بالسعادة والهناء في الدنيا والآخرة، وليس الدنيا فقط، حيث يقول الله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۝٢٠٠ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝٢٠١ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (البقرة:٢٠٠-٢٠٢).

فالحياة حلوة خضرة، وما يزيدها جمالا هو طاعة الله تعالى والإخلاص له، كما قال رسول الله ﷺ «الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها.

فينظر كيف تعملون» (صحيح مسلم).

فإخلاص النية لله في العمل هو ما يفرق بين الفائز والخاسر، وبين من استلم كتابه بيمينه وبين من استلمه بشماله وراء ظهره، والأمر لا يعدو سوى فصل الإنسان بين أهوائه وما أمر الله تعالى به، وهو أمر مع سهولته فهو يحتاج الاستعانة بالله تعالى، لما يواجه الإنسان من تحديات تحول بينه وبين تحقيق هدفه في إرضاء ربه وإرضاء نفسه في آن واحد، وهذا لن يحدث إلا بحرص الإنسان على عبادة الله وتقواه، والدعاء الدائم بالهداية وطلب العون من الله.. من ذلك ولذلك نذكر تلك الآيات الكريمة في كل صلاة ونقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة:٥-٦)، فلا حول ولا قوة إلا بالله تعالى، وهي التي تقود ليكون الإنسان في صف من أنعم الله تعالى عليهم، ولن يتحقق إلا بشعور الإنسان بوجود الله تعالى معه، وهو شعور لن يتولد إلا بطلب العون من الله، وطلب المساعدة وكثرة ذكر الله تعالى فيما يقوم به، ففي الحديث كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس، فأتاه جبريل فقال: «ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث، قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

التدريب العملي

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۝١٦ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ۝١٩ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۝٢١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (الانشقاق:١٦-٢٥).

فالتدريب العملي يقوي الإيمان بما يحمله من مشاهدة حية تؤكد الفكرة وتثبتها في القلب، وتستأنس بها النفس، يقول الجرجاني في أسرار البلاغة في علم البيان: «إننا نعلم أن المشاهدة تؤثر في النفوس مع العلم بصدق الخبر، فأنت إذا قلت للرجل: أنت مضيع للحزم في سعيك، وطالب لما لا تناله، ثم عقبته بقولك: وهل يحصل في كف القابض على الماء بشيء مما يقبض عليه؟ ولو كان الرجل على طرف نهر في وقت مخاطبة صاحبه وإخباره له بأنه لا يحصل له سعيه على شيء فأدخل يده في الماء وقال: انظر هل حصل في كفي من الماء شيء؟ كذلك أنت في أمرك، كان لذلك ضرب من التأثير الزائد على القول والنطق بذلك دون العمل مما يدل على أن التمثيل بالمشاهدة يزيد أنسا» فالأمر هنا لا يتعلق بالاختيار والالتزام بهذا الاختيار فقط، وإنما يقدم لنا الله تعالى آيات من التدريب العملي الذي يساعد على هذا الالتزام وتقوية الصلة بالله تعالى، سواء بالنظر لآيات الكون من حولنا أو بالإيمان بقضاء الله وقدره في أحوالنا، فيقسم الله تعالى بآيات الكون، ومن ذلك سجود الشمس لله تعالى بغروبها، ففي الحديث قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: «تدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم» (صحيح البخاري).

ويقسم الله تعالى بالليل والقمر إذا تكامل نوره واستدار، وكلها آيات عملية للتأمل، والتأمل من أقوى العبادات، وهي تقرب الإنسان من الله تعالى، وتعينه على تلك الطاعات التي أمره بها، ولقد كان من عادة الرسول ﷺ أن ينظر ويتفكر ويرفع رأسه إلى السماء؛ ففي الحديث عن عبدالله بن عباس: «بت عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد، فنظر إلى السماء فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران:١٩٠)، ثم قام فتوضأ واستن، فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى الصبح».

ثم تنقلنا الآيات إلى السجود العملي لله تعالى، للتناغم مع آيات الكون وفعلها من الخضوع والخشوع، وهو سجود عملي تتطلبه الآيات القرآنية في قوله ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ (الانشقاق:٢١)، وهي نفس الآيات التي تفرق عمليا بين من أطاع الله تعالى واختار طريق السعادة؛ وبين من أبى وكفر وعاند واختار طريق الشقاء، فكان من آمن وعمل صالحا بما آمن به من ذوي الحظ السعيد، ولكن مع كل ذلك يجب أن نعلم أنه في كل الأحوال؛ فإن الله عزوجل له المنة على أهل الجنة، فهم دخلوها بفضله ورحمته أولا وأخيرا، لا بأعمالهم، فله عليهم المنة دائما، فكانت ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس:١٠).

النور

ادفع فقط أجرة البريد

- في الكويت
  1.5 دينار
- الدول العربية
  3 دنانير
- باقي دول العالم
  8 دنانير

تودع أجرة البريد في حساب المجلة

رقم الحساب المصرفي الدولي:

KW15KFHO 000000000011010074520

أو ترسل في شيك أو حوالة باسم مجلة «النور»
إلى عنوان المجلة المثبت أدناه

مجلة «النور» ص.ب 24989 الصفاة 13110 ـ الكويت

هاتف: 22964236 وفاكس: 22409414

شبكة الإنترنت: WWW.kfh.com

البريد الإلكتروني: alnoormag@kfh.com

محنة القضاة: الخوارزمي نموذجا

د. محمود محمد خلف
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة الأزهر

القضاء هو الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي، وقطعا للنزاع بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة. وهو من أهم الوظائف التابعة للخلافة. يقول ابن خلدون: «فاعلم أن الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والفتيا والقضاء والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الإمامة الكبرى. أما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة، لأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات».

ولست هنا بصدد الحديث عن شروط القاضي، وكيفية تعيينه وعزله، فذلك مذكور في كتب النظم الإسلامية، والذي يهمني في هذا التمهيد الموجز أن نوضح أن نظام القضاء في مصر نشأ بسيطا ثم أخذ يتطور بمرور الزمن، إذ لم تكن أحكام القضاة تدون في أول الأمر، حتى أصدر القاضي سليم بن عتر التُجيبي أول سجل قضائي في مصر، وذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٨٠ م)، ومن وقتها صار تقليدا لمن جاء بعده من القضاة. وكان القاضي يستمد أحكامه القضائية من مصادر الشريعة الإسلامية، ونعني بها: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والاجتهاد، والقياس.

ومن الجدير بالذكر، أن أعمال القضاة كانت تمتد إلى الإشراف على ديوان الأحباس (الأوقاف) الذي عُرف في مصر منذ سنة (١١٨هـ/٧٣٦م) ويعد القاضي توبة بن نمر الحضرمي في خلافة هشام بن عبدالملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م) أول قاض بمصر يضع يده على الأحباس، بعد أن كانت تظل بأيدي أهلها وبأيدي أوصيائهم. فلما تولى توبة قال: «ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء والمساكين، فأرى أن أضع يدي عليها حفظا لها من الضياع والتوارث». فلم يمت توبة حتى صار الأحباس ديوانا عظيما، فذلك أول إنشاء ديوان الأوقاف بمصر.

يضاف إلى ذلك، أن سلطة القاضي اتسعت حتى كان ينظر في حقوق المسلمين العامة، وفي مصالح الطرقات والأبنية، وقد تضاف إليه الشرطة، والمظالم، والحسبة.

● أبوبكر الخوارزمي (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م):

هو القاضي محمد بن أبي الليث

ابن شداد الإيادي، أبوبكر الخوارزمي، أصله من خوارزم قدم إلى مصر عام (٢٠٥هـ/٨٢٠م) لطلب العلم، وكان يعمل وراقا على باب الواقدي، ثم صار فقيها حنفيا، فارتفع شأنه بين المصريين، وذاع صيته بين الناس، فولاه الخليفة المعتصم العباسي (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م) في ربيع الآخر سنة (٢٢٦هـ/٨٤٠م) قضاء مصر.

كانت أول قضية نظر فيها الخوارزمي، مسألة الأحباس، فوضع يديه عليها مخالفا بذلك مذهبه الحنفي، وأرسل مناديا في ربوع مصر ينادي: «برئت الذمة من رجل كان في يده شيء من مال يتيم أو غائب إلا أحضره» فتسارع الناس إلى إخراج ما في أيديهم من هذه الأموال، وأدخلوه في بيت المال، خوفا من سطوته بهم. ومن الجدير بالذكر، أن القاضي كان يباشر الأحباس بنفسه، وجعل لها ديوانا بخطه، وقضى في كثير منها. وكان يقول: «لقد هممت أن أضع يدي على كل حبس بمصر يتولاه أهله مما ليس له ثبت في ديوان القضاة احتياطا له» ولكنه لم يفعل. قال الحارث بن مسكين؛ الذي ولي القضاء بعده: «ليته فعل ما عزم عليه من ذلك».

ولعل الذي حمله على وضع يده على الأحباس وإدخالها في بيت المال سوء تصرف بعض القضاة السابقين، ومنهم القاضي يحيى بن ميمون الحضرمي (١٠٥-١١٤هـ/٧٢٣-٧٣٢م) الذي عزله الخليفة هشام بن عبدالملك (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٤ ٧٤٣م) لما بلغه أنه لم ينصف يتيما احتكم إليه بعد بلوغه. كما اتهم هذا القاضي بأن كتبته كانوا يقبلون الرشوة، وهو يعلم ذلك ولا ينهاهم. وقيل كذلك إن القاضي عبدالرحمن بن عبدالله العمري (١٨٥-١٩٤هـ/٨٠١-٨٠٩م) جمع من الرشوة أموالا كثيرة.

كما حكم على القاضي السابق هارون ابن عبدالله (٢١٧-٢٢٦هـ/٨٣٢-٨٤٠م) برد الأموال التي أخذت من بيت المال، وذلك بعد أن ناظره مرة بعد أخرى، حتى ثبت أن القاضي كان يدع المفتاح مع بعض العاملين غير الثقات، فسرقوا بعض هذه الأموال، مع أن القاضي هارون بن عبدالله -والحق يقال- كان ثقة، عادلا في أحكامه. حتى قال بعض أهل مصر: «ما رأيت قاضيا مثل هارون بن عبدالله، ما استفاد عندنا إلا دارا، فلما انصرف باعها وتحمل ثمنها» إذن، كان الخطأ في سوء الأحوال الإدارية من جانب القاضي، حيث كان يعطي ثقته فيمن لا يستحق، وإن كان هو ثقة في نفسه.

على كل حال، بدأ القاضي الخوارزمي حكمه في مصر بإقامة العدل بين الرعية، فسعد به المصريون، حتى أطلت الفتنة برأسها على العالم

الإسلامي من مقر الخلافة الإسلامية (العباسية) ببغداد، وأعني بها فتنة خلق القرآن الكريم على يد الخليفة المأمون العباسي (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م)، ولكن مصر كانت في مأمن وقتئذ من هذه الفتنة. وعندما تولى المعتصم العباسي (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م) الخلافة، حمل الناس على القول بخلق القرآن، وأرسل إلى واليه على مصر كيدر بن نصر بن عبدالله (٢١٧-٢١٩هـ/ ٨٣٢-٨٣٤م) في جمادى الآخرة سنة (٢١٨هـ/ ٨٣٣م) يأمره بأخذ الناس بخلق القرآن.

ولعل المصريين لم يقوموا بمعارضة القاضي في البداية نظرا لعدله، أو لأن المحنة لم تطل أحدا من المصريين حتى ذلك الوقت. يذكر الكندي أن أمر المحنة كان سهلا في خلافة المعتصم «فلم يكن الناس يؤخذون بها شاءوا أو أبوا، حتى مات المعتصم وقام الواثق سنة (٢٢٧هـ/٨٥١م) فأمر أن يؤخذ الناس بها، وورد كتابه على محمد بن أبي الليث بذلك «وكأنها نار أضرمت» في مصر».

كان الخليفة الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤٢-٨٤٧م) يقول بخلق القرآن عن علم وعقيدة، لأنه كان مثقفا ثقافة واسعة لا تقل عن المأمون إن لم تزد عليه، فمن ثم أمر بامتحان الناس. على حين كان قاضي مصر محمد ابن أبي الليث الخوارزمي، من أشد الناس تحمسا للقول بخلق القرآن، لذا فقد عذّب كل من خالفه الرأي، وكان رأسهم فقهاء المالكية والشافعية، فاضطهدهم، واستغل المحنة لتعذيبهم والإيقاع بهم. وكان بجانبه شاعر مصر، إذ ذاك الحسين بن عبدالسلام الجمل، يشيد بذكره ويتشفى ممن نكل به ولم يسلم أحد؛ من فقيه ولا محدث ولا مؤذن ولا معلم، حتى أُخذ بالمحنة. فهرب كثير من الناس وملئت السجون ممن أنكر القول بخلق القرآن. ثم أمر القاضي الخوارزمي أن يكتب على المساجد: «لا إله إلا الله رب القرآن المخلوق»، ومنع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي من الجلوس في المساجد وأمرهم ألا يقربوه.

محنة الفقهاء

ولا بأس أن ألقي بعض الضوء على محنة الفقهاء والعلماء المصريين الذين تعرضوا للفتن على يد القاضي الخوارزمي كي نثبت بالأدلة التاريخية التي لا تدع مجالا للشك أن العلماء والفقهاء المصريين قد تعرضوا لكثير من الفتن والاضطهاد، بما لا يقل عن علماء بغداد، وفي نفس الوقت، نرد على بعض الباحثين الذين ما فتئوا يكررون: «إن أمر المحنة في مصر كان سهلا خفيف الوطأة على المصريين، فلم يقاسوا بسببها إلا بضع سنوات في عهد الخليفة الواثق.. ولكننا لا نسمع عن كثير من حوادث قتل أو تعذيب كما كانت الحال في العراق» ولكي أؤكد أخيرا، أن هذه الفتنة كانت وبالا على العالم الإسلامي، فلم نجنِ منها سوى تدهور في الحركة العلمية، وقتل وتعذيب للعلماء والفقهاء. فما أدري، والله كيف وصلت المسألة إلى هذه الدرجة؟ وكيف ابتلي بها المسلمون كل هذا البلاء؟ وما الداعي إليها أصلا؟ أقول ذلك كي لا يُبتلى المجتمع الإسلامي بمثل هذه المسائل من جديد، ولنتعلم أدب الاختلاف، وأسلوب المناظرة.

وعلى كل، فأول من ابتلي بذلك من أهل مصر، فقهاء المالكية وعلى رأسهم قاضيها هارون بن عبدالله الزهري، الذي سُحب على وجهه في المسجد، وطيف به في طرقات الفسطاط. قال الكندي: حدثنا نصر بن مرزوق، قال: «كنت جالسا في المسجد فسمعت ضوضاء، ورأيت الناس قد حفلوا، فنظرت فإذا هارون بن سعيد، وطيلسانه تحت عضده، وعمامته في رقبته، ومطر غلام القاضي الخوارزمي يسوقه بعمامته، وهارون ينادي بأعلى صوته: القرآن كذا وكذا، ثم أخرجه من المسجد يُطاف به الطرق وهو على هذه الحالة».

كذلك صُنع بمحمد بن عبدالله ابن عبدالحكم، الفقيه المالكي ولم يكتف القاضي الخوارزمي بذلك، بل اتهم بني عبدالحكم بالوقوف مع ثورة عبدالعزيز بن الوزير بن ضابي المعروف بالجروي، وأمرهم برد الأموال التي ادعى أنهم نهبوها، وكانت تقدر بنحو مليون وأربعمائة ألف دينار، وعندما عجزوا عن السداد، هدم بيوتهم، وضرب كل واحد منهم خمسمائة سوط، ثم سجنهم، حتى توفي عبدالحكم بن عبدالله بن عبدالحكم في سجنه تحت وطأة التعذيب.

الهروب بالدين

وأمام كل هذا العذاب هرب بعض الفقهاء فارين بدينهم وعرضهم، ومنهم أحمد بن صالح، الذي هرب إلى اليمن. ولزم الفقيه يوسف بن أبي طيبة منزله فلم يخرج. وكذلك فعل الفقيه محمد بن سالم، ولما ظفروا به أرسلوه مكبلا إلى العراق.

كذلك لم يسلم فقهاء الشافعية بمصر من هذه المحنة، ومنهم يونس بن عبدالأعلى الصدفي الذى اتهمه القاضي الخوارزمي

بالاستيلاء على أموال اليتامى الوصي عليهم، وأحضر الشهود على ذلك. ثم حكم على ابن يونس بالسجن سبع سنوات.

الرمي بالبدع

وممن قاسى في هذه المحنة الفقيه الشافعي سعيد بن زياد المعروف بالقطاس، وكان من أهل الديانة والفضل، وكانت له حلقة في مسجد عمرو بن العاص، وكان يرمي الخوارزمي بالبدعة، ويدعو عليه. وعندما بلغ القاضي ذلك، أحضر الشهود الذين أقروا أن القطاس عبد مملوك لم يعتق، فحبسه ابن أبي الليث خمسة أيام، ثم أمر به فنودي عليه في سوق الرقيق فبلغ ثمنه دينارا. قال الطحاوي: «الذين شهدوا على القطاس لم يكونوا عدولا. وقال: أخبرني غير واحد من أهل الثقة أن الشهادة المذكورة كانت زورا».

هذا، وقد بلغت المحنة ذروتها، عندما تعرض الفقيه الشافعي يوسف بن يحيى المصري البويطي صاحب الشافعي للقتل على يد الخليفة الواثق بالله. تقول المصادر العربية: إن القاضي ابن أبي الليث الخوارزمي، كان يحسد البويطي ويعاديه، فأخرجه في وقت المحنة، فيمن أخرج من مصر إلى بغداد، ولم يخرج من أصحاب الشافعي غيره. قال الربيع ابن سليمان: رأيت البويطي على بغل، في عنقه غل وفي رجليه قيد، وبين الغل والقيد سلسلة من حديد، فيها طوبة وزنها أربعون رطلا، وهو يقول: «كلام الله غير مخلوق» ثم سجن في بغداد، فكان إذا سمع المؤذن، وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن، فيقول له السجان: ارجع رحمك الله، فيقول البويطي: «اللهم إني أجبت داعيك فمنعوني».

كان البويطي قامة كبيرة في الفقه الشافعي، عابدا، مجتهدا، دائم الذكر، كبير القدر. قال الشافعي: ليس في أصحابي أعلم من البويطي. قال السيوطي: «أحد أئمة الإسلام وأركانه وزهاده، كان خليفة الشافعي في حلقته بعده».

استمر الإمام البويطي يعاني في سجنه الألم والتعذيب، وهو يقول: «فوالله لأموتن في حديدي حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه مات في هذا الشأن قوم في حديدهم». مات رحمه الله تعالى، يوم الجمعة من شهر رجب سنة (٢٣١هـ/٨٤٥م) وكان الشافعي يتوقع منه ذلك، فقد قال له يوما: «أنت تموت في الحديد».

هذا قليل من كثير مما ابتلي به علماء وفقهاء مصر على يد القاضي ابن أبي الليث الخوارزمي، الذي أجمعت المصادر التاريخية على أنه كان «ظالما من رؤوس الجهمية».

دعاء الخلق

وبعد هذه الفترة العصيبة، مات الواثق سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م) وبويع المتوكل بالخلافة (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م) فلم يتحمس للقول بخلق القرآن، ففترت حركة الامتحان. وفي سنة (٢٣٤هـ/٨٤٨م) نهى عن القول بخلق القرآن، وكتب بذلك إلى الآفاق. فتوفر دعاء الخلق له، وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له، حتى قال قائلهم، الخلفاء ثلاثة: أبوبكر الصديق يوم الردة، وعمر بن عبدالعزيز في رده المظالم والمتوكل في إحياء السنة. وفي شهر جمادى الآخرة من نفس العام، ورد كتاب المتوكل على هرثمة ابن النضر الجبلي، نائب مصر إذ ذاك من قِبل صاحب إقطاعها إيتاخ (٢٣٣-٢٣٤هـ/٨٤٧-٨٤٨م) يأمره بترك الجدل في القرآن وبإبطال المحنة.

ثم أمر نائب مصر أن يحلق رأس ولحية القاضي ابن أبي الليث الخوارزمي، وأن يضربه، ويطوف به على حمار. ثم سجن يوم الاثنين لإحدى عشرة بقيت من شهر رمضان سنة (٢٣٧هـ/٨٥١م) وفرح الناس بذلك فرحا شديدا، وعظموا المتوكل، ومدحه الشعراء. ووثب أهل مصر على مجلس الخوارزمي فرموا ما به من فرش وحصير وبالغوا في النظافة «حتى غسلوا موضعه بالماء». ولا غرابة في ذلك فأهل مصر، كما يقول المقريزي: «لهم خبرة بالكيد والمكر، وفيهم بالفطرة قوة عليه وتلطف فيه... حتى صاروا مضرب المثل فيه بين الأمم». أما القاضي الخوارزمي فقد استمر في سجنه بمصر حتى عام (٢٤١هـ/٨٥٥م) ثم خرج منها إلى العراق، وولي قضاء مصر بعده الفقيه المالكي الحارث بن مسكين. عاش الخوارزمي في العراق مجهول الحال حتى توفي سنة (٢٥٠هـ/٨٦٤م). علق الإمام الذهبي على وفاته بقوله: «اللهم لا تأجره في مصيبته، فإنه كان ظالما».

زوال الغمة

هكذا، أزال الله تعالى الغمة عن علماء الأمة، ومضى ابن أبي الليث الخوارزمي، بعد ولاية دامت ما يقرب من تسع سنين، ذاق الشعب المصري فيها العنت والشقاء. وخرج الشعب منتصرا في النهاية، وذلك بعد أن عبر عن غضبه واحتجاجه، واستطاعت كلماته أن تصل إلى آذان الحكام مهما بعدت عنه، ويستطيع اللسان المصري أن يعبر عن نفسه بشتى الأساليب المختلفة، وتكون له الغلبة والنصرة في النهاية. فما من حاكم أو وال استطاع أن يقف أمام هذا الشعب العريق الفاهم لطبيعة ولاته، المدرك لزمانه الذي يحياه، فلكل عصر أسلوب، ولكل شعب طبيعة، ولكل مقاومة سمة.

انتصار المقاومة الريفية وآثاره على المجتمع الإسباني

أحمد لحميمي
باحث في التاريخ المعاصر للريف

في يوم ٢٢ يوليو من السنة القابلة، تكون قد مرت تسعون سنة على معركة أنوال، إحدى أهم المعارك التي كبدت فيها المقاومة الوطنية الريفية الجيش الاستعماري الإسباني خسائر فادحة، بشرية ومادية، كان لها أثر واضح على الحياة السياسية والاقتصادية لإسبانيا ولدول أخرى، ذلك الانتصار الذي أصبح متداولا في المراجع بمعركة «أنوال»، في حين لم تكن هذه المعركة إلا استمرارية لمجموعة من المعارك التي كانت قبيلة تمسمان مسرحا لها، إذ انطلقت يوم ١ يوليو ١٩٢١م معركة «أدهار أبران»، مرورا بمعركة «إغريبن» التي دارت رحاها ما بين ١٦ و٢١ يوليو ١٩٢١م، وانتهاء بمعركة «أنوال» التي وقعت ليلة ٢١ يوليو ١٩٢١م (١)، فضلا عن معارك أخرى كمعارك «بويمجان» و«سيدي إبراهيم» و«تليليت». كانت هذه المعارك انعكاسات ونتائج متنوعة سأقتصر في هذا المقال على إبراز وقعها على الأوضاع الداخلية لإسبانيا. وقبل ذلك أرى أنه من الضروري الإشارة إلى هذه المعارك مع التركيز على معركتين اثنتين لأهميتهما:

الأولى معركة «أدهار أبران»، والثانية معركة «إغريبن».

انتصار المقاومة الريفية سنة ١٩٢١م

١- معركة «أدهار أبران»: بعد الزحف الإسباني بقيادة سلفستري على القبائل المجاورة لمليلية غربا (١٩١٩-١٩٢٠م)، كقلعية وبني سعيد وبني توزين وبني وليشك، تريث عند وصوله إلى قبيلة تمسمان، التي كان الاستيلاء عليها يعني التحكم في الطريق البري المختصر للسيطرة على قبيلة «بني وراغل»، المعقل الأول للمقاومة بزعامة محمد بن عبدالكريم الخطابي. ففي يناير ١٩٢١م حط الجنرال سلفستري رحاله بشرق قبيلة «تمسمان»، وسيطر على هضبة «أنوال»، التي وضعها كمركز رئيسي لقواته الزاحفة برا نحو قبيلة «بني وراغل». وفي مارس ١٩٢١م مسيطر على ميناء «سيدي إدريس» واتخذه منفذا بحريا لتحركاته، وفي ١ يوليو كلف أحد ضباطه (فيجار خيسوس) بمحاصرة قمة «أبران»، وعلى الرغم من تحذيرات بعض قادته بخطورة العمل المقدم عليه، فإنه انساق وراء تشجيعات بعض العملاء الذين قادوه إلى القمة المستهدفة. وبالفعل تم الوصول إليها من دون أي عارض يعوق الحملة العسكرية، مما جعله يستهزئ قادته الذين كانوا يعارضونه. وبعد الانتهاء من عملية السيطرة على «أبران» قرر الضابط فيجار العودة إلى «أنوال» مكتفيا بوضع المركز الجديد تحت أمر حامية عسكرية فقط، خصوصا أن مؤشرات المواجهة كانت منعدمة. وكانت لهذا العمل العسكري انعكاسات خطيرة، حيث سيهدم كل ما قامت به إسبانيا في غزو الريف الشرقي من ١٩٠٩م إلى ١٩٢١م. ففي مساء يوم ١ يوليو عمد المجاهدون إلى مواجهة القوة الإسبانية بمركز «أبران» وتحريره من السيطرة الإسبانية، ولم ينج من الجنود الإسبان إلا القلة القليلة التي تسربت إلى «أنوال» أو ميناء «سيدي إدريس»، وبذلك لم تعمر سيطرة الإسبان على «أبران» إلا ساعات معدودة. تتمثل أهمية هذه المعركة في وقعها الكبير على الجانبين: المقاوم المنتصر والغازي المنهزم، فبالنسبة إلى المجاهدين أصبحوا أقوياء: معنويا بتوافد مجاهدين جدد عززوا صفوفهم، وماديا بحيازتهم أسلحة مهمة وعتادا وفيرا غنموها من الحرب سيستعملونها في المعارك اللاحقة. وعلى الرغم من أن الأسلحة التي استعملوها في المعركة نفسها كانت بسيطة: بعض البنادق (موسى) وأسلحة بيضاء (مناجل) إن لم نقل بدائية (حجارة)، كما شهدت بذلك الكتابات الإسبانية نفسها.

أما بالنسبة إلى القوة الإسبانية الغازية المتمركزة في المركز الرئيسي (أنوال)، والتي كانت شاهدة على ما حدث في «أبران»، فقد أبرقت إلى الجنرال سلفستري بمليلية وإلى المفوض السامي بيرنكر في تطوان، تخبرهما بالانهزام، وكان هذا النبأ صعب التصديق، خصوصا من قبل سلفستري الذي لم يمض على مغادرته لأنوال يوم واحد، لكن كثرة البرقيات حول موضوع الهزيمة جعلته يصدق، خصوصا عندما وصلت البرقية الأخيرة التي تقول: «وصل الآن جنديان استطاعا الهروب من «أبران». ويحكيان كيف أن المركز قد دمر عن آخره، وقتل من كان به، وسقط بيد العدو كل المدافع والأسلحة والعتاد والعدة التي كانت به» (٢).

وبعد التأكد من الهزيمة، أصبح سلفستري يحسب للمجاهدين حسابهم ويحتاط منهم، إذ عزز مركز «أنوال» بقواته، التي كانت في المراكز المجاورة، مثل «الدريوش»، وحاول تغطية النكسة بزحفه على موقع استراتيجي جديد قريب من «أنوال»، وهو «ربوة إغريبن»، ولم يكلفه ذلك أي خسارة، مما جعل المسؤولين الإسبان يتكهنون لـ«إغريبن» بالمصير نفسه الذي لحق بـ«أبران»، وذلك ما تحقق فعلا (٣).

٢- معركة «إغريبن»: قبل هجوم المجاهدين على المركز الجديد، وفي إطار التخطيط لذلك، استرجعوا مراكز ثانوية مجاورة كانت بها حاميات عسكرية إسبانية كمركزي «بويمجان» و«سيدي إبراهيم» يوم ١٦ يونيو ١٩٢١م، بعد ذلك اقترب المجاهدون من موقع «إغريبن»، الذي برهنوا فيه على حنكتهم القتالية، إذ طبقوا عليه خطة الحصار التي رسمها لهم قائدهم عبدالكريم الخطابي والتي امتدت من ١٤ يوليو إلى ٢١ يوليو ١٩٢١م، وذلك بالتخندق حول «إغريبن» وقطع كل الإمدادات والتموين الآتية من «أنوال» التي تروم فك الحصار. وكانت

الضربة القاضية لمركز «إغريبن» عندما أدرك المجاهدون نقطة ضعف الجنود الإسبان المحاصرين، المتمثلة في اعتمادهم على استهلاك مياه «عين عبدالرحمن» بوادي الحمام، الفاصل بين «إغريبن» و«أنوال»، فركزوا حصارهم حول هذا المنبع المائي، وبذلك أصبحت الحياة مستبعدة عند الجنود الإسبان المحاصرين، الذين لم يعودوا يفكرون في الطعام، بل أصبحوا يفكرون في الماء فقط لري عطشهم في موسم الصيف الحار، لدرجة أنهم اضطروا إلى شرب عصير التوابل والطماطم، بل والحبر المخصص للكتابة أيضا، وبعضهم كان يلعق الحجارة، وذهب الأمر بآخرين إلى شرب بولهم بعد تحليته بالسكر (٤).

وللوقوف أكثر على مدى حدة المأساة التي عاشها الجنود الإسبان المحاصرون، نورد تصريحات بعضهم والذين يئسوا من الحياة، ففي ذلك قال أحدهم: «لا يستطيع أحد الخروج من هذه المأساة، ولو وجد معنا الإله». وقال آخر: «لا يستريح في هذه المنطقة إلا الأموات». وفي موضوع الماء قال أحدهم: «إنه مقابل قطرة من الماء سأضحي بعشر سنوات من حياتي» (٥).

ورغم المحاولات المتعددة لفك الحصار على «إغريبن» انطلاقا من المركز الرئيسي «أنوال» وتحت إشراف الجنرال سلفستري نفسه، فإنها كانت تنتهي بالفشل، مما جعل هذا الأخير يبرق إلى الضابط بنيطس (قائد الحامية العسكرية الإسبانية في إغريبن) يأمره بالانسحاب.

وكانت عملية الانسحاب يوم ٢١ يوليو ١٩٢١م عبارة عن اندحار مأساوي أسود، إذ خرج ما تبقى من جنود الاحتلال في المركز المحاصر في حال فرار نحو «أنوال» طلبا للنجاة، وإنقاذا لما تبقى من الرمق في ظل مطاردة المقاومين لهم. وهكذا انتهت معركة «إغريبن» على هذه الصورة المخزية التي لم تخطر على بال الجنرال سلفستري الذي كان يتبجح بمهاراته القتالية ودهائه العسكري وقدرته على التخطيط والمناورة، فظل مشدوها أمام ما يجري تحت سمعه وبصره، في ظل عجزه التام عن القيام بأي مبادرة تنقذ ماء وجه القوة الاستعمارية الإسبانية وتعيد هيبتها، حيث اكتفى ليلة ٢٠-٢١ يوليو ١٩٢١م باستدعاء ضباطه معلنا الانسحاب من «أنوال» (المركز العسكري الاستراتيجي). فخرجت فلول العسكر الإسباني من «أنوال» في شكل مطبوع بالفوضى والارتجال والارتباك دال على ارتباك الضباط الإسبان وتخليهم عن مسؤولياتهم القيادية التنظيمية. بينما اكتفى المقاومون بملاحقتهم ومطاردة الغزاة الفارين في طريقهم نحو مليلية (٦)، التي كان سكانها يتوقعون دخول المقاومين الريفيين لها متتبعين آثار الغزاة الهاربين، بعد انتصارهم العسكري الذي رفع معنوياتهم كثيرا، وعزز صفوفهم بانضمام محاربين جدد إليهم. في حين كان الجنود الإسبان المنهزمون يتأملون البحر، ملاذهم الوحيد المتبقي لهم للوصول إلى وطنهم إسبانيا في حال مواجهة المقاومين الريفيين (٧).

وكان عدم اقتحام مدينة مليلية من بين الأخطاء التي يعترف عبدالكريم الخطابي باقترافها، ويبرر ذلك بقوله: «ولكنني أوصيت المجاهدين في نفس الوقت وبنفس التأكيد على ألا يحتلوا مليلية، اجتنابا لإثارة تعقيدات دولية، وأنا نادم على ذلك بمرارة، وكانت هذه غلطتي الكبرى» (٨)، فضلا عن أن المعارك أنهكت المقاومين، الذين قنعوا بما حققوه من انتصارات. ويصف أحد قادة المقاومة هذا الأمر بقوله: «إن المحاربين الجبليين ملوا قطع الرؤوس» (٩).

تلك كانت نظرة مقتضبة حول انتصار المقاومة الريفية الذي عرف بانتصار «أنوال»، في حين لم تكن «أنوال» إلا خاتمة الانتصار الحقيقي الذي تقرر في «إغريبن» كما بينا سابقا، بتطبيق خطة الحصار لمدة ستة أيام، لأن معركة «أنوال» لا تتوافر فيها حتى المواصفات الشكلية للمعركة، والمتمثلة في مواجهة بين جيشين متحاربين. هذه المعركة نجد جموعا من الجنود الإسبان المنسحبين الفارين إثر إعلان قائدهم الجنرال سلفستري عن ذلك ليلة ٢١-٢٢ يوليو ١٩٢١م، واكتفى المقاومون الريفيون بمطاردتهم من دون عناء.

وربما يرجع الصدى، الذي أصبح لـ«أنوال»، إلى كونها كانت المركز الرئيسي للقوة الإسبانية بالجبهة الزاحفة نحو معقل المقاومة الريفية بقبيلة «بني وراغل»، خصوصا أن الكتابات الأولى عن هذه المقاومة أوروبية «إسبانية»، وقد يكون الأمر يتعلق بصعوبة نطق وكتابة الأجانب للمواقع السابقة، مثل: «أدهار أبران» و«إغريبن»، في حين يسهل نطق وكتابة «أنوال». وما يمكن أن يبرر هذه الفرضيات هو أن القصائد الشعرية المعاصرة لهذه المقاومة تشيد وتمجد بـ «أدهار أبران» و«إغريبن» ولا تشير إلى «أنوال» إلا بشكل عابر.

والخلاصة الثانية تتمثل في كون هذه المقاومة كثيرا ما توصف بحرب العصابات، في حين يمكن أن

نسميها فضلا عن ذلك بحرب الخطة العسكرية المتمثلة في خطة الحصار والتخندق حول مركز «إغريبن» لمدة تناهز الأسبوع، فضلا عن حرب العصابات كما حدث مع معركة «أبران» التي كانت مباغتة ولم يكن يتوقعها الغزاة الإسبان، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

انعكاسات انتصار المقاومة الريفية على المجتمع الإسباني

بعد استعراضنا لوقائع انتصار المقاومة الريفية على الجهاز العسكري الإسباني الغازي، نعرض فيما يلي لانعكاسات هذه الانتصارات على الأوضاع العامة في إسبانيا.

- اقتصاديا: يقول ميكيل مارتين في كتابه «الاستعمار الإسباني في المغرب» (١٨٦٠-١٩٥٦م) في سنة ١٩٢١م أصبحت الميزانية العسكرية تلتهم ٥١ من المائة من اعتمادات الدولة، وإن باب النفقات العسكرية المخصصة للمغرب تضاعف ثلاث مرات ونصف المرة في الفترة الممتدة ما بين ١٩١٣م و١٩٢١م، وكمثل على ذلك: افتداء الأسرى الإسبان الذي كلف ميزانية الدولة أربعة ملايين بسيطة، وصرح وزير الاقتصاد الإسباني بعدم قدرة الخزينة الإسبانية على تحمل مصاريف الحرب في المغرب (١٠).

- اجتماعيا: عم السخط جميع الفئات الاجتماعية، وأصبح المغرب ينعت بـ«مقبرة الشباب الإسباني» أو «البئر التي تبتلع ثروة إسبانيا»، وهكذا رفضت قوات من الجنود الإسبان الإبحار نحو المغرب، وطالبت هيئة نسائية الحكومة الإسبانية بالتخلي عن المغرب. الأكثر من ذلك، دعا الحزب الشيوعي الإسباني إلى إضراب تضامني مع المقاومين المغاربة، كما أقيمت مهرجانات خطابية ضد الحرب في المغرب (١١).

- سياسيا: دفعت الأصوات المنادية بإيقاف الحرب في المغرب الحكومة الإسبانية إلى تكليف لجنة برئاسة الجنرال بيكاسو للتحقيق في أسباب الهزيمة، وانتهت أبحاثها إلى تحميل مسؤولية الهزيمة إلى الجنرال سلفستري، ووصفت تصرفاته بـ«الجرأة التي تفتقد التبصر»، وطالبت اللجنة بمحاكمة المفوض السامي بيرنكر نظرا للخلاف الذي كان بينه وبين سلفستري، إلا أن الحكومة الإسبانية اكتفت بإقالته من دون محاكمة، كما اتهمت لجنة التحقيق الملك الإسباني ألفونسو ١٣ بالتورط في الهزيمة (١٢).

أما حدث افتداء أسرى الجيش الإسباني من يد المقاومة الريفية سنة ١٩٢٣م، فقد خلف إحساسا كبيرا بالمهانة، مما جعل تيار أنصار الحرب يظهر ويتقوى من جديد، معلنا تصميمه على الانتقام لكارثة «إغريبن» و«أنوال»، فلقيت هذه العملية العسكرية الانتقامية مصير المعارك السابقة نفسه، حيث منيت بهزيمة نكراء خلال معركة «تيزي عزا»، مما جعل مشاعر السخط تعم المجتمع الإسباني إلى حد الدعوة لإسبانيا بالموت وللمغرب بالحياة (١٣).

أمام هذه الوضعية المضطربة استطاع دوق برشلونة الجنرال بريمو دي ريفيرا تنظيم انقلاب عسكري، ودعا القوات الإسبانية إلى الانسحاب مع المغرب، مما أثار غضب الراغبين في الانتقام ومواصلة الحرب، وعلى رأسهم الجنرال فرانسيسكو فرانكو (١٤).

وسيتقوى هذا التيار سنة ١٩٢٤م، خصوصا عندما سيلقى دعما عسكريا وسندا سياسيا من قبل الدولة الفرنسية، انتهى بخوض غمار هجوم مشترك إسباني فرنسي، بمباركة دول أوروبية أخرى، استعملت فيه جميع أشكال الأسلحة الفتاكة من طائرات وقنابل مدمرة وأسلحة كيماوية سامة، تمت بعده السيطرة على الريف، ووُضع حد للمقاومة الريفية وأُرغم قائدها عبدالكريم الخطابي على الاستسلام سنة ١٩٢٦م.

هكذا أثر انتصار «إغريبن» و«أنوال» في مجريات أمور إسبانيا وتاريخها كما قال شارل بيتري في كتابه «تاريخ إسبانيا»: «... إنها أنوال أثرت في تاريخ إسبانيا بكيفية عميقة، فمن دونها لن يكون هناك مجلس عسكري حاكم، ومن دون مجلس عسكري لن تكون هناك جمهورية ثانية. وبناء على ذلك، لن تكون هناك حرب أهلية إسبانية..» (١٥). بل تعدى الأثر إسبانيا وشمل كل القوى الإمبريالية «فرنسا وإنجلترا»، إذ فزعت الدولتان من هذا الانتصار، في حين صفقت له دول أخرى، لاسيما المستضعفة، التي كانت تعاني ألم الخضوع للسيطرة الاستعمارية، حيث كانت ترى في هذا الانتصار الحلقة الأولى لتحريرها، وبذلك أصبحت هذه التجربة درسا للقوى التحررية في العالم، خصوصا التي اعتمدت حرب العصابات، كحركة ماوتسي تونغ وحركة تشي جيفارا.

الهوامش

١- محمد بن عزوز حكيم، معركة أنوال، الرباط ١٩٨١، ص ١٤.
٢- محمد بن عزوز حكيم، المرجع نفسه.
٣- المرجع المذكور نفسه.
٤- ميكيل مارتين، الاستعمار الإسباني في المغرب (١٨٦٠-١٩٥٦)، تعريب محمد الشاوني، نقلا عن مجلة جسور، عدد٢، مطبعة الأندلس، الدار البيضاء١٩٨١، ص٥٢.
٥- المرجع نفسه.
٦- ميكيل مارتين، مرجع سابق.
٧- محمد زنيبر، حرب الريف، ضمن مذكرات من تاريخ المغرب، الجزء ٥، ص ١٧٩.
٨- محمد زنيبر، المرجع نفسه.
٩- DAVID¨S WOOLMAN Abd EL-KRIM y la guerra del rif OIKOS-TAU sa Barcelona ١٩٧١ p ١١٢-١١٣.
١٠- ميكيل مارتين، مرجع مذكور، ص٥٨ - ٦٠.
١١- ميكيل مارتين، ص٥٩-٦٠.
١٢- ميكيل مارتين، ص٦٠.
١٣- جريدة الاتحاد الاشتراكي، عدد ٢٢ يوليو ١٩٨٣، ترجمة لرسالة عبدالرحمن اليوسفي المتعلقة بالمقاومة الريفية، ص٥.
١٤- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
١٥- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

منهج الإقراء في الأندلس

د. مراد زهوي
باحث دراسات إسلامية

يقتضي الكلام عن المدرسة الأندلسية التعرض لدخول الإسلام إلى هذا المصر من العالم الإسلامي فكيف تم ذلك؟

تم للعرب فتح الأندلس سنة ٩٢ للهجرة على يد طارق بن زياد في خلافة عبدالملك بن مروان، وقد وجدوا فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وجدوا فيها التربة الخصبة، والمياه العذبة والعيون الصافية، والأنهار الجارية، وكأنها أيكة وارفة الظلال دانية القطوف، يانعة الثمار.

ولقد غردت عنادل الأندلس فترة من الزمان، فملأت القلوب وقرعت الأسماع، وبهرت النفوس، وأخذت بالألباب، ولكن صداها تبدد في غياهب الدهور وعلى مرور الأيام، وتلاشى في غمار الأحداث، ولم يبق من هذه الألحان الساحرة إلا أنغام شاردة مهومة، ابتلعتها الأيام، وخلدها الزمن في طياته، وسجلها في صفحاته، فتهادت إلينا خلال القرون تثير كوامن الوجدان، وتحرك سواكن الأشجان:

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد
ولا يدوم على حال لها شان
وصار ما كان من ملك ومن ملك
كما حكى عن خيال الطيف وسنان
لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان في القلب إسلام وإيمان(١)

وقد نزح إلى الأندلس كثير من القبائل العربية واستوطنوا أرضها، وانبثوا في ربوعها، وامتزجوا بأهل البلاد الأصليين، بالمصاهرة والمعاملة، فنشأ من الفريقين جيل جديد.

وكان من أثر هذا الفتح أن دخل كثير من أهل البلاد الأصليين في دين الله أفواجا، لأنه دين الفاتحين الذين أصبحوا يمثلون الأغلبية التي استوطنت البلاد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن سكان الأندلس الأصليين وجدوا في الدين الجديد منقذا خلصهم مما كانوا يرزحون تحته من ظلم حكامهم وعسفهم. ولمسوا في تعاليمه مبادئ الإخاء والمحبة والعدالة والمساواة والسلم والأمن، فاعتنقوه عن يقين لأنها السبيل إلى فهم القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين، فطلب فهمه إنما يكون من هذه الطريق خاصة. فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة (٢).

«فإن قلنا إن القرآن نزل بلسان العرب وإنه عربي، وإنه لا عجمة فيه، فبمعنى أنه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة، وأساليب معانيها، وأنها فيما فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعام ويراد به ظاهره، وبالعام يراد به العام في وجه، والخاص في وجه، وبالعام يراد به الخاص، والظاهر يراد به غير الظاهر، وكل ذلك يعرف من أول الكلام أو وسطه أو آخره (السياق)، وتتكلم بالكلام ينبئ أوله عن آخره، أو آخره عن أوله، وتتكلم بالشيء

يعرف بالمعنى كما يعرف بالإشارة، وتسمي الشيء الواحد بأسماء كثيرة، والأشياء الكثيرة باسم واحد، وكل هذا معروف عندها لا ترتاب في شيء منه هي ولا من تعلق بعلم كلامها» (٣).

وهكذا نطق بالعربية كل أندلسي لامسه الإسلام من قريب أو بعيد، ومن بقي من أهل الأندلس على دينهم الأول لم يجدوا مناصا من تعلم تلك اللغة أيضا حتى يسايروا أكثرية الناس في لسانهم وثقافتهم، وحتى يتهيأ لهم بسببها العيش، ووسائل الحياة، وليتمكنوا من الاتصال بالحكام فيما يتعلق بشؤونهم وأحوال دنياهم.

وقد زاد من عناية الناس بتحصيل اللغة، والإقبال على تعلم أساليبها أن الذين حكموا البلاد أولا، وهم بنو أمية، كانوا متعصبين للغتهم وآدابها، يحملون الناس على تحصيلها حملا، ويعقدون مجالس للأدب والشعر، ويشاركون في الحوار والمناقشة... فقد روي عن عبدالرحمن الداخل أنه رأى نخلة وحيدة فريدة في حديقة قصره بالرصافة فقال:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة
تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى
وطول التنائي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة
فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزن في المنتأى الذي
يسح ويستمرى المساكين بالوبل (٤)

وهكذا رغب أمراء الأندلس أمثال عبد الرحمن الداخل في النهوض ببلادهم، وأرادوا لها أن تكون أثبت قدما وأعلى مكانة من دولة العباسين في المشرق في كل شأن من شؤون الحياة، فأوفدوا كثيرا من علمائهم إلى تلك البلاد لينهلوا من معينها ويغترفوا من بحار معارفها وعلومها، حتى إذا ما رجعوا إلى بلادهم الأندلس الناشئة الفتية كانوا مصدر إشعاع لكل راغب في فن أو طالب لمعرفة.

ومن هنا كانت رحلات الأندلسيين إلى المشرق ولقاؤهم العلماء والشيوخ أحد أقوى الأسباب التي أعانت على خلق البيئة الثقافية والعلمية. والمطلع على كتب التراجم والتاريخ التي تتحدث عن الأندلس، يلحظ أن الأندلسيين كانوا أكثر الناس رحلة إلى المشرق الذي كان إذ ذاك مركز إشعاع علمي وحضاري.

ومن مشاهير العلماء الذين رحلوا إلى المشرق: جودي النحوي جودي ابن عثمان (ت ١٩٨ هـ) (٥). زياد ابن عبدالرحمن اللخمي (ت ٢٠٤ هـ) (٦)، يحيى بن يحيى الليثي المتوفى (٢٣٤ هـ) (٧)، عبدالملك بن حبيب السلمي (ت ٢٣٨ هـ) (٨)، بقي بن مخلد (ت ٢٧٦ هـ) (٩)، مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني (ت ٤٣٧ هـ) (١٠)، أبو عمار المهدوي (ت ٤٤٠) (١١)، أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) (١٢) وأبو إسحاق الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ).

وبما أن المقال يرمي إلى إبراز معالم منهج الإقراء بالأندلس فلابد من التقديم بالمقدمات الآتية:

١- علم القراءات:

يعتبر علم القراءات أقدم العلوم الإسلامية نشأة وعهدا، لأن أول ما تعلمه الصحابة رضي الله عنهم من علوم الدين كان القرآن الكريم، قراءة وحفظا وفهما وتمثلا، ثم اختلف الناس في قراءة القرآن وضبط ألفاظه، فدعت الحاجة إلى علم يتميز به صحيح القراءات ومتواترها من شاذها وضعيفها، حفظا لألفاظ القرآن الكريم من التحريف والتبديل، ودفعا للخلاف بين أهل القرآن.

فتأسس علم القراءات الذي تصدر له ولتدوينه أعلام أفذاذ فطاحلة فحول، فأفاد المسلمين فائدة عظيمة جمة، لأن البحث في القراءات ومباحثها ييسر تلاوة القرآن، ويسهل حفظه، ويستعان به على معرفة الأحكام الشرعية؛ إذ اختلاف القراءات يفيد الاختلاف في الأحكام، يقول السيوطي: «وهو علم عظيم يترتب عليه معرفة الأحكام الشرعية؛ إذ باختلاف القراء يظهر الاختلاف في الأحكام، لهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة في ﴿لَٰمَسۡتُمُ﴾ و«لمستم» (النساء: ٤٣)، وجواز وطء الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه على الاختلاف في ﴿يَطۡهُرۡنَۖ﴾ (البقرة،: ٢٢٢)، وقد حكوا خلافا غريبا في الآية، إذ قرئت بقراءتين...» (١٣).

كما أنه أفاد في علم اللغة، ودفع الأمة إلى الاعتناء بها، والوقوف على مزاياها ودقائقها وقواعدها. ومما يؤكد ذلك أننا نجد الكثير من النحويين كانوا قراءا كالأخفش والكسائي...

٢ - القراءات في الأندلس:

كانت نواة العلوم الإسلامية لدى الصحابة والتابعين الذين دخلوا الأندلس مع جنود الفتح، وكانت مهمتهم تعليم القرآن والحديث، وبيان الأحكام، لذلك فقد قرأ أهل الأندلس على القراءات التي وصلتهم من المشرق منذ الفتح الإسلامي، وكانوا يأخذون هذه القراءات دون أن يلقوا بالا إلى تعليقات أو شروح، حتى جاء عهد رجل يعتبر من دعامات الفكر والمعرفة في هذا الجزء من البلاد الإسلامية، ألا وهو مجاهد العامري، الذي يرجع إليه الفضل في انتشار علم القراءات، حيث كان علما من أعلامها، وفتح الباب لعلماء هذا الفن وشجعهم وأكرمهم.

يقول ياقوت الحموي: «.. وكان من الكرماء على العلماء، يبذل لهم الرغائب، خصوصا على القراء، حتى صارت (دانية) معدن القراء بالمغرب» (١٤).

ويقول ابن خلدون: «ولم يزل القراء يتداولون هذه القراءات وروايتها إلى أن كتبت العلوم ودونت، فكتبت فيما كتب من العلوم، وصارت صناعة مخصوصة، وعلما منفردا، وتناقله الناس بالمشرق والأندلس، إلى أن ملك بشرق الأندلس «مجاهد» من موالي العامريين، وكان معتنيا بهذا الفن من بين فنون القرآن، لما أخذه به مولاه المنصور بن أبي عامر، واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من أئمة القراء بحضرته، فكان

سهمه في ذلك وافرا» (١٥).

٣- دخول القراءات إلى الأندلس

جاء في طبقات النحوين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي أن أبا موسى الهواري الأندلسي رحل إلى المشرق فلقي مالكا ونظرائه، وكان أول من أدخل القراءات إلى الأندلس وألف فيها (١٦).

وتذكر كتب التاريخ أن أول قارئ أندلسي هو أبو محمد الغازي بن قيس (ت ١٩٩ هـ) الذي كان مؤدبا بقرطبة، ورحل إلى الحجاز فحج وأخذ عن الإمام نافع قراءته عرضا وسماعا، وصحح عليه مصحفه ثلاث عشرة مرة، وقد كان الغازي ضابطا لفقه مالك، وحفظ الموطأ حفظا متقنا، وكان لغويا ماهرا وعنه أخذ أصبغ بن خليل وعبدالملك بن حبيب وابنه عبدالله، ويذكر أن ابنه كان من علماء العربية.

وبعده اشتهر من القراء الأندلسيين محمد بن وضاح الذي روى القراءة عن عبدالصمد ابن عبدالرحمن العتقي، وسمع منه الاختلاف بين نافع وحمزة ومن تأليفه حمزة ونافع، وروى عنه عدد القرآن على المدني الأول، ومن عهده اعتمد أهل الأندلس رواية ورش، وكانوا قبله على رواية الغازي بن قيس.

ثم كانت وفادة أبي الحسن الأنطاكي علي بن محمد بن إسماعيل (ت ٣٧٧ هـ) التي كان لها بالغ الأثر في تطور علم القراءات في الأندلس، ذلك أن الأنطاكي لازم المقرئ الكبير إبراهيم بن عبدالرزاق ثلاثين سنة، وسمع من ابن الأخرم وأحمد بن صالح البغدادي وهو من أصحاب أبي جعفر النحاس، ثم قدم على الأندلس سنة ٣٥٢ هـ بطلب من الحاكم المستنصر بالله فكان فيها متصدرا، رأسا في القراءة لا يتقدمه أحد، وعنه أخذ محمد بن يوسف النجاد، وهو من شيوخ الداني وأبي مروان اليحصبي (ت ٤٠٥هـ) عبيد الله بن سلمة بن حزم، وهو الذي علم الداني كل القرآن، لكن أبا مروان روى أيضا عن عبدالله بن عطية الدمشقي المفسر والمظفر بن أحمد بن حمدان أبي غانم المصري، ومحمد بن الحسن الأنطاكي وعبد المنعم بن غلبون.

ثم إن هناك رواية تذكر أنه لم يكن ببلاد الأندلس شيء من هذه القراءات إلى أواخر المائة الرابعة، وأن أول من أدخلها إلى الأندلس أحمد بن محمد ابن عبدالله أبو عمر الطلمنكي (ت ٤٢٩ هـ)، الذي قرأ في المشرق على علي بن محمد الأنطاكي وعبدالمنعم ابن غلبون. وهو أول من صنف في القراءات في الأندلس (١٧).

يقول ابن الجزري: «... ولم يكن بالأندلس ولا ببلاد الغرب شيء من هذه القراءات إلى أواخر المائة الرابعة، فرحل منهم من روى القراءات بمصر ودخل بها، وكان أبو عمر أحمد بن عبدالله الطلمنكي مؤلف «الروضة» أول من أدخل القراءات إلى الأندلس، وتوفي سنة ٤٢٩هـ..» (١٨).

وجاء بعده مكي بن أبي طالب أبو محمد القيسي (ت ٤٣٧ هـ)، فصنف كتابه «التبصرة» و«الكشف»، ثم جاء بعدهما الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) إمام هذه المدرسة وقطب رحاها وشيخ إقرائها في عصره، وقد بلغ الغاية في القراءات، ووقفت عليه معرفتها، وانتهت إليه رواية أسانيدها، وتعددت تآليفه فيها، وعول الناس عليها (١٩).

ثم ظهر بعد ذلك أبو القاسم الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ)، وعمد إلى تهذيب ما دونه أبو عمرو وتلخيصه، فنظم كتاب التيسير في لاميته الموسومة بـ «حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع»، والتي ضمنها مسائل هذا الفن واستوعبها، وعني الناس بحفظها وتلقينها للطلاب، وجرى العمل على ذلك في سائر أمصار الأندلس، وكان لها الأثر الواضح في المدرسة الأندلسية.

٤- القراءة المعتمدة عند أهل الأندلس:

أنزل القرآن على سبعة أحرف، فكان الناس يقرأون منها ما يشاؤون، وبقدر ما يستطيعون، وقد تتبع العلماء أحرف القرآن وأوجه أداء بعض ألفاظه، فتكونت لديهم قراءات، وكان لكل قطر إمام، وبكل مصر قارئ واشتهر منهم القراء السبعة، أو القراءات السبع، وأوصلها بعضهم إلى العشر والأربع عشرة، فكان أهل مكة على قراءة ابن كثير، وأهل المدينة على قراءة نافع، وأهل البصرة على قراءة أبي عمرو البصري ويعقوب، وأهل الكوفة على قراءة حمزة وعاصم، وأهل الشام على قراءة ابن عامر.

وجاء أبو بكر بن مجاهد على رأس المائة الثالثة، فوضع مكان يعقوب الكسائي، وجعل القراء سبعة وألف في ذلك، فاعتبر المسبع الأول (٢٠).

ولقد قرأ أهل الأندلس القرآن بالقراءات السبع يقول صاحب الحلل السندسية: «... وقراءة القرآن بالسبع، ورواية الحديث عندهم . أهل الأندلس . رفيعة، وللفقه رونق ووجاهة» (٢١).

ومما يؤيد ذلك وجود مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي كان متداولا بينهم، وله عندهم منزلة رفيعة وشأن عظيم (٢٢).

وكان مكتوبا على طريقة تجمع وجوه القراءات المختلفة والأحرف التي نزل عليها القرآن، مع عدم إعجامها أو شكلها.

أما القراءة المشهورة التي تلقاها

الناس في جميع مدن الأندلس وحواضرها، فهي قراءة نافع المدني، وهو أحد السبعة، يقول صاحب نفح الطيب: «أما القراءات في جميع الأقاليم فقراءة نافع المدني» (٢٣).

وقد تقرر علميا ومنهجيا أن لكل مدرسة علمية منهجها الذي يميزها عن غيرها من المدارس. ومن العناصر (التي قصرت البحث في هذا المقال عليها) المكونة لمنهج هذه المدرسة القرائية ما يلي:

- الثراء التأليفي، ويتمثل في كثرة المصنفات والأصول والأمهات.
- الخصومات العلمية التي نشبت بين أقطاب هذه المدرسة، خصوصا خصومة أبي عمرو الداني مع الإمام أبي عمار المهدوي.
- التأصيل المنهجي لدراسة علم القراءات بتقسيمه إلى أصول وفرش.

١- الثراء التأليفي

إن أشد ما ميز الأندلسيين كثرة احتفائهم واعتنائهم بالكتب والمصنفات، حتى كانت قرطبة: «أكثر بلاد الأندلس كتبا، وأشد الناس اعتناء بخزائن الكتب، صار ذلك عندهم من آلات التعيين والرياسة، حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة؛ يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب» (٢٤) .

وبلغ من رواج الكتب في قرطبة: «أنه إذا مات عالم بإشبيلية، فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها» (٢٥) .

٢-المناظرات العلمية:

من خصائص- منهج الإقراء بالأندلس - نشوب ما اصطلح عليه عند العلماء بالمناظرات/ الخصومات العلمية. هذه الخصومات التي قامت بين أقطاب هذه المدرسة، مما يؤكد قوتها وتصدرها وريادتها لفلك القراءات، وهذا واضح بيّن من خلال المكانة التي حازوها في هذا المصر الإسلامي.

وسأقدم في هذا العنصر نماذج من هذه المناظرات، الأولى بين الحافظ الداني والمهدوي، والثانية بين الحافظ الداني وأبي محمد بن سهل الأندلسي، والثالثة بين الحافظ الداني وأبي الحسن شريح ابن محمد. تدخل الأولى والثانية في إطار من زاحم الحافظ من القراء على المنصب والاختصاص، وتدخل الثالثة في إطار الموافقين للحافظ في الجملة، المخالفين له في بعض مواقفه وآرائه واختياراته.

خصومة الحافظ مع المهدوي (٤٤٠ هـ)

كانت رغبة الإمام أبي عمار المهدوي في الشهرة، سببا في حدوث خصومة علمية وردود بينه وبين الحافظ أبي عمرو الداني، كان البادئ فيها أبوعمار الذي كان يسعى إلى الحظوة عند الأمير مجاهد العامري، فعمل على إعنات خصمه وإفحامه بوضع مجموعة من المسائل وطرحها عليه، وهي عبارة عن معميات وألغاز، كما أنه كان ينكت على مذهب أبي عمرو الداني في تعليل نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها.

فكلف الأمير مجاهد أبا عمرو أن يجيب عن أسئلة المهدوي المحرفة، فأجاب عنها في جزء سماه «الأجوبة المحققة عن الأسولة المحرفة» ثم ألقى عليه الحافظ مسألة واحدة سماها الستينية، ضمنها ستين سؤالا في الهمزة المكسور ما قبلها، فسقط في يد المهدوي (٢٦).

وقد احتفظ لنا الإمام أبو عبدالله الصفار، وابن المجراد السلوي ببيان بوادر هذه الخصومة، قال الشيخ أبو عبدالله الصفار في الزهر اليانع: «وأظن أبا العباس ينكت على الإمام أبي عمرو، وبهذا قال، ولعله لم يقف له على القول الموافق له وهو أنها تحذف تخفيفا، قال: وعلى تقرير إن لم يكن للحافظ غير القول: بأنها حذفت لسكونها في اللفظ وسكون ما قبلها في الأصل، فيجاب عنه: بأن العرب تارة تعتد بالعارض، وتارة لا تعتد به، ألا تراهم قالوا لهم: جاء، فاستغنوا عن همزة الوصل اعتدادا منهم بحركة اللام وهي عارضة؛ إذ هي حركة الهمز، وقالوا أيضا: الأحمر جاء بهمزة الوصل ولم يعتدوا بحركة اللام، فجاء الحافظ رحمه الله بين المذهبين ليبيّن جوازهما، فاعتد تارة بالعارض في الهمزة وهو السكون، ولم يعتد به في الساكن وهو الحركة فتأمله فلا درك على الحافظ بهذا الاعتبار، قال: ومازال المهدوي قبل أن يعرف قدر الحافظ يعترض عليه حتى أنه كلف الأمير مجاهد - نضر الله وجهه - أن يكلف الحافظ الجواب على أسولة حرفها المهدوي، فأجابه عنها في جزء سماه «الأجوبة المحققة عن الأسولة المحرفة، فألقى عليه الحافظ مسألة واحدة سماها بـ «الستيتنة» ضمنها ستينا سؤالا في الهمزة المضمومة المكسور ما قبلها، نحو «وبرىء»، فسقط في يد المهدوي، وتمنى أنه لم يسأله، وبقي فيها كيوم ولدته أمه، وعززها الحافظ بـ «رسالة التنبيه على الخطأ والجهل والتمويه»، وكتب بها إلى الموفق أبي الجيش في شأن المهدوي» (٢٧).

ذلك تلخيص أسباب الخصومة ووقائعها كما أجملها الإمام الصفار، ونقل عنه ابن المجراد، وهي أسباب تبدو ومعها الحملة من أبي عمرو وعلى خصمه أعنف طالما أننا لم نتمكن من الإطلاع على أسلحة

الهجوم التي استعملها خصمه، وبين أيدينا إلى اليوم «رسالة التنبيه» المذكورة لأبي عمرو من حصاد هذه الخصومة العلمية العنيفة.

وهكذا يمكن اعتبار خصومة المهدوي مع الداني مما أملاه التزاحم في الفن والاختصاص.

خصومة الحافظ مع أبي محمد بن سهل الأندلسي (ت ٤٠٨ هـ)

إن المعني بهذه الخصومة هذه المرة أبو محمد عبدالله بن سهل بن يوسف الأنصاري المرسي الأندلسي، أحد فحول الرواة عن الأئمة، مقرئ أهل الأندلس في زمنه «قرأ القراءات على أبي عمر الطلمنكي ومكي القيسي وأبي عمرو الداني، وعبد الجبار الطرسوسي بمصر، وخلف بن غصن الطائي، وعبد الباقي بن فارس بمصر، وعبد الرحمن بن الحسن الخزرجي، ومحمد بن سليمان الأبي». قال المحقق: «وهؤلاء شيوخ ما نعلم أحدا جمع بينهم» (٢٨).

ومن الطريف إلى جانب هذا ما جاء في ترجمته من أنه «لازم أبا عمرو الداني ثمانية عشر عاما» (٢٩).

فما سر الخصومة بينهما مع هذه الصحبة الطويلة التي تدل على استحكام الصلة وتوثقها الشديد؟

لعل مفتاح السر في ذلك هذا النبوغ الذي أحرزه أبو محمد بن سهل من خلال قراءته وأخذه على من أخذ عنهم من هؤلاء الكبار مما جمع فيه بين أمهات المدارس المعاصرة في القراءة، مما أعطاه شفوفا خاصا على أهل العصر في نبل المشيخة وعلو السند، وسعة الرواية، ومما يمكن أن يقف به مع أبي عمرو موقف الأنداد.

والظاهر أن أبا محمد كان يضع نصب عينيه – وهو في طريق عودته من رحلته– صورة أبي عمرو شيخه الذي انتهت إليه إمامة هذا الشأن في شرق الأندلس . إن لم نقل في الأندلس كلها في زمنه . ولا سيما بعد موت رجال من أمثال أبي عمر الطلمنكي، وأبي محمد مكي، فأراد أبو محمد أن يزاحم في الساحة، وأن يكون له مقامه اللائق به، فلما أراد أبو عمرو أن يكف من غربه التحمت بينهما الخصومة «وجرت بينه وبين شيخه الداني عند قدومه منافسة ومقاطعة» (٣٠).

والذي يبدو أن مبعث ذلك إحساس ابن سهل بما تأتى له في اختصاصه من رسوخ قدم، فكان كما قال ابن بشكوال: «ضابطا للقراءات وطرقها، عارفا بها، أخذ الناس عنه» (٣١)، لاسيما والدار غير بعيدة والطلاب يتنقلون بين المشايخ ينقلون أقوال هذا القارئ ومذاهبه إلى ذلك، ومنها الموافق والمخالف، فلا جرم أن تنشب بينه وبين شيخه القديم معركة، على الرغم من أن موجباتها لم تكن مذهبية ولا فنية في الظاهر، ولا قائمة على موقف أو اتجاه خاص، وإنما مردها إلى التنافس على امتلاك الجاه والحظوة في منطقة شرق الأندلس، وحرص الشيخ عليها لنفسه دون منافسيه.

ولعل أبا محمد – بحكم شبابه – كان أحرص على إثارة هذه الخصومة من شيخه، ولذلك نراه يستخدم هذا الأسلوب مع عامة مخالفيه، فيقف موقفا صلبا عرّضه في فترة كبيرة من عمره لمصاعب ومتاعب، ولقد وصف ذلك الإمام المحدث أبو علي بن سكرة في قوله فيه: «هو إمام وقته في فنه، لقيته بالمريه... وكان شديدا على أهل البدع، قوالا للحق مهيبا، جرت له في ذلك أخبار كثيرة، وامتحن وغرب، ولفظته البلاد، وغمزه كثير من الناس، فدخل سبته، وأقرأ بها مدة، ثم خرج إلى طنجة، ثم رجع إلى الأندلس فمات برندة» (٣٢).

وهكذا يمكن اعتبار خصومته مع أبي عمرو أملاها التنافس على المنصب والجاه، وجر إليه الإدلاء بالتفوق والمزاحمة في الفن والاختصاص.

خصومة الحافظ مع أبي الحسن شريح الرعيني (ت ٥٣٧ هـ)

ترتبط هذه المعارضة بمقرئ كبير، وشيخ جليل، حامل لواء والده أبي عبدالله بن شريح، إنه أبو الحسن ابن شريح، أحد أساطين المدرسة التوفيقية التي انتظمت عامة المدارس المغربية والمشرقية. والأثر الذي نقصده هنا يمثل المعارضة لأبي عمرو، وهو أثر يتناول خصوصية من خصوصيات الأداء في رواية ورش، ويتعلق الأمر فيها باختلاف المدرستين «الاتباعية» و«القيروانية»، أو المتأثرة ببعض مذاهبها كمدرسة شريح، وذلك في أصل عام لورش في الراء الساكنة إذا أتى بعدها ياء في لفظ «قرية» و«مريم».

مذهب أبي عمرو في الراء الساكنة في «قرية» و«مريم»

يقول أبو عمرو عارضا لمذهبه ومناقشا لمذهب من رقق الراء: «فأما الراء إذا سكنت وأتى بعدها ياء مفتوحة، فلا أعلم خلافا عن ورش ولا عن غيره في نص ولا تلاوة أن الراء في ذلك مفخمة، وذلك في نحو قوله «مريم» و «من قرية» و «من قريتكم» و«من قريتنا» و«من القريتين»، إلا ما حكاه بعض المغاربة عن ورش أنه يرقق الراء في ذلك، واعتل بوقوع الياء بعدها، وزعم آخرون منهم أن ترقيقهما لأجل ذلك إجماع من الأئمة».

قال الحافظ أبو عمرو: «وهذا الذي اعتلوا به غير صحيح، وذلك أن الياء إذا تحركت بالفتح صار حكمها كحكم سائر الحروف المتحركة به، لا توجب إمالة ولا ترقيقا، ولو كان هذا المذهب صحيحا لكانت الياء الساكنة والكسرة أولى به إذا كانتا توجبانه إذا سبقتا، فكان يجب

ترقيق «البحرين» «جرين» و«أغرينا» و«مرفقا» و«مرجعكم» و«ترجعون» وما أشبه ذلك، قال: وفي الإجماع على تفخيم الراء في ذلك دليل على خطأ من رقق الراء في ذلك فاعتل بمكان الياء، وأجيب عن ذلك بأن الحركات مقدرة بعد الحروف، وإذا اعتبر ذلك فيما ذكر وجدت الفتحة في نحو «البحرين» و «جرين» و«أغرينا» حائلة بين الراء والياء وفي نحو «مرفقا» و«مرجعكم» و«ترجعون» الحرف حائلا بين الراء والكسرة، وليس كذلك في باب «مريم»، لأن الراء فيه شديدة الاتصال بالياء» (٣٣).

ذلك مذهب أبي عمرو في هذا الأصل من أصول ورش، وذلك احتجاجه له ورده على مذهب غيره.

مذهب شريح ومن نحا نحوه

والذي يهمنا هنا ما ألفه الإمام أبو الحسن بن شريح، وهو تأليف لم يبلغنا منه إلا اسمه، وهو (كتاب الانتصاف من الحافظ أبي عمرو الداني في رده ترقيق «قرية» و«مريم») (٣٤).

ولقد فاتنا بضياع الكتاب أن نتعرف على ما ساقه مؤلفه من الأدلة في تأييد مذهبه، ونقض مذهب أبي عمرو إلا أننا مع هذا لا يفوتنا أن نتمثل صورة عن هذا النشاط الزاخر الذي كان من آثار ما خلفه أبو عمرو من نظريات ومذاهب واختيارات حتى بعد اختفائه عن الساحة بعقود أو عهود مديدة من السنين، مما يدل على عمق أثره وبعد مداه في المدرسة الأندلسية وقوة التيار الذي خلفه، هذا التيار الذي سيصارع طويلا إلى أن يكتب له الانفراد بالساحة واحتواء باقي التيارات على ما كان لها من قوة ومدد، إلى أن استقل استقلالا كليا بالكراسي العلمية في هذا الفن في المشرق والمغرب على السواء.

وما نرى خصومة شريح ومن سبقه أو تلاه مع أبي عمرو، في هذه المسألة أو نحوها إلا من آثار الإشعاع القوي الذي كان لمذاهب أبي عمرو، والصدى البعيد الذي كان لمدرسته في الأندلس، والذي انطلق منها مع الإمام الشاطبي في الثلث الآخر من المائة السادسة ليفتح بها لهذه المدرسة في ديار المشرق ما لم يفتح مثله ولا قريب منه لمدرسة في هذا العلم، حيث لا تزال آثاره ماثلة في ميدان القراءات وعلومها إلى اليوم.

٣- التأصيل المنهجي لدراسة علم القراءات بتقسيمه إلى أصول وفرش

إن من عناصر إمامة الأندلسيين ومظاهر ريادتهم في علم القراءة، تأصيلهم المنهجي العملي التطبيقي لدراسة علم القراءات بتقسيمه إلى أصول وفرش. وإن كان المشارقة هم من بادر إلى تأسيس هذا المنهج مع الإمام أبي الحسن الدارقطني، يقول المحقق في ترجمته: «... وهو أول من وضع أبواب الأصول قبل الفرش...» (٣٥).

ويقول فيه الحافظ الذهبي: «.... وهو من عمل الأبواب قبل فرش الحروف...» (٣٦).

إلا أن هذا التأصيل لم يتعد مستوى التنظير العلمي؛ إذ كانوا يذكرون أحكام القراءات على حسب ورودها في سور القرآن الكريم، كما فعل طاهر بن عبد المنعم بن غلبون في التذكرة وغيره، وهو يعتبر أيضا ممن أسسوا لهذا التقسيم.

ويعد الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الواضع الحقيقي لهذا المنهج؛ إذ عرض أبواب الأصول كلها، ثم بعد ذلك ذكر فرش الحروف، نقف على ذلك من خلال كتبه الغزيرة، خصوصا التيسير وجامع البيان هذان الكتابان اللذان يعتبران من أهم أصول هذا العلم، فالأول منهما هو أشهر كتب الحافظ في المشرق والمغرب، وقد عني به أئمة الإقراء منذ ظهوره حيث تداولوه بالرواية والحفظ والشرح والنظم والتطرير عليه...

وأما الثاني فهو أوعى مصنف في هذا العلم الشريف (٣٧).

فكل من جاء بعد الحافظ من القراء والمصنفين صار على المنهج الذي أصله كالإمام الشاطبي والمحقق ابن الجزري...

إذن يعتبر الإمام الحافظ أول من فعّل هذا المنهج في علم القراءات في المغرب، فقد رتب لنسق خاص ما يزال عليه العمل إلى اليوم في القراءة والإقراء والأداء.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب للمقري التلمساني: ٢٣٢/٦.
(٢) الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي: ٤٩/١.
(٣) نفسه: ٥٠/١.
(٤) نفح الطيب: ٧١٦/٢.
(٥) طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد ابن الحسن الزبيدي ص: ٢٥٦.
(٦) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ص: ١٩٣.
(٧) نفح الطيب: ١١٣/٢.
(٨) نفسه:٢١٤/٢.
(٩) طبقات المفسرين لجلال الدين السيوطي ص: ٣٠-٣١.
(١٠) غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين محمد بن محمد بن الجزري: ٣٠٩/٢.
(١١) نفسه: ٩٢/١.
(١٢) نفسه: ٥٠٣/١.
(١٣) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي: ٢١٧/١-٢١٨.
(١٤) معجم الأدباء: ١٣٢/٦.
(١٥) مقدمة ابن خلدون ص: ٤٠٧-٤٠٨.
(١٦) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص: ٢٥٣-٢٥٤.
(١٧) النشر: ٣٤/١ تاريخ القراءات في المشرق والمغرب لمحمد المختار ولد أباه ص: ٢٤٩. القراء والقراءات بالمغرب لسعيد أعراب ص: ١٤ مجلة دار الحديث الحسنية العدد ١٢-١٩٩٥.
(١٨) النشر:٣٤/١.
(١٩) نفسه: ٣٤/١ القراء والقراءات بالمغرب ص: ١٤ تاريخ القراءات ص: ٢٥٠.
(٢٠) القراء والقراءات بالمغرب ص: ١٣.
(٢١) الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية لشكيب أرسلان: ١٧٥/١.
(٢٢) نفح الطيب: ١٣٥/١.
(٢٣) نفسه: ٢٠٦/١.
(٢٤) نفح الطيب: ١٠/٢.
(٢٥) نفسه: ١١/٢.
(٢٦) رسالة التنبيه على الخطأ والجهل والتمويه ص: ٣٩٥.
(٢٧) الزهر اليانع في قراءة نافع (مخطوط)..
(٢٨) معرفة القراء ص: ٢٤٤، غاية النهاية: ٤٢٢/١.
(٢٩) معرفة القراء ص: ٢٤٤، غاية النهاية: ٤٢٢/١.
(٣٠) معرفة القراء ص: ٢٤٤.
(٣١) الصلة ص: ٢٣٩.
(٣٢) غاية النهاية: ٤٢٢/١.
(٣٣) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة لمحمد بن الحسن الفاسي في باب الراءات (مخطوط).
(٣٤) فهرسة ابن خير ص: ٣٧.
(٣٥) غاية النهاية: ٥٥٩/١.
(٣٦) معرفة القراء، ص١٩٧.
(٣٧) النشر: ٥٣/١.

وظائف التأليف في الرقائق

أ.د.خالد فهمي
كلية الآداب - جامعة المنوفية

مدخل: في سبيل استعادة الإنسان يمثل العصر الحديث أخطر مرحلة في التاريخ الإنساني؛ تهددت فيه روحه، وتعرض فيه قلبه لمخاطر مرعبة، بسبب هيمنة المادة، وسطوتها. وقد كان ذلك حافزا لظهور مدارس فكرية، ومذاهب أدبية تحاول استعادة الإنسان في مواجهة عصر سعى جاهدا أن يستعبد الإنسان، وأن يخضعه باسم الآلة.

لقد شاهدت عناوين كثيرة باسم: كي لا نمضي بعيدا، وباسم: استنقاذ الروح، وباسم: العودة إلى المنابع، وباسم: الجذور، وبأسماء أخرى كثيرة.

ولم ينتبه كثيرون في هذا السعي المحموم أنه كان يصب في باب الانتصار للتصور الإسلامي الذي يعلي من قيمة طهارة القلب، ونقاء الروح. لقد ورثنا عن النبي ﷺ أن صلاح المضغة المسماة بالقلب إيذان بصلاح الإنسان وقبوله في الطاهرين، الفائزين، يقول ﷺ: (في الحديث المتفق عليه): «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله».

ومن أجل ذلك، وبعد تاريخ طويل من تدويخ الأيدولوجيات الغربية للنفس المسلمة بدءا من نحو قرنين ونصف القرن من الزمان - ولا يزال مستمرا - ظهرت اتجاهات كثيرة حاولت أن تتجاوز هذا العصر إلى عصور فهمت طبيعة الإنسان الحقيقية، وأرادت استعادته واستنقاذه من حالة الغياب والاغتراب.

الرقائق: مفهومها وأدبياتها

للرقائق مفهوم قديم استعمل بتسميات متعددة، وهو لفظ دال على ما به يقظة القلب ولينه ورحمته. وهو يرادف ألفاظا مثل: الزهد، وإصلاح القلب وإحياؤه. وقد غلب استعمال مصطلح الرقائق وصار علما على يقظة القلب ولينه وذهاب قسوته.

وقد كان التأليف فيه قديما في حضارة الأمة المسلمة، لكنه كثر في العصر الحديث، وتنوعت أشكاله ومنهجياته واتجاهاته ويمثله من هذه المؤلفات ما يلي:

- إبراهيم عمران: السكران في رقائق القرآن.
- أحمد فريد في كتابه: البحر الرائق في الزهد والرقائق.
- سعيد حوى في: المستخلص في تزكية الأنفس.
- صلاح الدين سلطان في كتابه: الوسائل العملية الخمسة لإصلاح قسوة القلوب.
- عبدالعزيز سلمان في كتابه: موارد الظمآن في دروس الزمان.
- فتحي يكن في كتابه: قوارب النجاة في حياة الدعاة.
- محمد الغزالي في كتابه: جدد حياتك.
- محمد الغزالي في كتابه: الجانب العاطفي في الإسلام.
- محمد الغزالي في كتابه: فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء.

وهذه نماذج غير حصرية بطبيعة الحال، لكنها دالة على غيرها باعتبار موضعها من التأليف المعاصر، شهرة وريادة. وفحصها منبئ عن مجموعة من العلامات المهمة على طريق قراءة هذا التراث المعاصر:

أولا- اتفاق التوجهات المختلفة على أهمية الرقائق في التكوين والبناء الإنساني للمسلم المعاصر، فقد أظهرت هذه القائمة المختارة أن التنوع في الانتماءات الفكرية مجتمع على قيمة هذا الباب العلمي، وهو ما تعكسه قراءة مذاهب المؤلفين.

ثانيا- الامتداد المكاني، بمعنى أن التأليف في الرقائق امتد فغطى مساحات شاسعة للعالم الإسلامي من المشرق والمغرب، والتوسع في استكمال القائمة يكشف عن هذا الذي نقرره؛ ذلك أن التأليف في الرقائق تجاوز الجغرافية العربية لتظهر أمثلة له في تركيا (سعيد النورسي) وفي شبه الجزيرة الهندية وإفريقيا وأوروبا.

ثالثا- الامتداد الزمني المعاصر؛ بمعنى أن التأليف في الرقائق تواصل وامتد زمنيا منذ فترة مبكرة في العصر الحديث، صحيح أنه زاد وتراكم في القرن العشرين وما بعده لاعتبارات كثيرة، لكنه لم يغب منذ ظهر في التاريخ الإسلامي القديم.

رابعا- غلبة الأبعاد الحركية على مؤلفي كتب الرقائق، وهو ما يؤكد تنامي العناية بالتأليف في الرقائق

لغايات تربوية وتكوينية وإصلاحية معا.

خامسا- التنوع المنهجي والتأليفي؛ ذلك أن كتب الرقائق في العصر الحديث اتخذت أشكالا منهجية، واتجاهات تأليفية متعددة يمكن إجمالها فيما يلي:

أ- اتجاه تلخيصي عمد إلى بعض من كتب التراث، فلخصها، وانتقى أوضح نصوصها: (أحمد فريد في البحر الرائق).

ب- اتجاه عملي عمد إلى تكثيف الوسائل وتركيزها وتمييز بعضها من بعض، والإرشاد إلى كيفية تحققها في النفس، وطرق تحصيلها: (صلاح الدين سلطان في: الوسائل الخمسة لإصلاح قسوة القلوب).

ج- اتجاه أسلمة المنجز الغربي، وأقصد به ما ظهر استجابة ومواجهة لعدد من الكتابات التي ترجمت إلى العربية تريد حمل الإنسان على استعادة حيويته وتجديد حياته، وهو المنهج الظاهر الذي حكم الشيخ الغزالي في تأليف كتابه: جدد حياتك، يقول (ص ١٢ من كتابه، القاهرة سنة ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م): «لقد حرصت في كتابي (هذا) على إحياء الحكمة العربية الأولى، وإمتاع القراء بطرف منها في سياق المعارف الدينية والعلمية التي يجدونها. وإذا كان «ديل كارنيجي» يحيا بقرائه في جو أميركي بحت فمن الواجب أن أعيش مع قرائي في جو عربي خالص».

د- اتجاه تصحيحي، ويقصد به إعادة قراءة الموروث الإسلامي، وتنظيمه وتصحيح الأوهام التي علقت به في مسيرته الطويلة نحو العصر الحديث، ويمثله كتاب الجانب العاطفي في الإسلام.

هـ- اتجاه تأسيسي، ويعمد أصحابه إلى حياة النبي ﷺ بما أنه أسوة المسلمين المركزية، فيلتقطون ما به قيام منهج في إحياء القلوب، ومحاصرة قسوته وإعادته إلى اليقظة والرفق واللين والرحمة، ويمثله كتاب الغزالي: فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، وكتاب سعيد حوى: السيرة بلُغة الحب والشعر.

في خطاب المصادر

لم يكن التأليف في الرقائق في العصر الحديث منقطع الصلة بتاريخ العلم في الأمة، ولم يكن وليد هذا العصر الذي جثمت فيه على صدر النفس المسلمة صور من ركام مادي وشهواني كثيف جاءها من طبيعة هذا العصر، وجاءها من هجوم فاجر من قوى شر متعددة. لكنه استمرار لتراث عريق ممتد في رحم تاريخ المسلمين، وهو الأمر الذي يؤكده ويدعمه فحص المصادر المؤسسة للتأليف المعاصر في الرقائق، وتتلخص هذه المصادر المؤسسة فيما يلي:

أولا- الكتاب العزيز

يمثل الذكر الحكيم أهم مصدر يستهدف صلاح قلب المسلم ورعى لينه ورقته وتنزل الرحمة فيه، وبيّن وسائل تقواه، وأقام المسارات على ذهاب قسوته، وهو المصدر الذي تنبه إليه الكتّاب المعاصرون بما أثبتوه من آياته في مؤلفاتهم المختلفة في هذا الميدان. إن واحدا من محددات زراعة اللين في القلوب تعيينا هو التمسك بالأمل ومحاربة اليأس والقنوط بالتشبث برحمة الله تعالى، وفي هذا السياق نرى الشيخ محمد الغزالي مستثمرا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَايْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ (يوسف:٨٧)، يقول: «لقد تحمّل (يقصد يعقوب عليه السلام) المأساة الأخيرة بالعاطفة نفسها التي تحمّل بها الأولى، وظل على تشبثه برحمة الله، يرمق الغد، وفي فؤاده شعاع من رجاء لم تطفئه الأحداث، وقال لأبنائه: ﴿وَلَا تَايْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ (يوسف:٨٧).

لقد فطن التأليف المعاصر في الرقائق إلى أن المصدر المركزي التأسيسي الصانع لرقة القلوب ولينها هو الذكر الحكيم في مستويات متعددة:

أ- في قصص الأنبياء الكرام وهم يواجهون قسوة أعباء البلاغ، وقسوة المعاندين من الكافرين والمنافقين بقلوب تفيض رقة ورحمة ولينا وإنسانية متدفقة نبيلة كاملة.

ب- في الحكم الربانية والقوانين الكلية التي اتصل ظهورها أصالة أو تعليلا أو تذليلا لمطالب هداية الإنسان وتوجيهه وإرشاده.

ج- في التعقيب على أسباب نجاح نفر من الناس رقت قلوبهم ولانت وتراحمت، فكانت جميعها أسبابا لنجاتهم.

د- في التعقيب على أسباب هلاك نفر آخر من الناس قست قلوبهم واستحجرت وجمدت فكانت جميعها سببا لهلاكهم.

هـ- في امتداح أصحاب القلوب الرقيقة الرحيمة اللينة.

و- في ذم أصحاب القلوب القاسية المتحجرة.

وقد تنبه الوعي المعاصر إلى أهمية استقلال رقائق القرآن الكريم في البناء التأسيسي للرقائق في العصر الحديث وهو ما نجده في كتاب: رقائق القرآن، لإبراهيم عمران السكران، الذي يقول في مقدمته (ص:٧): «وكون القرآن هو المعنى لتزكية النفوس، وترقيق القلوب، وتصفية الأرواح وانتشالها من الثقلة الأرضية ليس استنباطا أو وجهة نظر، بل هي حقيقة دل عليها القرآن ذاته كما قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق:٤٥).

ثانيا- السنة النبوية الشريفة

لقد فزع أصحاب مؤلفات الرقائق إلى السنة المطهرة بما أنها كنز

يتدفق بنصوص ومواقف تنفجر بدلالات الرحمة ورقة القلب، وهو أمر طبيعي في ظل الإيمان بأن النبي ﷺ الرحمة المهداة للعاملين، أي الرحمة العامة للخلق جميعا، بدءا باستدعاء الأحاديث التي تعلم ما به صلاح القلوب، يقول محمد أحمد الراشد (ص ٣٥): إن تقوى القلوب في الحقيقة هي التي تقود إلى تقوى الجوارح، كما قال النبي ﷺ: «التقوى هاهنا: وأشار إلى صدره»، إن الفزع إلى الحديث النبوي في مثل هذه السياقات متنوع الوظائف؛ فهو:

أ- يؤسس المعرفة بالقضية المطروحة.

ب- ويطمئن القارئ إلى أن المسألة ليست تهويما يهدف إلى تحقيق رقة القلب.

ج- ويشيع جوا من الإيمانية الآسرة باستحضار الحديث النبوي الكريم الذي يعين على الطاعة والتأسي والتزام حقيقة ما يحمله.

د- ويُذهب غرابة الدعوة إن استشعر المعاصرون غربة ما يدعوهم إليه الدعاة المعاصرون.

وأشكال الأحاديث التي يلجأ إليها المؤلفون المعاصرون خدمة لقضية الرقائق متنوعة يكثر منها:

أ- أحاديث التعليم وتقرير الحقائق على ما رأينا من حديث: «التقوى هاهنا» وأشار إلى صدره الشريف ﷺ.

ب- أحاديث الترغيب، ولها تراث ممتد في تاريخ علم الحديث عند المسلمين، تبعث على استفزاز غريزة التعلق بالجميل والممدوح، ليتحول الإنسان إلى إنسانيته رقيق القلب، رحيما، لينا.

ج- أحاديث الترهيب والتخويف، ولها تراث ممتد في تاريخ العلم عن المسلمين تبعث على رد النفس عن القبيح بسبب ما جبلت عليه من الخوف من المؤلم، فترتد إلى مقامات الرحمة واللين والرقة، بسبب من الخوف والرهبة.

د- أحاديث السلوك والوسائل الدالة على تحصيل رقة القلوب ولينها من مثل قول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها وهو مما استشهد به فتحي يكن في كتابه: بيان بعض وسائل الدعاة في تحقيق النجاة (ص ٩٩): إن الكرب العظيم يدفعه عن المؤمن صدق إيمانه، وصدق التزامه بدينه، وحسن ظنه بالله، وتقربه إليه بالصوم... وهذا ما جعل النبي ﷺ يوصي عائشة رضي الله عنها فيقول: «أديمي يا عائشة قرع باب الجنة بالجوع».

ثالثا- حكمة الكتب القديمة

لقد كانت الحضارة الإسلامية صاحبة فضل غير منكور على التراث الثقافي للعالم، فحفظت ما أمكنها حفظه، ولعل قراءة كتاب المحدث العظيم أبي عبيد القاسم ابن سلام الهروي (ت٢٤٤هـ) في الخطب والمواعظ الذي جمع فيه حكمة ما تبقى من الكتب القديمة دليل ظاهر على ما نقرره.

وقد استعمل بعض المعاصرين ممن ألفوا في الرقائق بعضا من حكم الكتب القديمة المروية عن بعض أنبياء الله تعالى، وبعض الزهاد والعباد.

وقد استثمر المعاصرون من المؤلفين في الرقائق عددا كبيرا من المؤلفات التراثية في المجال نفسه، وقد كانت الاتجاهات الغالبة على استثمارهم هي:

أ- كتب الزهد التراثية، ويأتي في مقدمتها كتاب الزهد لعبدالله بن المبارك، وكتاب الزهد لأحمد بن حنبل.

ب-كتب الوعظ أو المواعظ، وجاءت كتابات ابن الجوزي وابن قيم الجوزية في الصدارة، كصيد الخاطر، والفوائد.

ج- كتب الطبقات ولا سيما طبقات المحدثين، والأولياء من مثل: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وحلية الأولياء لأبي نعيم، وسير أعلام النبلاء للذهبي.

د- كتب المختارات والمجالس، من مثل البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، وبهجة المجالس لابن عبدالبر، وربيع الأبرار للزمخشري، ونثر الدر للوزير الآبي.

مؤلفات الرقائق في العصر الحديث:

مقال في خطاب الوظائف

إن العناية بالتأليف في الرقائق في العصر الحديث انبنت على وعي ظاهر بقيمتها وأهميتها ووظائفها في الحياة المعاصرة، وهو الأمر الذي دللنا عليه في فترة سابقة، وفيما يلي محاولة تسعى إلى رصد ما توخته هذه المؤلفات من وظائف طمحت إلى تحقيقها:

أولا- الوظيفة الإيمانية

وهي أعلى الوظائف المطموح إليها، ذلك أن غلبة الوجه المادي للحياة حمل كثيرا من المفكرين والدعاة المعاصرين إلى العناية بما من شأنه إصلاح القلوب، وبعثها وطلب يقظتها ورقتها ولينها، وهو الأمر الذي يعيدها إلى مقام الإيمان؛ ذلك أن لله تعالى مرادا في أن تخشع القلوب له وتتيب إليه، وتعمر بالإيمان بعد أن تطهر وتتقى.

ثانيا- الوظيفة التربوية

لقد كان من غايات الإسلام ومقاصده المعلنة تزكية النفوس وترقيها في مدراج الرقي والكمال، وتعاليها عن البهيمية والشهوانية، وهو الأمر الذي سعت إليه هذه المؤلفات مستهدفة تربية الإنسان المسلم المعاصر على

قيم التراحم والسلوك المهذب الذي يفيض من القلوب الخاشعة العامرة على بقية الجوارح؛ فتثمر تعاونا وتقديرا للآخرين، وتتواصل تواصلا ناجحا وإنسانيا. يقول محمد أحمد الراشد (ص٦): إن تزكية النفس واحدة من مطامح العناية بالرقائق.

ثالثا- الوظيفة النفسية

لقد امتدح القرآن الكريم النفس المطمئنة، وهيأ الأسباب لكي تبلغ إلى الأمان، فكانت وجوه الأمان النفسي واحدة من غايات الإسلام. وكان ترقيق القلوب وصلاحها وفيضان الرحمة منها ظاهر العائد في تحقيق الأمان للإنسانية.

إن الرقائق -وهي تواجه أزمات هذا العصر المادي المتوتر الذي انشغل بالمادة انشغالا يوشك أن يغيب الإنسانية- تطمح عن طريق معالجة هذه الأزمات الطاحنة إلى أن تورث الإنسانية نوعا من الأمان تستعيد به عافيتها وسواءها النفسي.

رابعا- الوظيفة الاجتماعية (التوازن)

إن غلبة جانب على آخر في حياة الإنسان وحركته يظلم الوجود الاجتماعي الإنساني، ذلك أن الله سبحانه خلق الإنسان من مادة وروح، وهيأ له أسباب التوازن، ومن هنا فإن القيام على ترقيق القلب وتحقيق صفائه صانع للتوازن في الوظيفة الاجتماعية. يقول محمد أحمد الراشد (ص ٦): إن الأوقاف التي وقفها المسلمون على امتداد التاريخ القريب لأجزاء الحركة ابتعدت بهم عن الموازنة في أساليب التكوين والتربية وطغيانها على جوانب أخرى، فترى في منطقة غلبة الجانب التعبدي وتزكية النفس وفي أخرى ترفا فكريا وفي ثالثة ولعا بالمشاركة في أحداث السياسة اليومية، ومن هنا فإن إعادة الاعتبار لنقاء القلب ولينه وصفائه وترقيقه حاسم في خلق التوازن في حركة الإنسان الاجتماعية.

وتتجلى وظائف الرقائق من الوجهة الاجتماعية في أمور متعددة يمكن الإلماع إلى أشهرها في ما يلي:

أ- ضبط حركة الإنسان مجتمعيا، ليخلق توازنا بين احتياجات البدن واحتياجات الروح.

ب- تصحيح حركة العاملين للإسلام، وردهم إلى مقامات التناسق والموازنة من دون طغيان جانب على آخر.

ج- منح فرص للعلاقات الإنسانية الحميمية لتقوى، وتنشط، وتستعيد عافيتها بعد أن استعلنت الشكوى بتحجر المشاعر بين الأباء والأبناء، وبين الأزواج والزوجات، وبين أصحاب الأرحام. وهو ما يعني أن كتب الرقائق المعاصرة بإمكانها أن تساعد في تحقيق السلام الاجتماعي، عن طريق تحقيق التراحم بين الخلق.

خامسا- الوظيفة الحضارية

إن تحقيق الاطمئنان للإنسان من جانب التوازن من جانب آخر من شأنه الإسهام في تحقيق مجموعة من العلامات التي تصب في التقدم الحضاري للأمة، وهو ما ينعكس على تجديد الأعمال وإتقانها، والتطلع نحو عمران الحياة.

إن امتلاء القلب بالإيمان والخشية والخشوع والأمان له تأثيره البالغ على تجدد الأعمال وإنجازها وتنويع ما ينفع الوجود منها.

لقد أسهمت ثقافة القلوب الرقيقة منجزات حضارية بالغة الروعة في تاريخ الحضارة الإسلامية تمثلت في تجليات مؤسسة الوقف الإسلامي في مثل:

أ- الأوقاف التي وقفها المسلمون على امتداد التاريخ للحيوانات الضالة.

ب- الأوقاف التي وقفها المسلمون على امتداد التاريخ للإطعام والسقيا.

ج- الأوقاف التي وقفها المسلمون على امتداد التاريخ للمرضى المختلفين.

وقد كانت هذه الأنواع تعيينا، دافعها الأول هو الرحمة واللين والرقة التي تفيض من قلوب الواقفين الذين امتلئوا بمشاعر الرحمة للخلق جميعا.

مقاصد التأليف

إن فحص كتب الرقائق في العصر الحديث بتنوعها المنهجي وتوزعها المكاني والزماني تعلن عن مجموعة من المقاصد الشرعية، ومن العجيب أن نلحظ عددا من المقاصد التي تنتمي إلى قائمة الضروريات، وفيما يلي رصد إجمالي لعدد من هذه المقاصد المستعلنة:

أولا- خدمة مقصد تزكية النفس وتطهير القلب

وهذا المقصد هو أظهر المقاصد استعلانا من عناوين هذه الكتب ومقدماتها، والشواهد من الآيات والأحاديث النبوية التي تمتلئ بها.

ونظر الإسلام إلى القلب بما هو ملاك توجيه الجوارح والموجه لعملها يجعل من تزكية النفس وتطهير القلب مقصدا ضروريا من المقاصد الشرعية التي تسعى إلى تحقيقها هذه الكتب.

ثانيا- تحقيق اطمئنان النفس

إن حفظ النفس بما هو كلية من كليات الشريعة المتفق عليها بالاستقراء يدور في فلكها حفظها مطمئنة غير موزعة ولا مضطربة ولا قلقة، تتفرغ لتحقيق ما خلقها الله تعالى من أجله في هذا الوجود، من توحيده وسعيه في الأرض بالإعمار.

ويدور في فلك هذا المقصد مقاصد أخرى متولدة عنه من مثل:

أ- تحقيق السواء النفسي.

ب- تحقيق التوازن بين مطالب البدن والروح.

ج- تحقيق نوع من جودة الحياة بالتخفيف من المشكلات النفسية.

ثالثا- تحقيق مقصد السلام العالمي

إن مما ظهر في الحديث عن المصادر المعرفية لترقيق القلب أنها واردة من مصادر إسلامية ومسيحية ويهودية، وهو ما يمكن أن يخلق نوعا من قبول المشترك من هذه المصادر مما يمكن أن يخلق حالة من القبول بين الشعوب الإنسانية المختلفة، بما يسهم في تحقيق الأمن والسلم العالمية بين البشر جميعا، ويقلل من النزعات والخصومات والصراعات الدولية.

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٢٥)

عبدالله أيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

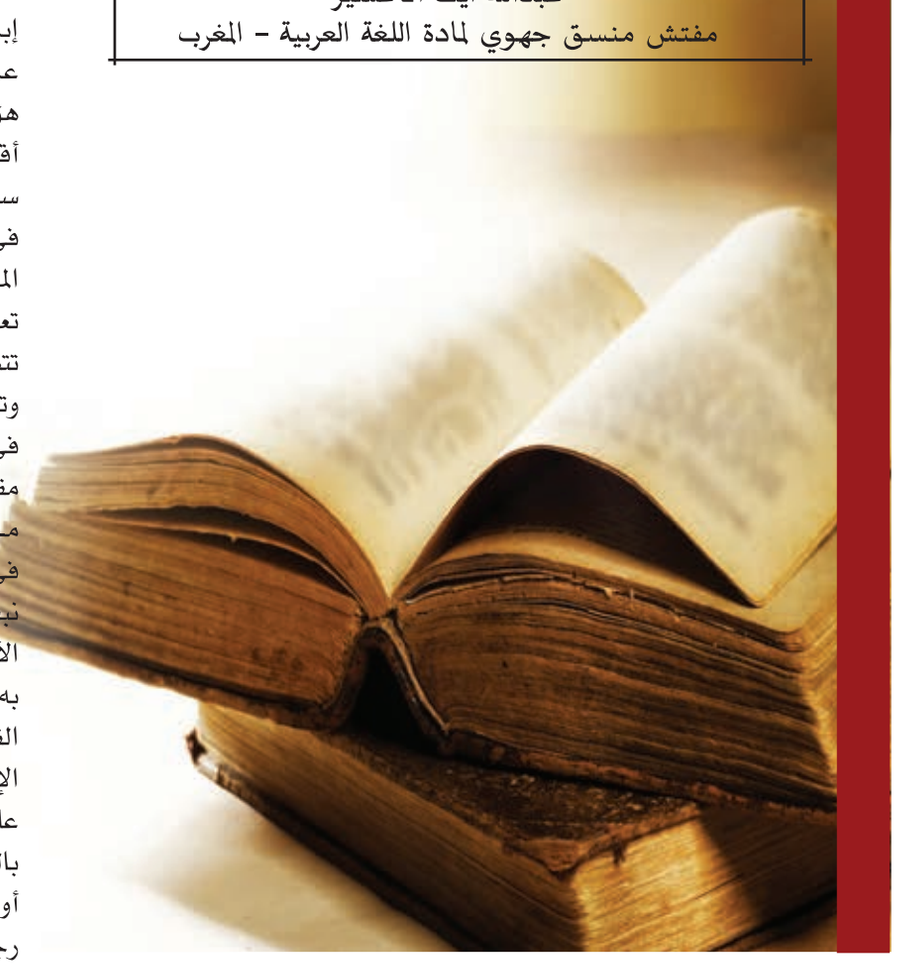

في خضم موجات ثورات التطلعات التي يشهدها العالم المعاصر المعولم، يحق لكاتب هذه الحلقات اللغوية أن يتطلع إلى مستقبل زاهر يهيئ للفصحى أسباب نمائها، ويوفر لها الأجواء العلمية والمعرفية التي تعدها بكثير من الانتصارات والفتوحات العلمية التي تظهرها نضرة مكيفة باسطة سلطانها على كافة مناحي الحياة، قد نضد معجمها وامتلأ باصطلاحات التقنيات الرقمية، لا يتصعدها التعبير عن أدق جزئياتها، مؤكدة للعالمين أكتعين أن المحن التي تعاقبت عليها من لدن خصوم الداخل وأعداء الخارج قد انسلت منها كما تنسل الأفعى من خرشائها، لم يمسسها سوء، بإذن ربها؛ بل إن كاتب هذه السطور لا يرتاب في العزة القعساء التي جعلها القرآن الكريم تاجا محفوظا لها من فوق سبع سموات، فكما خرجت مظفرة من دسائس الأعداء اللد في أثناء احتلال الأوطان العربية، فإنها قادرة على الانفكاك من المكر السيئ الذي يدبره لها الخصوم من أبناء جلدتها، كما خرج إبراهيم الخليل من نار «نمرود». فهل عزم الأمر أو مازال الشوط بطينا ليتخلى هؤلاء الخصوم عن أضغانهم وعن لحن أقوالهم لإدراك هذه البغية؟

سؤال جوابه البليغ ينجلي في إنعام النظر في ما تقذف به وسائل الإعلام العربية المرئية والمسموعة والمكتوبة -ولاسيما التي تعنى بالرياضة والغناء- من كلام بدأت تتضاءل فيه الفصحى وتتصاغر وتنكمش وتنزوي حتى بدت كلة وهنة، يحق نعتها في أجلى توصيف بأنها مجرد قناطير مقنطرة من الزؤان الذي تتخلله أكياس معدودة من الحنطة التي تنفع الناس في أرجاء الوطن العربي. وآية ذلك أن نبتة العاميات والدوارج وأمشاج اللغات الأجنبية بدأ عودها يشتد في ما يتفوه به كثير من رجال الإعلام، حيث تعرضت الفصحى -ومازالت تتعرض- لكل أشكال الإخلال بالقواعد والقوانين المتعارف عليها؛ فاتحة الباب للخطأ سبهللا؛ سواء بالنسبة إلى ما يبث من برامج وأخبار، أو بالنسبة إلى الشخصيات المضيفة من رجال ونساء الغناء والرياضة المتغنجين

في كلامهم، الذين هربت عنهم الفصاحة، فاستبدلوا بها الأشكال القزعية التي تنبت على رؤوسهم كأنها حماضة الديك. وبذلك تصبح تلك الوسائل التي لها من طرق الجذب والتأثير ما لا يتوفر في غيرها، أدوات لتقوية جند الغنج واللثغ واللحن وخلط الفصحى بالعامية والألفاظ الأجنبية، من دون إدراك حاجة من هذا الشوب الكلامي الذي يظهر حقائق أقوالهم التي تشفع السم بالعسل.

ولعل الذي يدعو المتتبع البصير بمساوئ هذه اللغة الأمشاج التي تنبجس من صنابير وسائل إعلامنا الرياضية والغنائية، هو الخشية على أبنائنا الذين تظل أعينهم مشدودة إلى أزيائهم وتصرفاتهم وما يتفوهون به من كلام مخسول مرذول، فيتحول ما يصنع هؤلاء وما يقولون، نموذجا يظهر له أبناؤنا الانشراح والحبور والانبهار، كما يتوضح ذلك في أفواههم التي يفغرونها، وفي علامات الرضا التي ترتسم على محياهم؛ لإظهار استعدادهم الكامل لشرب كلماتهم المتفنجة التي يمتحونها من أحواضهم اللغوية الضحلة، فتتطبع صور هذا التلقي في أذهانهم ومخيلاتهم، حتى إذا دعوا إلى الحديث في موضوع من الموضوعات؛ سالت ألسنتهم وأقلامهم بما عقلوه من كلام غث فشا فيه اللحن فشو الوباء الفتاك، لا يبرحونه إلا إذا أضافوا إليه بلوى أشد وأنكى، جراء احتطابهم الكلمات العامية التي يمزجونها ببعض كلمات الفصحى يتدون بها كلامهم، تماما كما يصنع أولئك المحسوبون على النجومية المفتراة. أما إذا أضفنا إلى هذا الشوب جيوش الكلم الأجنبي المحرف عن مواضعه، فإن الخطب يصبح أكثر إيلاما وأشد وبالا على الفصحى التي يؤخذ بخناقها وتضيق عليها منافسها، فلا يبقى سوى تشييعها إلى مثواها الأخير، لأن الأمة التي لا تتوحد حول لغتها الرسمية، التي تتلو بها القرآن الكريم، وتقضي بها حاجاتها المادية والوجدانية، تضيع منها بوصلة القيادة، وتفسد معاملاتها، وينكمش فكرها، وتتوزع روحها إلى أرواح متنافرة غير متآلفة، لا يمكن أن تسهم في النهوض بمجتمعاتها، بله شرك النفاق اللغوي الذي يوقعها فيه أولئك الأغتام، كما سبق للرسول ﷺ أن حذر من ذلك في قوله: «من يحسن أن يتكلم العربية، فلا يتكلم العجمية فإنه يورث النفاق».

وعلى الرغم من أن الوسائل الآنفة قد ذمرت شياطين الغناء والرياضة لتستبدل بالصحة سوسة الفساد اللغوي، فإن المشهد الإعلامي الراهن لا يخلو من بعض الإشعاعات الساطعة التي تمثل نجوم الهداية في سموات الإعلام العربي المسودة مثل حلك الغراب، ولاسيما بعض المجلات الرصينة، وبعض الفضائيات التي تضيف علماء حذاقيين مبرزين وأدباء بلغاء، وشعراء مفلقين ومفنين لوذعيين يمتحون من معين الفصاحة الذي لا ينضب. لكن العبرة بالكثرة الكاثرة التي مرغت ألفاظها في أوحال اللحن، التي أكتفي منها بقمش هذه العبارات الناكبة عن المراد الذي إليه يقصدون، مثل قولهم: «قدف اللاعب الكرة» وقولهم: «كرة ضائعة» أو قولهم: «الوقت بدل الضائع» وغيرها من العبارات اللاحنة التي لا تراعي الدقة في التعبير عن المراد، وآية ذلك أن القدف بالدال المهملة هو غرف الماء، أما القذف بالذال المعجمة فهو الرمي حقيقة أو مجازا، كما قال تعالى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ ...﴾ (طه:٣٨-٣٩)، وفي قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ (الأنبياء:١٩). أما القذف بالرجل فهو الركل. قال الثعالبي في ضروب الضرب بالأعضاء: «الضرب بالراحة على مقدم الرأس صقع، وعلى القفا صفع، وعلى الوجه صك، وبه نطق القرآن، وعلى الخد ببسط الكف لطم، وقبض الكف لكم، وبكلتا اليدين لدم، وعلى الذقن والحنك وهز ولهز، وعلى الصدر والجنب بالكف وكز ولكز، وعلى الجنب بالإصبع وخز، وعلى الصدر والبطن بالركبة زبن، وبالرجل ركل ورفس، وعلى العجز بالكف نخس، وعلى الضرع كسع، وعلى الاست بظهر القدم ضفن» (١) أما عبارة «ضائعة» فإن الضياع هو الفقد والإهمال. وإذا غزونا التعبير عن عدم إصابة الهدف فالصحيح الفصيح قول: كرة صائفة أو ضائفة أو طائشة. قال الخطيب الإسكافي عن الرمي بالسهام: «... وصائف: عادل عن الهدف، وطالع: يتجاوزه، وقاصر: لا يبلغه» (٢)، وقال الثعالبي في تفصيل هيئات السهم إذا رمي به: «... فإذا عدل عن الهدف يمينا وشمالا فهو ضائف وصائف، وكذلك العاضه والعادل الذي يعدل عن الهدف، فإذا جاوز الهدف فهو طائش وعائر وزاهق...» (٣) يتضح من هذه الاستشهادات أن اللغة العربية ليس بها حفف ولا ضفف ولا خصاصة في التعبير الصحيح عن كيفيات رمي الكرة على هذه الشاكلة: «ركل اللاعب الكرة» إذا ضربها برجله، و«كرة صائفة ضائفة» إذا عدلت عن الهدف يمينا أو شمالا، و«كرة طائشة» إذا جاوزت الهدف من الأعلى. أما عبارة: «الوقت بدل الضائع» التي تفتقد الحس اللغوي السليم فإن الفصيح هو أن نستبدل بها عبارة: «الوقت المستدرك» هذا مبلغي من العلم ببعض التصحيحات في المجال الرياضي، انتضيتها من أماكنها التي انزوت فيها بعيدة عن أعين الكسالى. مؤكدا أن غايتي لا ترمي إلى التخطئة، ولكن قصارى ما أرجوه أن أصحح النظرة إلى الحياة، من خلال تصحيح ما تقوله الكلمات، لتحقيق المراد من الاتصال والتواصل الإنساني.

الهوامش

١ – فقه اللغة وأسرار العربية. أبومنصور عبدالملك ابن محمد بن إسماعيل الثعالبي. شرح وتقديم. د. ياسين الأيوبي. ص٢٣٠. ط ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.

٢ – مبادئ اللغة مع شرح أبياته. أبوعبدالله محمد ابن عبدالله الخطيب الإسكافي. دراسة وتحقيق د. عبدالمجيد دياب. ص ١٧٤. دار الفضيلة.

٣ – فقه اللغة وأسرار العربية. ص ٢٣٢و٢٣٣.

من أوابد عرب الجاهلية وأكاذيبهم

محيي الدين عواد الظاهر
كاتب سوري

للعرب أوابد وعوائد كانوا يرونها فضلا، وقد دل على بعضها القرآن العظيم وكذّب الله دعاواهم فيها، فمن قوله عزوجل: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ (المائدة:١٠٣).

وقال أهل اللغة: البحيرة ناقة كانت إذا أنتجت خمسة أبطن وكان الأخير ذكرا بحروا أذنها، أي شقوها طولا، وامتنعوا عن ذكاتها، ولا تمنع من ماء ولا مرعى. والسائبة ناقة تسيب لنذر ونحوه. وقد قيل هي أم البحيرة، كانت الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلها إناث سيبت، فلم تركب، ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو الضيف حتى تموت. وقال بعض أهل اللغة: كان ينزع من ظهرها فقارة أو عظما، فتعرف بذلك، فكانت لا تحلأ عن ماء ولا كلأ، ولا تركب. وأغير على رجل من العرب فلم يجد دابة يركبها، فركب سائبة. فقيل له: أتركب حراما؟ فقال: «يركب الحرام من لا حلال له». فذهب قوله مثلا. وقد ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» في حديث للنبي ﷺ قال: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، وهو أول من سيب السوائب وبحر البحيرة».

أما الوصيلة: ففي الغنم كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم، وإن ولدت ذكرا وأنثى معا قالوا: «وصلت أخاها»، فلا يذبح الذكر لآلهتهم. وأما الحام، فالذكر من الإبل كان العرب إذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: حمي ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى.

ومن أوابدهم الأزلام: وهي سهام لهم مكتوب على بعضها «أمرني ربي»، وعلى بعضها «نهاني ربي»، فإذا أراد الرجل سفرا، أو أمرا يهتم به ضرب بتلك القداح، فإذا خرج الأمر مضى لحاجته، وإذا خرج النهي لم يمض.

الرتم: شجر معروف كان العرب إذا خرج أحدهم إلى سفر عمد إلى شجرة منه، فيعقد منها غصنا، فإذا عاد من السفر بدأ بالشجرة ونظر إلى الغصن، فإن كان على حاله فإن زوجته لم تخنه، وإذا وجده قد انحل فهذا يعني بالنسبة إليه أن زوجته قد خانته في غيابه.

البلية: ناقة كان العرب إذا مات أحدهم عقلوا ناقة عند قبره وشدوا عينيها حتى تموت، حيث يزعمون أنه إذا بعث من قبره ركبها.

إغلاق الظهر: كان الرجل منهم إذا بلغت إبله مائة عمد إلى البعير الذي تمت به المائة فأغلق ظهره لئلا يركب ويعلم أن صاحبه قد أصبح عنده مائة من الإبل. وإغلاق ظهره أن ينزع سناسن فقره ويعقر سنامه.

التعمية والتفقئة: كان الرجل إذا بلغت إبله ألفا فقأ عين الفحل يقول إن ذلك يدفع عنها العين والغارة.

العتيرة: كان الرجل منهم يأخذ الشاة فيذبحها على رأس صنم، وتسمى الشاة العتيرة والمعتورة، وذلك يكون في رجب، وفيهم من يضن بالشاة فيذبح عنها الظباء.

العر: داء يأخذ الإبل شبيه بالجرب، كانوا يكوون السليم، ويزعمون أن ذلك يبرئ ذا العر.

عقد السلع والعشر: كانوا إذا استمطروا في الجدب يعمدون إلى البقر، فيعقدون في أذنابها السلع والعشر، ثم يضرمون فيها النار، ويصعدون على الجبل، ويزعمون أنهم يمطرون في الوقت نفسه. السلع نبات، وقيل شجر مر. والعشر نبت ضعيف يكون له ورق عريض إذا كسر يجري منه مثل اللبن رائحته نتنة.

دائرة المهقوع: وهي الدائرة التي تكون في عرض زور الفرس وتكره، ويقال: إن المهقوع لا يسبق أبدا. ويزعمون أنه إذا عرق صاحبه اغتلمت حليلته وطلبت الرجال.

وطء المقاليت: المقلات هي التي لا يعيش لها ولد. وقيل هي التي تلد واحدا ثم لا تلد بعد ذلك. وكان العرب يزعمون أن المقلات إذا وطئت رجلا كريما قتل غدرا، وعاش ولدها.

الهامة: زعموا أن الإنسان إذا قتل ولم يُطلب ثأره خرج من رأسه طائر يسمى الهامة، وصاح على قبره اسقوني إلى أن يدرك ثأره.

ضرب الثور عن البقر: كانوا إذا

امتنعت البقر عن شرب ضربوا الثور، ويزعمون أن الجن تركب الثيران، فتصد البقر عن الشرب.

ويقولون: إن الدبران خطب الثريا، وأراد القمر أن يزوجه فأبت عليه وولت عنه، وقالت: ما أصنع بهذا السبروت الذي لا مال له؟ فجمع الدبران قلاصه يتمول بها، وهو يتبعها حيث توجهت يسوق صداقها أمامه، يعنون القلاص. والسبروت هو المسكين والمحتاج، والقلاص هي النجوم.

الغيـلان والتغـول

للعرب في الغيلان والتغول أخبار وأقاويل، فيزعمون أن الغول يتغول لهم في الخلوات في أنواع الصور، فيخاطبونها وتخاطبهم، وربما ضيفوها. وزعمت طائفة من الناس أن الغول حيوان مشؤوم، وأنه خرج منفردا لم يستأنس، وتوحش، وطلب القفار، وهو يشبه الإنسان والبهيمة، ويتراءى لبعض السفار في أوقات الخلوات وفي الليل. فيتوهمون أنه إنسان فيتبعونه، فيزيلهم عن الطريق الذي هم عليه ويتيههم. وكان ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه، فلم يكونوا يزولون عما كانوا عليه من القصد، فإذا صيح به شرد عنهم في بطون الأودية ورؤوس الجبال.

قولهم في الشياطين ونحوها

للعرب كلام كثير في الغيلان والشياطين. يقول المسعودي في «مروج الذهب»: «ذكر أهل التواريخ والمصنفون لكتب البدو، كوهب بن منبه وابن إسحق وغيرهما، أن الله خلق الجان من نار السموم، وخلق منه زوجته، كما خلق حواء أم البشر من آدم، وأن بيضة من تلك البيض تفلقت عن قطربة، وهي: أم القطارب، وأن القطربة على صورة الهرة، وأن الأبالس من بيضة أخرى، منهم الحارث أبو مرة، وأن مسكنهم البحور، وأن المردة من بيضة أخرى مسكنهم الجزائر، وأن الغيلان من بيضة أخرى مسكنهم الخلوات والفلوات إلخ...».

الهـواتف والجـان

قال المسعودي: «أما الهواتف والجان فقد كثرت في العرب، واتصلت بديارهم، وكان أكثرها أيام مولد النبي ﷺ، وفي أولية مبعثه. ومن حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي».

وقد تنازع الناس في الهواتف والجان، فذكر فريق منهم أن ما تذكره العرب وتتبئ به من ذلك إنما يعرض لها من قبل التوحد في القفار، والتفرد في الأودية، والسلوك في المهامة والمروراة الموحشة، لأن الإنسان إذا صار في مثل هذه الأماكن وتوحد، وإذا هو تفكر وجل وجبن، وإذا جبن داخلته الظنون الكاذبة، والأوهام المؤذية، والسوداوية الفاسدة، فصورت له الأصوات، ومثلت له الأشخاص، وأوهمته المحال، بنحو ما يعرض لذوي الوسواس، وقطب ذلك وأسه سوء التفكير، وخروجه على غير نظام قوي، أو طريق سليم، لأن المتفرد في القفار والمتوحد في المروراة مستشعر للمخاوف، متوهم للمتالف، متوقع للحتوف، لقوة الظنون الفاسدة على فكره، وانغراسها في نفسه، فيتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف به، واعتراض الجان له.

قبر حاتم طيء يقري الضيف

قال بعض العرب: رأيت قبر حاتم طيء ببقة، وهو أعلى جبل له واد يقال له الخابل، وإذا قدر عظيمة من بقايا قدور حجر مكفأة في ناحية من القبر، وهي من القدور التي كان يطعم فيها الناس، وعن يمين قبره أربع جوار من حجارة، وعلى يساره أربع جوار من حجارة أيضا، كلهن صاحبات شعر منثور محتجرات على قبره كالنائحات عليه لم ير مثل بياض أجسامهن وجمال وجوههن. مثلهن الجن على قبره، ولم يكن قبل ذلك، والجواري بالنهار كما وصفنا، فإذا هدأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالنياحة عليه، ونحن نسمع ذلك في منازلنا إلى أن يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر سكتن وهدأن، وربما مر المار فيراهن فيفتتن بهن فيميل إليهن عجبا بهن، فإذا دنا منهن وجدهن حجارة.

وكان رجل يكنى أبا البختري زعم أنه مر في نفر من قومه بقبر حاتم طيء، فنزلوا قريبا منه، فبات أبو البختري يناديه: يا أبا الجعد أقرنا، فقال قومه له: مهلا تكلم رمة بالية؟ قال: إن طيئا تزعم أنه لم ينزل به أحد قط إلا قراه، وناموا، فلما كان آخر الليل قام أبو البختري مذعورا فزعا ينادي واراحلتاه، فقال له أصحابه: ما بدا لك؟ قال: خرج حاتم طيء من قبره بالسيف وأنا أنظر حتى عقر ناقتي، قالوا له: كذبت، ثم نظروا إلى ناقته بين نوقهم مجندلة لا تنبعث، فقالوا له: قد والله قراك، فظلوا يأكلون من لحمها شواء وطبخا حتى أصبحوا، ثم أردفوه، وانطلقوا سائرين، فإذا راكب بعير قد لحقهم، فقال: أيكم أبو البختري؟ فقال أبو البختري: أنا ذلك، قال: أنا عدي بن حاتم، وإن حاتما جاءني الليلة في النوم ونحن نزول وراء هذا الجبل، فذكر شتمك إياه، وأنه قرى أصحابك براحلتك، وقد أمرني أن أحملك على بعير مكان راحلتك، فدونك البعير.

المراجـع

- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر.
- ابن حمدون، التذكرة الحمدونية.
- ابن كثير، البداية والنهاية.
- الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف.
- الجوهري، الصحاح.
- لسان العرب، ابن منظور.

قصة البناء والإعراب

محمود عبدالصمد الأسمائي
باحث دراسات لغوية

لكل منا ذكريات مع بداية تعلم اللغة.. وأنا كذلك لي تجربتي في هذا الشأن، فقد عانيت كثيرا جدا في بدايات طلب النحو؛ إذ كان المدرس يقول: «مبتدأ مرفوع/ خبر مرفوع/ فاعل مرفوع...»، فما من مرة إلا وتنظر عين تفكيري في الأعلى، مرفوع!! أين؟! فلم يرد على ذهني حينها إلا المعنى الحسي «للرفع» وهو كون الشيء عاليا أو في مرتفع عن مستوى ما...

أسأل المدرس: «ماذا يعني مرفوع؟».. فيقول: «هي هكذا.. احفظها كما هي.. اعرفها كما سمعتها...».. فظللت مدة غير قصيرة: لا أعرف معنى «مرفوع»، وأيضا، لم أكن أعرف حينها: معنى «منصوب»، و«مخفوض/ مجرور»، و«مجزوم».. لكن بحثي دائما كان عن «الرفع»، ربما لأنه مصطلح «العمد»... فكنا نحفظ كما أمر المدرس، وكنت لا أعقل كما هي طبيعة الحال، لاسيما «مصطلحات» الإعراب...

مرت هذه الفترة، وهي غير قصيرة، إلى أن قال لي أحدهم: «يا بني، الفرق بين الضم والرفع، والفتح والنصب، والكسر والجر، والسكون والجزم: أن هذه مصطلحات بناء وتلك مصطلحات إعراب».. أيضا، لم يقل لي: ما معنى أن الفاعل مثلا مرفوع؟ نعم، كنت أعرف أن «محمد» من «جاء محمد» فاعل، بمعنى أنه الذي فعل المجيء.. لكن، ما معنى

مرفوع هذه؟ «جاء» مفتوح، هذه سهلة، فقد تعلمنا الحركات مع حروف الهجاء في الصغر، وعرفنا أن هذا الرمز «ـَ» يسمى فتحة، مع أننا لم نعرف أيضا لماذا سموه فتحة!!

العجيب! أنه إلى الآن: ما من مدرس أو تلميذ أسأله ذلك السؤال.. إلا أجاب بمثل ما كان يجيب به مدرسي..

إلى أن جاءت مرحلة التعليم الذاتي؛ تلك، حينما يتجرد من الإنسان شخص آخر يعلمه ويبصره، ويأخذ بيده إلى أسواق المعارف، ومنتدى الثقافات..

ومن تلك الأسواق «سوق العربية».. فكان مما استفدته من ذلك الشخص، بفضل الله تعالى، أن أوقفني على مبتغاي، وأجاب عن سؤالي؛ بل شرح لي مصطلحات البناء والإعراب جميعا، فوجدت الأمر يسيرا جدا.. وهو الآتي:

● البناء:

الاستقرار والثبوت.

مثال: «جاء هذا»، «رأيت هذا»، «مررت بهذا».

كلمة «هذا» لم تتغير هيئتها في الجمل الثلاث؛ بل استقرت على حالة واحدة، وهي ملازمة «السكون»، وهكذا...

والأعراب كانوا قوما «رحلا»، بمعنى أنهم كانوا يرتحلون بأنعامهم من مكان إلى آخر تتبعا للماء، وطلبا للمراعي الخصبة، فإذا ما وجدوا مكانا يتوافر فيه الزرع والماء.. استقروا وبنوا. وكذلك يقال للرجل الذي تزوج: بنى. أي استقرت حياته.

● الضم:

سمي كذلك: لانضمام الشفتين معا حالة النطق به.

شكله: واو صغيرة، هكذا: (ـُ).

موضعها: العمل على وضعها فوق الحرف المحرك بها، هكذا: اكتُبُوا.

وكانت صغيرة؛ لتظهر مزية الأصل «و» على الفرع «ـُ».

● الفتح:

سمي كذلك: لأن المتكلم يفتح فاه عند النطق به.

شكله: ألف صغيرة مبطوحة ممتدة من اليمين إلى اليسار، هكذا: (ـَ).

موضعها: فوق الحرف المحرك به، هكذا: خَلَقَكم.

وقد كانت مبطوحة.. لئلا تلتبس بالألف الأصلية، وكانت صغيرة.. لتظهر مزية الأصل على الفرع.

● الكسر:

سمي «كسرا»: لما يحدث في «الفك» من «تكسير» و«تغيير» عن حالته الطبيعية، وذلك لأن الأضراس العلوية والسفلية تكتنف جنبتي الحنك وتضغطه، ويتباعد الحنك عن ظهر اللسان.

شكله: ياء معقوصة إلى الخلف، محذوف رأسها ونقطتاها، فتصير «جرة»، هكذا: (ـِ).

موضعها: تحت الحرف المحرك بها، هكذا: بِهِم.

● السكون:

سمي كذلك: للتوقف الذي يشمل «الحنك»، فلا هو بالمضموم ولا المفتوح ولا المكسور.

شكله: دائرة صغيرة، هكذا: (ـْ).

كعلامة «الصفر» عند علماء الحساب، فالصفر علامة على خلو «الخانة» من العدد.. والسكون علامة على خلو «الحرف» من الحركة.

موضعه: فوق الحرف، هكذا: منْ، اكتبْ.

● الإعراب:

سمي كذلك: قيل: لأنه يبين المعاني.

«أعرب الرجل عن حجته»: أي: أفصح، أظهر، بين..

وقيل: سمي كذلك: لأنه التغيير.

«عربت، أو أعربت معدة الفصيل»: أي: تغيرت.

والإعراب: «رفع»، و«جر/ خفض»، و«نصب»، و«جزم/ قطع/ وقف».

● الرفع:

استعملوا هذا «المصطلح» في المعربات دون المبنيات: من أجل التفرقة بين المعرب والمبني، فحركة الشفتين عند نطق «حيثُ» هي هي عند «محمدٌ»، لكنهم فرقوا في التسمية لئلا يختلط الأمر على المبتدئ بين ما هو معرب ومبني.. وسموه «رفعا»: لرفع الشفتين عند التلفظ بالحركة، وذلك برفع الحنك الأسفل عن مستواه الطبيعي قليلا إلى الحنك الأعلى.

إذن، يصدق على «حيثُ» أن تقول عنها «مرفوعة»؛ لكن الاصطلاح النحوي جرى على التفرقة بين المعربات والمبنيات، ليس غير.

فائدته: علامة «رمز» يدل به على وظيفة حاملها. ويقال هذا في الباقي.

● الجر/ الخفض:

سموه كذلك: لانخفاض الشفتين عند النطق بالحركة، وذلك بجر الحنك الأسفل إلى الخلف قليلا.

● النصب:

سمي «نصبا»: لانتصاب الشفتين حالة التلفظ بالحركة.

● الجزم/ الوقف/ القطع:

هو: توقف الشفتين وقطعها عن الحركة

■ باختصار، من بحثي: «في العلل»، ٢٠٠٧.

أنشودة المساء

مياسة النخلاني
قاصة يمنية

كما الشمس؛ تصحو الطيور باكرا، وتحلق أسرابا، تطرب الأسماع بألحانها الصباحية البهية، وتبحث لها عما يشبعها ويشبع صغارها.. وحين تنام الشمس تسارع إلى أعشاشها، تحتمي من الظلام وتنام بعد عناء يوم طويل، ولا يطير في المساء إلا الخفافيش التي تصالحت حواسها على الظلام..

هذا ما كانوا يخبروننا به وهم يسردون علينا قصص ما قبل النوم، ربما لنحلم أننا طيور صغيرة فننام بسلام!! لكن لا يدخل الإنسان يده في شيء إلا أفسده، فالبشر يتفننون بالتدمير.. تماما كما يبرعون في التعمير والبناء، فهذه هي الطبيعة البشرية التي لا مناص منها.

فبعد أن كنا لا نسمع في سواد الليل إلا أصوات الجنادب المزعجة، ومواء القطط الشاردة، التي تبحث عن فرائس ليلية.. تغير الحال وأصبح الليل مقرونا بالدمار والموت، فلا يكاد الليل يشعل مصابيحه الخافتة إلا وتحلق آلات القتل بوحشية تبحث لها عن ضحايا تسرق النوم من أعينهم والأمان من قلوبهم، وتتمادى في أوقات كثيرة لتسرق الأرواح من أجسادها.

وهكذا ما إن حان موعد زيارتها المسائية حتى زأرت محركاتها في الأفق معلنة بداية الحفلة الشيطانية، ولأنها خبيثة ويقودها ذئاب تحمل زورا بطائق آدمية؛ فلا يحلو لهم إرسال هداياهم العفنة إلا وقد حلقت فوق طرائدها مرات عدة، حتى يموتوا قبل الموت ألف مرة..

وفي الوقت الذي كانت الطيور تعود إلى أعشاشها وأشباه البشر يملؤون خزانات طائراتهم، ويشحنون صواريخهم، كانت هي تطعم أطفالها الثلاثة، فمنذ بداية الحرب والقصف المستمر وهي تحاول إطعامهم باكرا، لأنه وما إن يبدأ القمر بسرد حكايات المساء حتى يجن جنون الصمت ويخرج عن صمته، ترتعد أطرافهم الصغيرة من الخوف فلا يأكلون سوى شهقاتهم المرتدة إلى صدورهم والممزوجة بدموع الخوف.

أكلوا ما تيسر من الطعام وناموا، تمددت هي بجانبهم، تغني لهم حينا وتحكي لهم حينا آخر، لم يطل الأمر فما أسرع ما نام الصغار، نظرت

إليهم وهم نائمون بسلام «كم هم رائعون» تمتمت بها بحزن!

تخاف أن يموتوا أمام عينيها فتحملهم أشلاء متناثرة، تخاف أن يأخذها الموت ويتركهم فكيف لهم أن يعتنوا بأنفسهم، وليس لهم أحد سواها بعد رحيل والدهم، وهو يدافع عن وطنه وعنهم، تنهدت بعمق واحتضنتهم وحاولت النوم، فإنها تخشى إن طال تفكيرها أن تفقد عقلها بالكلية.

لم تكد تغمض عينيها حتى كانت الطائرات تغادر مدرجاتها وقد امتلأت بطونها تماما وشعرت بحاجة ماسة لتفريغها، حلقت عدة دورات فوق المنازل وكأنها تختار فريستها بعناية لتسدد ضرباتها القاتلة، وسرعان ما بدأت الحفلة واختلط هواء الليل برائحة الدم والبارود وصرخات مكتومة.

ساعات قليلة شهدت صراعا بين الموت والحياة، بكاء وعويلا، صرخة استغاثة وأشباح تتوارى خلف أي شيء، وتحت أي شيء كان، عله يحمي من موت محقق، غبار متصاعد، أشلاء متناثرة وحطام تكدس على الطرقات...

وأخيرا انتهت حفلة الليلة، وغادرت الطائرات بعد أن تقيأت عفنها على ما كان حيا عامرا بضحكات الأطفال، ما إن انسحبت بعيدا حتى تعالى الضجيج بين الحطام:

هنا مصاب..!

هنا قتيل..!

إنه يفقد النفس..!

أين الإسعاف..؟

لايزال قلبه ينبض..!

أين أبي..؟

أين أطفالي..؟!

وتحت ركام أحد المنازل؛ وجدوها أو بالأحرى وجدوهم، بقايا جثث مختلطة بركام البيت..

إنها للأم وأطفالها...

لا حول ولا قوة إلا بالله.. لقد ماتوا جميعا..

قتلوهم جميعا!!

كانوا يمسحون دموعهم ولا يعلمون أن القدر كان رحميا بها وبهم بما فيه الكفاية، فأخذهم جميعا ولم يبق أحدهم يعيش متحسرا على الآخر.. وككل صباح حلقت العصافير في السماء بحثا عن شيء تأكله، وتحتها جنازة لأشلاء أم وأطفالها الثلاثة ليدفنوا جميعا في لحد واحد؛ كما عاشوا من قبل في غرفة واحدة.

في حب الآباء للبنات

د. يوسف الحزيمري
باحث مغربي

اكتست معاملة العرب للبنات صورة باهتة تارة، ومجحفة تارة أخرى في الدراسات التاريخية والاجتماعية للحياة العربية، وربما كان الفهم الخاطئ لمسألة وأد البنات -التي نهى عنها القرآن الكريم- سببا آخر في تعميق ذلك الإجحاف وتعتيم تلك الصورة.

تنوير

إن مسألة وأد البنات كانت حالات متفرقة في الجاهلية العربية ولم تكن ظاهرة عامة مستشرية، وإلا لانقطع نسل العرب بسبب ذلك. ولما تحدث القرآن الكريم عن تلك الحالات ذكر أسبابها المباشرة وهي خوف الفقر، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ (الإسراء:٣١)، «أي: خوف أن تفتقروا في ثاني الحال؛ ولهذا قدم الاهتمام برزقهم فقال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ﴾. وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ﴾ أي: من فقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ (الأنعام:١٥١)، وقوله: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ أي: ذنبا عظيما» (١).

وقد صور القرآن الكريم الحالة النفسية للعربي عند ازدياد الأنثى له في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (النحل:٥٨ و٥٩)، ﴿مُسْوَدًّا﴾ أي: كئيبا من الهم، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ساكت من شدة ما هو فيه من الحزن، ﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: يكره أن يراه الناس ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ﴾ أي: إن أبقاها أبقاها مهانة لا يورثها، ولا يعتني بها، ويفضل أولاده الذكور عليها، ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ﴾ أي: يئدها، وهو أن يدفنها فيه حية، كما كانوا يصنعون في الجاهلية، وذلك في سياق الرد عليهم عندما نسبوا لله البنات بزعمهم، قال ابن كثير: أفمن يكرهونه هذه الكراهة ويأنفون لأنفسهم عنه يجعلونه لله؟! ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ أي: بئس ما قالوا، وبئس ما قسموا، وبئس ما نسبوا إليه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ (الزخرف:١٧) (٢).

كما نجد القرآن الكريم في آيات أخرى يحث على رزق اليتامى والمساكين مخاطبا ذوي المال بهذا الخوف الذي كان يخافه العرب من عيلة البنات، قال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ (النساء:٩)، وقال في آية أخرى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ (البقرة:٢٦٦).

حب مسكون بالخوف

عبّر العرب عن هذا الخوف الناتج عن فرط المحبة للبنات في أشعار كثيرة، فقد أبى بعضهم الغزو مخافة أن تبقى البنات بلا راع يرعاهم وحام يحميهم، من ذلك

ما ذكره المبرد في طريف أخبار الخوارج؛ قول قطري بن الفجاءة المازني لأبي خالد القناني، وروي عن عمران بن حطان أيضا: (الطويل)

أبا خالد إنفر فلست بخالد
وما جعل الرحمن عذرا لقاعد
أتزعم أن الخارجي على الهدى
وأنت مقيم بين راض وجاحد

فكتب إليه أبو خالد: (الوافر)

لقد زاد الحياة إلي حبا
بناتي أنهن من الضعاف
مخافة أن يرين البؤس بعدي
وأن يشربن رنقا بعد صاف
وأن يعرين إن كسي الجواري
فتنبو العين عن كرم عجاف
ولولا ذاك قد سومت مهري
وفي الرحمن للضعفاء كاف
أبانا من لنا إن غبت عنا
وصار الحي بعدك في اختلاف (٣)

ونحوه قول إسحاق بن خلف: (٤) (بسيط)

لولا أميمة لم أجزع من العدم
ولم أجب في الليالي حندس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي
ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
أحاذر الفقر يوما أن يلم بها
فيهتك الستر من لحم على وضم
تهوى حياتي وأهوى موتها شفقا
والموت أكرم نزال على الحرم

وقال أعرابي في ابنته: (بسيط)

يا شقة النفس إن النفس والهة
حرى عليك ودمع العين منسجم
قد كنت أخشى عليها أن تقدمني
إلى الحمام فيبدي وجهها العدم
فالآن نمت فلا هم يؤرقني
تهدا العيون إذا ما أودت الحرم

وقال عمر بن الوردي: (الكامل)

لولا بناتي مت من شوقي إلى
موت أراح به من الأشرار
أقسمت ما دفنوا البنات تلاعبا
دفنوا البنات كراهة الأصهار

وأنشد ابن الأعرابي: (الوافر)

أحب بنيتي وودت أني
دفنت بنيتي في قاع لحد
وما بي أن تهون علي لكن
مخافة أن تذوق الذل بعدي
فإن زوجتها رجلا فقيرا
أراها عنده والهم عندي
وإن زوجتها رجلا غنيا
فيلطم خدها ويسب جدي
سألت الله يأخذها قريبا
وإن كانت أحب الناس عندي

وقال البحتري: (المتقارب)

ومن نعم الله لا شك فيه
حياة البنين وموت البنات
لقول النبي عليه السلام
موت البنات من المكرمات (٥)

وبعد، فإن هذه الأبيات الشعرية، وما اختلج قلب قائليها من عواطف جياشة نحو فلذات الأكباد، تدعو قارئها إلى ضرورة إمعان النظر في آيات الذكر الحكيم ليتبين أن الله عزوجل قد ضمن الرزق لجميع العباد وقدر في الأرض أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين، أي على قدر طلب الطالبين، فالخوف من الفقر هو من وعد الشيطان، كما أن استباق الغيب والتوقع بما ستؤول إليه حال الأنثى إذا ما تزوجت رجلا، أو إذا مات الأب، إنما هو من ضعف الإيمان واختلال الاعتقاد في الله أحكم الحاكمين، وما جاء الإسلام به من تكريم المرأة بما منحها من حقوق، أعظمها حق الحياة، وساواها بين الرجل في الأحكام، إلا ليشفي النفوس مما ران عليها من أوهام ووساوس، ويرتقي بها في مدارج الإيمان بالواحد الأحد الذي خلقنا من ذكر وأنثى وجعل بينهما نسبا وصهرا.

الهوامش

١- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (٥/٧٢).

٢- تفسير ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، (٤/٥٧٨).

٣- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى (١٢/٥١٠).

٤- عيون الأخبار، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، (٣/١٠٦). ومنه باقي الأبيات.

٥- وهذا الحديث؛ أي «دفن البنات من المكرمات»، مثل مشهور ومثله المثل الآخر: نعم الصهر القبر!

وما يروى بأنه حديث: لا يصح، وجزم ابن حجر ببطلانه، وما يروى أيضا «للمرأة ستران القبر والزوج فأيهما أفضل قال: القبر» هو حديث موضوع. والغالب أنه مثل، وقال الشاعر مضمنا هذا المثل:

القبر أخفى سترة للبنات
ودفنها يروى من المكرمات
أما رأيت الله عز اسمه
قد وضع النعش بجنب البنات!

انظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق عبدالرحمن يحيى المعلمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، (ص: ١٢٢)، وتذكرة الموضوعات محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني (المتوفى: ٩٨٦هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة الأولى، ١٣٤٣هـ، (١/٢١٧).

عندما يكون الأدب في خدمة الصهيونية

المنشاوي الورداني
مترجم في التلفزيون المصري

لعلها من عجائب الزمان وغرائب التاريخ والأيام، أن تجد الشخصية الإنسانية تقتل وتدمر وكذلك تحرق وتسرق ثم تسوّق لنفسها في سوق الدعاية بأنها الحمل الوديع، هذه الغرائب السود هي ما تجنيه الصهيونية العالمية من جرائم في شتى بقاع الأرض، خاصة في فلسطين، ثم تسخر الأدب من خلال كتّاب الرواية والقصة أو إن شئت قل المطبلين والمزمرين بالدعاية الرخيصة للشخصية اليهودية بأنها الشخصية الرقيقة المتكاملة الإنسانية، كما تتمادى في غيها بتصوير الشخصية العربية مناقضة للإنسانية اليهودية، إذ إنها حسب الكتابات الأدبية التي تخدم المشروع الصهيوني شخصية عدائية متخلفة تتلذذ بالقتل والتدمير!

في أبريل عام ١٩٨٢م، وفي مجلة «النمسا اليوم»؛ كتب المؤلف الصهيوني النمساوي (جوزيف توتش) Josef toch قصة قصيرة باللغة الإنجليزية عنوانها: «إوزة نيكولزبرج»، وبجانبها مقدمة لمحرر تلك المجلة تكشفان مكر العقلية الصهيونية في التخطيط والدعاية، وتؤكدان نفوذ الصهيونية المتغلغل في مجالات النشر والتوزيع والإعلام والصحافة في أنحاء العالم، خاصة العالم الغربي، ويؤكد هذا المسلك من جديد الخطر الأكبر للغزو الثقافي الذي قد يكون أشد إيلاما وضررا من احتلال الأراضي، لقد صورت القصة الخداعة شخصية الرجل اليهودي بأنه ليس بخيلا أو متعصبا كما يشاع! فها هو الرجل في القصة زاهد في جمع المال، بل يعطي بلا حدود، «بقلب مؤمن عطوف رقيق مفتوح للجميع» (١)، وقد اتخذ المؤلف الكاذب من (حفل عيد الميلاد) مناسبة لحدث يوعز بأنه «فعل يهودي إنساني عظيم نبيل» (٢)، وقد تعمد كاتبها الصهيوني الخبيث أن يجيء هذا الحدث في يوم الجمعة، لعله بذلك يلعب أيضا بعواطف القارئ المسلم، إذ إن يوم الجمعة خير الأيام عند المسلمين وهو عشية يوم السبت!!!

ولنقتبس شيئا من سطور القصة:

«إذا وجد على الأرض رجل محنك بارع في فن البذل والعطاء، فهو جدي، كان تاجرا يهوديا ذا دخل متواضع، وكان جديرا بأن نصفه بالإنسان الحكيم العظيم المحب للخير... كان جوابه دائما «ليس من الخير جمع المال»، وكان جدي يرى أن خير ما يفعله هو أن يصون نفسه من شهوة حب المال ويحافظ على طهرها ونقائها!! وكان يتمسك بهدفين في هذا السبيل، لم يكن يسمح - أولا - لأحد أبنائه أن يعمل من أجله، وهي طريقة يستخدمها الفقراء في جمع المال، كما كان يضع - ثانيا - نصب عينيه أن يتعلم أبناؤه بالمدارس الثانوية ثم دراسة الطب والمحاماة في الجامعات، وعندما فرغ من مسؤولية تنشئتهم وإعالتهم، راح يساعد الآخرين ويغيثهم، بل فتح أبواب بيته، حجرة طعامه لتلاميذ المدارس الثانوية من أبناء الأسر الفقيرة بالمدينة!» (٣).

ولعل في طول القصة عبارات على هذا النحو الرقيق الذي يحاول به الكاتب تلبيس الحق بالباطل، ناسيا شخصية اليهودي الحقيقية في مجتمع «إسرائيل» والتي تقوم على المذابح والكذب والتضليل، وعلى اللعب بالعواطف من خلال «ثقافة مغرضة» و«آداب وفنون كاذبة ومفتعلة».

وفي عصرنا الحالي ازدادت الثقة بالوثيقة الأدبية وجدارتها واتجهت مجموعات من الباحثين في أوضاع المجتمعات الحديثة والمعاصرة إلى الاعتماد على الظاهرة الأدبية في الكشف عن مختلف الأوضاع في هذه المجتمعات، ومع مرور الوقت تطور هذا الاعتماد وتبلور عنه اتجاه نحو دراسة المجتمعات المعادية، والتعرف إليها عبر الوثيقة الأدبية (٤).

يشير الأستاذ حسين محمد حسنين في بحثه الذي يحمل عنوان: (تأثير الاحتلال على أدب الأطفال) إلى أن الصهيونية في الأراضي المحتلة وخارجها تعمل من خلال مرتكزات علمية مدروسة لاستغلال وتسخير كل القنوات الموصلة للفكر والأدب والثقافة والتعليم الموجه للأطفال، استغلالا وتسخيرا بشعا بغية خدمة الصهيونية وسلطاتها وأدواتها لتنمية الوعي الصهيوني لدى الأطفال، وغرس المبادئ، وخلق الولاءات الدائمة لهذا الكيان، ويرافق ذلك زرع الحقد والغل والكراهية وغيرها من الصور البشعة، والنظرة الفوقية ضد العرب، وتعميق مفاهيم القوة والعداوة، واستمرار تحقيق الانتصارات الدائمة على العرب (٥).

وحين دعا ناحوم جولد مان إلى الاهتمام بالعملية النفسية والتوجه إلى الأطفال، استجاب الصهاينة لهذه التوصيات، إذ إن «كتب الأطفال الموجهة للأطفال اليهود مكتوبة باللغة العبرية، وفي متناول أيدي الأطفال اليهود وتلاقي دعما حكوميا كبيرا من قبل وزارة الثقافة والتعليم في حكومة العدو، في نشرها وتوزيعها وطباعتها، وهي موجودة في المدارس والمكتبات العامة والخاصة، وبأسعار في متناول يد الجميع، وتركز على موضوع واحد، هو تصوير الأطفال اليهود على أنهم جبابرة عظماء لا يقهرون، وهم يهزمون أعداءهم العرب الأغبياء بسهولة ويسر لأنهم يريدون قتل اليهود من أجل المتعة الذاتية فقط!!» (٦).

وقد أشار نعمان هادي الهيتي إلى أن الكتابات الصهيونية للطفل تختلق نماذج وصورا من الانتصارات، محاولة بذلك تنمية الشعور بالمسؤولية لدى الأطفال في القضاء على العدو العربي من جهة، وإزالة أسباب التوتر والخوف لدى الأطفال اليهود من جهة ثانية، وحين تستعرض التاريخ بين العرب واليهود فإنها تصوره عداء دائما، وأن هذا العداء الطويل لا يمكن له أن يزول، لأن اليهود لم يثأروا حتى اليوم على الرغم من مضي الأحقاب الطويلة! وعليه فإن في أعناق الأطفال مسؤولية إكمال الثأر الناجز (٧).

وينشأ الطفل اليهودي على هذه المعاني ليكون جندي المستقبل الذي يذبح العرب الدخلاء المتخلفين الذين يريدون إخراجه من أرض الميعاد وفرض تخلفهم عليه!

وليس هذا الطرح مستغربا لأن التأليف في هذا المجال أسند إلى خبرات عسكرية ونفسية وتربوية، وقد اتضح كما تقول صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية ١٩٧٤/٩/٢٠م: إن (عيدان ستر) ليس إلا (حزاي لوف مان) رئيس تحرير مجلة الجيش الإسرائيلي سابقا!! وأن (أون سريغ) عضو منظمة (ليحي) سابقا، واسمه

الحقيقي (شارنما غفتي) وكتبهما من أوسع الكتب انتشارا، وكذلك (هازي لابين) كان محاربا في صفوف (البالماخ) عام ١٩٤٨م (٨).

– فماذا تقول هذه الكتب؟

– وماذا تعلم منها الطفل الصهيوني؟

هذا ما تجيب عنه بعض النماذج:

١– (قصة حسمبة ولصوص الخيل) للكاتب الإسرائيلي (ايجال موسينزون)؛ تروي أنه عندما كان (مصطفى) يتسلل إلى داخل إحدى المغارات للسرقة، انقض عليه (منشه) أحد أبطال القصة، وفي أثناء التحقيق قال مصطفى بعبرية ركيكة: أنا لا يوجد خيل، أنا لا يوجد أعرف شيئ، لقد جاءت الخيل من تلقاء نفسها، إنني أبحث عن سحالي، إن جدتي مريضة للغاية، وعندما تضع عشرين سحلية على ظهرها فإنها تنهض من سريرها!

ومن الواضح أن هذه القصة تترك في نفس الطفل الإسرائيلي شعورا بأن العدو الذي تحاربه إسرائيل يتبنى قيما وعادات متخلفة، ويشعر بأن بلده لا يحتل أرض الآخرين، ولا يضطهد سكانها، وإنما يعمل على تخليص سكان هذه الأراضي من حالة التخلف الاقتصادي والحضاري التي يعيشون فيها (٩).

٢– وأما قصة (تحيا الشجاعة) للكاتب الإسرائيلي (مناحم تلمي) فتصور وحشية الجنود العرب من خلال الحوار الذي دار بين القناصة العرب الذين كانوا يوجهون نيرانهم صوب مستوطنة (يعاربا) وتباهى أحد القناصة قائلا: طلقة واحدة وأنتهي! وقال آخر: إنهم لا يجرؤون على مغادرة بيوتهم ... وعندما شاهد أحد القناصة امرأة في المستوطنة قال للآخرين: إنها غنيمة لنا، وسوف آخذ بعض أبقارهم الحلوب، وأستولي على إحدى فتياتهم!!

في هذه القصة وأمثالها تشويه لحقيقة الصراع وأهدافه، وهي تزرع في نفس الطفل الإسرائيلي الشعور بأن هزيمة إسرائيل في المعركة لن تؤدي إلى فقدان سيطرتها على الأراضي العربية فحسب، وإنما إلى العيش في حالة من الذل والاضطهاد هذا بالإضافة إلى الوقوع في أسر العرب الذين يعيشون كما تصفهم القصة في حالة مطلقة من التخلف (١٠).

٣– (مغامرات أوزيا أوز) للإسرائيلي (هازي لابين)، بطلها طفل إسرائيلي يهاجم أعداءه العرب، وينتصر عليهم دائما! فهم جبناء مصاصو دماء، لا يتورعون عن فعل أي شيء لإشباع رغبتهم في القتل، وفي أحد معارض الأطفال في إحدى دول أوروبا عرضت إسرائيل قصة كتكوت صغير يقف وحيدا وسط عدد من الديَكة المتوحشة التي تلتف حوله تريد الفتك به! وينادي الكتكوت أنه لا يريد شيئا، إنه يريد الحياة في سلام وسط الديكة المتوحشة المعتدية، وقد طبعت هذه القصة طباعة فاخرة مزدانة برسوم جميلة وكلمات بسيطة.. وستكون ثمرة هذه القصة أن الأطفال سيقفون إلى جانب الكتكوت (إسرائيل) ضد الديكة المتوحشة (العرب).

هذه الصورة البشعة التي يريدونها للعرب سواء في الصورة الأدبية أو الإعلامية هي الهدف المشترك للصهيونية العالمية، وتحاول رعايتها في كافة الأوعية – الأدب أو الإعلام أو السينما – التي تمتلكها بكل قوة حيث وضعت إسرائيل كالكتكوت المذعور المذكور في حجرها، وأخذت تشن حربها بكل الوسائل وعبر كل المنافذ، فسلطت هوليوود لتستغل كل الإمكانات في صناعة صورة بشعة للعربي والمسلم، وكان أول من تنبه لذلك باحث أمريكي من أصل عربي يدعى جاك شاهين، حيث قام بدراسة رائدة معروفة اسمها «Reel Bad Arab» وفي هذه الدراسة يستعرض خطورة الدور الذي لعبته هوليوود في هذا التشويه الخطير، ويحيلنا الدكتور أحمد بن راشد بن سعيد في دراسة له عن هذا الدور الإعلامي الخبيث إلى مصادر مهمة في هذا المجال ذكر منها: كتاب Media Are American وكتاب The World Selling The American Culture To Propaganda (١١).

إذن لا عجب أن ترى بسبب هذه الترسانة القوية من الأسلحة الثقافية العربي متوحشا وبدائيا، بل وإرهابيا بينما الآخرون يظهرون لنا عبر السطور أو من خلال الشريط السينمائي وهم في قمة الرقة والإنسانية، أو في صورة راعي البقر النبيل وسوبر مان وبات مان الشجاع، أو حتى الكتكوت المذعور!!

الهوامش

١– مجلة الأمة القطرية، العدد ٣٢، شعبان ١٤٠٣ / مايو ١٩٨٣م، ص ٧٠.

٢– نفس المصدر، ص ٧١.

٣– نفس المصدر، ص٧٢، نقلا عن مجلة Austria Today ٨٢/٤، ترجمة حسني بدوي.

٤– مجلة منار الإسلام الإماراتية، العدد ٣٦٢، صفر ١٤٢٦هـ/ مارس ٢٠٠٥م، يحي بشير حاج يحي.

٥– أدب الأطفال في الأردن (واقع وتطلعات) ص ٢١٠.

٦– أدب الأطفال في الأردن (تأثير الاحتلال الصهيوني على أدب الأطفال) ص ٢٢٤.

٧– مجلة منار الإسلام، العدد ٣٦٢، ص ٤٤.

٨– المصدر السابق.

٩– نفس المصدر ص ٤٤، ٤٥– نقلا عن مجلة القاهرة عدد ١٠٩ (أدب الأطفال المصري وعنصرية أدب الأطفال الصهيوني).

١٠– أدب الأطفال في الأردن (واقع وتطلعات) ص ٢٥٠.

١١– مجلة المنار الجديد، العدد ٥٧، صفر ١٤٣٣/ يناير ٢٠١٢م، ص ١٤٨، ١٤٩، القاهرة.

علماء يتحدثون عن كيفية أدائها

زكاة الفكر

عبدالله الشريف
القاهرة : دار الإعلام العربية

هذا مفكر وذاك مبدع، كل بأسلوبه وعلى طريقته يصب عصارة فكره وعلمه وذهنه بعد جهد جهيد من التمحيص والتدقيق، ليخرج عملا وعلما يفيد به الآخرين. وقد روى أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه أن النبي ﷺ قال في ضمن حديث طويل: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»، فهل على العلماء والمفكرين والمبدعين من زكاة لعلمهم وفكرهم وإبداعهم؟ وهل هذه الزكاة مادية أم معنوية؟

«الوعي الإسلامي» سألت عددا من العلماء، الذين أكدوا أن زكاة الفكر مفهوم روحي بالأساس، غاب عن المجتمع ويجب تسليط الضوء عليه.. وإليكم التفاصيل.

«الإبداع منة إلهية لا يحظى بها جميع البشر، وتتمثل زكاته في نشره وإفادة العالم منه».. بهذه الكلمات بدأ د. نور الدين عز، أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة جامعة دمشق، حديثه، مشيرا إلى قول الإمام الشافعي رحمه الله:

وأد زكاة الجاه واعلم بأنها
كمثل زكاة المال تم نصابها

وزكاة الإبداع إنما هي زكاة معنوية تتمثل في شكر نعمة الله عزوجل، والاعتراف بفضله، والبعد عن الكبر والإعجاب بالنفس، وهي أيضا تفرز تشجيع أصحاب المواهب والاستعدادات للتفوق.

د. نور الدين: زكاة الفكر.. تتمثل في شكر نعمة الله وتجنب الكبر

وأشار إلى قول الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة:١١)، موضحا أن هذه الآية تحمل تفسيرا لحديث «العلماء ورثة الأنبياء».

وأشار أيضا إلى حديث «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة»، ذلك أن أشرف العلم ما كان متصلا بالقرآن كما جاء في حديث البخاري ومسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». لكل ذلك، فإن نشر العلم هو نوع من زكاة الفكر، التي تدخل ضمن «الزكاة المعنوية».

بذله كله

يقول الدكتور صبري عبدالرؤوف، أستاذ الفقه المقارن في جامعة الأزهر، إن علم العالم وفكره يجب بذلهما كلهما زكاة خالصة لله عزوجل وليس جزءا منهما، إعمالا

لقول رسول الله ﷺ: «من كتم علما ألجم يوم القيامة بلجام من نار».

وأضاف أن العلم ما جاء ليحفظ في عقول العلماء أو الكتب وغيرها، لكن أعطاه الله ووزعه لأشخاص كثر مختلفين ليستعينوا به على إعمار الأرض، مشيرا إلى أن تزكية العلم زيادته وتفسيره، لأن العالم إذا علم مسألة قام عليها حتى بسطها للعامة وأخرج منها أكثر من شيء يفيدهم.

ولفت إلى أن مصطلح زكاة الفكر حديث، باعتباره يحفظ حقوقا لأصحابها، وهناك نظرة أخرى مادية لها حكم شرعي مثل زكاة مال عادية.

ويؤكد أنه لا فائدة من تعلم العلم من دون تبليغه للناس، ولم تنهض الأمة من دون وصول العلوم إلينا بمختلف أنواعها من العصور السابقة.

وأضاف أن زكاة العلم هي علاقة بين العبد وربه، فالعالم الذي يريد بعلمه نفع الأمة ودينها وتعليم الشباب، حسابه عند ربه، وهناك آخرون يريدون بعلمهم تحصيل مكاسب مادية فهؤلاء قبضوا نتيجة علمهم في الدنيا.

وأشار إلى أن العلماء الكبار الذين صدقوا مع الله كانوا لا ينطقون إلا بالحق خوفا من وصول كلمة خاطئة إلى الأجيال القادمة، وكانوا يؤدون علمهم كله زكاة لتعليم الناس ما أمرهم به الله.

تصحيح المسار

بدوره، يقول د. محمد الشحات الجندي، عضو مجمع البحوث الإسلامية والأمين العام الأسبق للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، إن مفهوم «زكاة الفكر» غير متداول، على الرغم من أهميته في ظل الظروف التي تعاني منها الأمة الإسلامية.

وأكد أن زكاة الفكر هي واجب العالم تجاه أمته، والإسلام يفرض على العالم أن يتعلم ويعلم من أجل خدمة الدين والحياة، مشيرا إلى أن هذا المفهوم أصبح متعينا وواجبا في ظل تعرض الإسلام لغزو فكري نرى فيه

صبري عبدالرؤوف: العلم يجب بذله كله زكاة خالصة لله

د. أبو ليلة: تفعيل العلم في حياة عامة الناس لتيسير دنياهم وأخراهم

الأمة قد تراجعت.

وتابع أنه لو تأملنا قول الله عزوجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ (التوبة:١٢٢)، لوجدنا هذا المعنى، موضحا أن العلم وأداءه مسألة حتمية في ظل الظروف التي تعاني منها الأمة الآن من تشكيك وتشويه واغتيال معنوي من قبل أعدائها أو من قبل المسلمين أنفسهم.

وأضاف أن تأدية زكاة الفكر تكون بتصحيح المفاهيم، وما وصل إليه فكر الأمة، وبيان العلم الحقيقي، ومنهج الإسلام في قيادة الأمة وفي تصحيح مسار الحياة والواقع الذي تعيشه الأمة، وتفعيل منطق التفكر في الدين وليس مجرد الوقوف عند ظواهر النصوص، وتلمس المقاصد، والوقوف عند الأسرار، والنهوض بالأمة والأخذ بيدها في المراحل الفارقة، خصوصا أوقات التشتت والتفرق والاختلاف.

وأوضح أن من الأمثلة على زكاة الفكر إظهار محاسن الدين الإسلامي وحمايته من الأفكار الدخيلة عليه، وأن الإسلام يمنع الاقتتال، كما أنه ليس دين اصطدام، مشيرا إلى أن من زكاة الفكر أيضا ترسيخ مفاهيم التعايش والحوار وفقه الاختلاف إعمالا لقول الله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ (النحل:١٢٥)، وقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ (آل عمران:٦٤).

وتابع أنه يجب على العالم أن يقوم بدوره في إظهار إسهامات الإسلام في أمور كثيرة، ونشر مفاهيم الإسلام الحضاري وإسلام التسامح الذي يقبل الآخر؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.

وأشار إلى أن الله جعل هناك تمايزا بين العلماء في الفكر والعلم، فمنهم من هو أكثر دراية من الآخر في العبادات والفقه الاقتصادي وتصحيح العقيدة وعلم التوحيد، لافتا إلى أن من أسباب عدم قبول العلم احتكاره وعدم نشره.

وأكد أنه لابد أن يتفق الجميع على خطة عمل لتقديم الدين الصحيح وإصلاح ذات البين.

فوائد زكاة العلم

أما د. حامد أبو طالب، العميد الأسبق لكلية الشريعة والقانون وعضو مجمع البحوث الإسلامية، فيؤكد أن لكل شيء زكاة تطهره وتنميه، وأن الزكاة من التزكية، وهي التطهير، وقد حدد الإسلام زكاة في المال والبدن.

وأضاف أن من أمثلة زكاة العلم والفكر أن يقوم العالم بتوجيه من حرم من التعليم، وكذلك بالنسبة إلى من يتعلم صنعة، فزكاة صنعته أن يعلم هذه الصنعة للصبية وغيرهم.

وقال: «إذا تدبرنا قول الله تعالى: ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ﴾ (الحشر:٧)، وهذا في زكاة المال، فسنجد أن الزكاة تجعل الأموال تنتقل من شخص إلى آخر ولا تحتكرها مجموعة من الناس، وكذلك العلم حتى ينتقل العلم من شخص إلى آخر وينتقل الثراء

من شخص إلى آخر، وبذلك تنتظم الحياة وتعمر الدنيا ويتنقل الخير بين الناس».

ويؤكد أن تعليم القرآن الكريم كله خير وزكاة لقول رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

وأضاف أن الصحابة تعلموا القرآن من رسول الله ﷺ وعلموه للأمة كلها، وقرأوه، ورتلوه، ولم يبخلوا على الأمة في شيء من أحكامه ولا قواعده، وأيضا التابعين حتى عصرنا الحالي، وهذه هي زكاتهم.

وقال: «لقد تعلمت على يد شيوخ وعلماء، وعلى الرغم من قسوة بعضهم في تعليمنا فإني مازلت أدعو لهم في كل صلاة، لأن مراعاتهم لله وخوفهم على الأمة جعلتهم يبذلون كل ما لديهم من علم في سبيل الأمة».

مبطلات زكاة الفكر

إلى ذلك، يوضح د. محمد أبو ليلة، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة الأزهر ورئيس جمعية التواصل الحضاري، أن زكاة العلم نشره، وأن حبسه أو التظاهر والتفاخر به أو الاستئثار به واحتكاره يؤدي إلى بطلانها.

وأضاف: «إن زكاة الفكر تقي العلم وتحفظه. ومن زكاة العلم تربية الناشئة، والنصح للحاكم والمحكومين، ومساعدة الناس»، موضحا أن الكلمة الطيبة من العالم تصنع مهابته في قلوب الناس، ويمكن للعالم استدرار عطف الغني على الفقير، وتنشيط

د. الجندي: علينا تصحيح المفاهيم وبيان منهج الإسلام في قيادة الأمة

د. أبوطالب: الصحابة تعلموا من رسول الله ولم يبخلوا بعلمهم على الأمة

همته على العطاء، المرتبط بالوعظ والحماسة الروحية التي يزرعها العالم بعلمه في الناس.

وأضاف أنه ليس فقط إلقاء المحاضرات أو نشر كتب وغيره، كل هذا له حسابه عند الله، ولكن الأهم من ذلك تفعيل العلم في حياة الناس العامة لتسهيل حياتهم ورفع المعاناة عنهم ودعوتهم للصبر والتحمل والسعي في مصالحهم.

وكان يقوم بذلك الرسول ﷺ وأصحابه والخلفاء والتابعون. والعلماء يتوسطون عند الحاكم لرفع الظلم ورد المغتصبات لأصحابها ويعتبرون ذلك من مبررات الدخول على السلاطين لقضاء المصالح.

وأوضح أن هناك نوعين من زكاة الفكر: القولية؛ لحث الناس على الخير، وهناك عملية ومنها الضغط الروحي والنفسي والأخلاقي على القادرين للإحسان إلى المساكين والمحتاجين، وتأمين الخائفين، ورد الظلم عن المظلومين، والصلح بين المتعادين، وإصلاح المجتمع، ولهذا تحمل العلماء أمانة العلم.

يزكى منفصلا

بيد أن د. حسن أحمد حفني، أستاذ الفقه المقارن في جامعة الأزهر، له رأي آخر يقول فيه إن إنتاج الفكر والإبداع هو في حقيقته جهد بشري، وإذا ترتب عليه ثراء مادي فإنه يدخل ضمن ماليات المسلم ويضم إلى ذمته المالية وزكاته السنوية. ويستند د. حفني إلى رأي «قدماء الفقهاء» بأن إنتاج الإبداع والفكر يزكى منفصلا بمجرد الحصول عليه؛ قياسا على العائد من أرباح المصانع أو المزارع، وزكاته تساوي ٢,٥ في المائة، لأنها زكاة مال، ولابد أن تكون هذه الزكاة على الربح فقط بعد استخراج قيمة التكاليف البحثية.

ويلفت إلى أن الإبداع يجني ثمار أرباح لصاحبه تفوق كثيرا نصاب الزكاة لمشاريع إنتاجية واقتصادية، غير أن أصحاب هذا الإبداع يغفلون عن «زكاة الفكر» ظنا منهم أن هذا عمل إبداعي حديث العهد ليس له حكم شرعي في الإسلام، وهذا فهم خاطئ من جانبهم.

الطفل والولع بالصور المتحركة

د. إبراهيم نويري
باحث جامعي من الجزائر

مرت تقنية الصور المتحركة، أو أفلام الكرتون بعدة مراحل، شملت الشكل والمضمون على حد سواء. وقد أُنتجت في الأساس لعرضها في دور السينما، وذلك لارتباط ظهورها بالسينما، ثم أصبحت مستقلة لأول مرة سنة ١٩١٠م، وذلك بفضل جهود كل من «جون راندولف براي» الذي نجح في تحويل هذا الفن إلى وسيلة ترفيه وتسلية، لها أنصار كثيرون من الكبار والصغار معا، وكذلك صديقه «إيرل هيرد» الذي نجح في إبداع تقنيات جديدة تضطلع بمهمة تحريك الصور بمهارة فنية عالية.

ثم جاء بعدهما المخرج الأميركي «والتر ديزني» الذي يُعد أحد أكبر وأبرع رواد التحريك في العالم، وهو مؤسس شركة «والتر ديزني» المعروفة، ومخترع المنتزه العالمي المشهور أو ملهى الأطفال ذائع الصيت «ديزني لاند»، الذي يجد السائح له عدة نماذج بالمسمى نفسه، في مدن وعواصم كثيرة من دول العالم؛ وقد استطاع «والتر ديزني» فعلا أن يضع بصمته الخاصة على فن الصور المتحركة، من خلال شخصيات أفلامه الكرتونية المتحركة، مثل: «ميكي ماوس»، و«دونالد داك» وشخصية «أوسوالد» أو الأرنب المحظوظ، وغيرها من الشخصيات. أو من خلال إضافاته المتنوعة في هذا الفن الذي سحر الألباب، وجذب إليه وجدانات وأذواق الملايين من الصغار والكبار على السواء.

ومع مرور الوقت بدا أن صناعة هذا الفن لا يمكن الاستغناء عنها، لكثرة الطلب عليه، خاصة بعد التطور التقني النوعي الذي حصل في ميدان وسائل الاتصال

وتقنياته، وظهور القنوات التلفزية الفضائية والأرضية المتخصصة في شؤون الطفل وحاجاته الإعلامية.

لكن الذي لاريب فيه أن مجال إعلام الطفل، وحاجته الثابتة المتجددة، إلى الصور المتحركة مجال لا تخفى خطورته على المربين والمراقبين التعليميين والإعلاميين وأصحاب المسؤولية والرأي والتوجيه، لصلته المباشرة بتشكيل عقلية الطفل ووجدانه وتصوراته الذهنية والفكرية، ومن ثمة التأثير في سلوكه وتصرفاته وعلاقاته، في نطاق أسرته ومحيطه الاجتماعي والتربوي، ويتضاعف الخطر إذا وضعنا في الحسبان عامل «المستقبل» أي أن الطفل سيكون في المستقبل مسؤولا في الوطن، وصاحب قرار ومنزلة وشأن.

فإذا ما وقفنا على هذه الحقيقة الحساسة الساطعة، فلابد أن تنبثق من الأعماق فريضة التفكير بجد في وضع بديل «مضموني» في هذا المجال، يحل محل أفلام الرسوم المتحركة الغربية، تأمينا لأطفالنا؛ عدة المستقبل من الغزو الثقافي الحضاري، والاستلاب الإعلامي الفكري/ الوجداني الغربي.

وليس هناك من سبيل لتحقيق هذا الهدف إلا ربط الطفل برموز حضارته العربية والإسلامية، وبمضامين القيم في نطاق هذه المنظومة المعرفية والحضارية الإسلامية.. بل وبنماذج معينة من هذه المنظومة، حتى يشب الطفل في مجتمعاتنا العربية والإسلامية مرتبطا بأرومته الأولى، وببني جلدته وأرضه، متمتعا بشخصيته القومية وهُويته الحضارية.

وفي هذا الصدد يقول المفكر الاجتماعي الدكتور رشدي فكار رحمه الله تعالى: «وأرى أن قضية الطفل حتى عمر الثانية عشرة، ينبغي أن تكون هي تحقيق انتمائه، وأتمنى أن يُمنع منعا باتا إعطاء أطفال هذه الأمة حتى تلك السن، أي انتماء أو نموذج أو قدوة، عدا انتمائه الحضاري، كما تفعل ذلك الأمم الأخرى، والدول التي تواجهنا الآن في حلبة الصراع الحضاري».

ويتابع قائلا: «كما أنه ليس من الحكمة أبدا أن نحدث أطفالنا قبل هذه السن عن سقراط وجان جاك روسو وشكسبير وغوتيه وسارتر وغاريبالدي ونابليون وغيرهم من رجالات الفكر الغربي والسياسيين الغربيين... فهذا لا يكون إلا بعد أن تنضج كل مدارك الطفل، وتصبح المرجعية الإحالية، أو القيم المرجعية لديه واضحة وثابتة تماما، وبعد أن يفهم قيم رجالاتنا الذين رسخوا دعائم الإسلام وصنعوا حضارته الباذخة».

وليس هنالك من شك في أن مفكرينا، ورجالات التربية والتوجيه والقادة في العالم العربي والإسلامي يدركون أهمية هذه الرؤية كل الإدراك، بل إن أكثر هؤلاء يعمل جاهدا بإخلاص وتفان من أجل توفير الحصانة الفكرية والتربوية لأطفالنا، وإتاحة المناخ الملائم لبناء شخصياتهم الحضارية المتميزة، وسمتهم الفكري والسلوكي المتفرد.

بيد أن الأمر الذي نطمح أو نتطلع إليه جميعا يتمثل في إعداد البدائل المتكاملة، ذات المستوى العلمي والمنهجي العالي والمدروس بعناية واقتدار، في مجالات «إعلام» الأطفال، و«تربية» الأطفال، و«أدب الأطفال» و«قراءات» الأطفال... الخ.

ولعل نظرة فاحصة في أفلام الرسوم المتحركة المتوفرة لأطفالنا على الصعيد العربي تجعلنا ندرك للوهلة الأولى حقيقة ذلك التقصير في إطار تقديم ذلك الفن، فمن المؤسف أننا لا نزال نعتمد على استيراد الأفلام الكرتونية المقدمة لأطفالنا، الواردة إلينا من الدول الغربية. ومن الطبيعي أن تكون هذه الأفلام غربية الهوية والهوى والتوجه، مختلفة الطابع والغاية.. بمعنى أنها قد تجسد تلك الجوانب الاجتماعية والأخلاقية لمجتمعات وسلوكات اجتماعية وعلائقية دخيلة على حياتنا وأنساقنا.

لذلك يجب التعويل على جهودنا الذاتية، والعمل النوعي المتخصص من أجل توفير البدائل المناسبة في هذا المجال، أي إبداع أعمال درامية متحركة منسجمة وأخلاقيات البيئة العربية الأصيلة.

أما الكتاب والأدباء والإعلاميون، فينبغي أن يواصلوا أداء واجبهم الشرعي والقومي والمهني المتمثل في تنبيه المسؤولين وأصحاب القرار، إلى أهمية الميدان الإعلامي ومدى انعكاسات مضامينه على الطفل وسلوكه وفكره وروحه ووجدانه... كما ينبغي عليهم أيضا أن يفعلوا إسهاماتهم في الكتابة للطفل المسلم في شتى المجالات، وتقديم البدائل وبرامج الترفيه المناسبة لمنازعه الفطرية، وتوجهاته الحضارية والمعرفية.

وبعد.. فهل ستكون هذه الصرخة ذات صدى مثمر طيب؟.. فقد تعلمنا من توجيهات الإسلام وتعاليمه الراشدة، أن الكلمة الطيبة لابد وأن تَيْنَعَ وتُثمرَ ولو بعد حين.. وهل ستكون هذه الكلمة –الوجيزة– حافزا يجعل المخلصين الواعين من هذه الأمة –وما أكثرهم– يسارعون لإقامة مؤسسات متخصصة في «حضانة» و«حصانة» الطفل العربي المسلم، وإعداد البدائل المنهجية في كل المجالات والميادين، لبنائه بناء ثقافيا وعلميا وحضاريا، يؤهله لتحديد صورة المستقبل، المنسجم والمتناغم مع مطالب وطنه ومصالح أمته، وخصوصيات شخصيته القومية والحضارية.. نأمل ذلك، ونصر على الأمل دوما.. والله الموفق والمستعان.

واجبات الأم التربوية

إحسان الدبش
كاتبة صحفية

الرجل العازم على الزواج عليه أن يضع نصب عينيه اختيار الفتاة التي ستكون في المستقبل مربية لأبنائهما. لأن الأثر التربوي للأم يعادل دور الأب، بل قد يزيد عليه. ولأن معايشة الأم مع أولادها أكثر من معايشة الآباء لأبنائهم، خاصة عندما يكونون أطفالا، بسبب انشغال الأب في أكثر أوقاته في عمله. كما أن الأبناء أكثر ارتباطا بعواطفهم بأمهم من أبيهم، منذ ولدتهم ثم أرضعتهم ثم تكفلت بعنايتهم في مرحلة حضانتهم، ثم في طفولتهم بعد مرحلة الحضانة، حتى أصبحوا فتيانا ثم شبابا. كما أن صلة الأبناء ببيت جدهم (الجد والجدة والأخوال) من طرف أمهم أكثر من صلتهم ببيت جدهم طرف أبيهم (الجد والجدة والأعمام)، بسبب زيارة الأم لأهلها أكثر بكثير من زيارتها لأهل زوجها، فتجد راحتها أكثر في بيت أهلها.

إن الاهتمام التربوي بالأبناء مسؤولية عظيمة للأبوين، لأنهم الأقدر على غرس القيم النبيلة والفاضلة في نفوس الأبناء، أو العكس؛ تلقينهم المفاهيم الخاطئة والصفات السيئة.. هذه المسؤولية المهمة بينها الرسول ﷺ في قوله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته» (صحيح البخاري). الحديث بدأ بالإمام ثم ثنى بالأب ثم الأم إلى آخر الحديث، كل بحسب مساحة موقعه. يلاحظ في الحديث النبوي تأكيد الرسول ﷺ على رعاية الأم للأولاد.

إن الغالبية العظمى من الناس تكتفي بالزاد التربوي الذي حصلوا عليه من الوسط الذي عاشوا فيه. سواء كان هذا الوسط البيت أو المدرسة أو زملاء العمل، أو تأثير الإعلام أو تأثير التقنية الحديثة، وغير ذلك من المؤثرات. فهم متأثرون تربويا من وسطهم أكثر منهم جادين في تربية أنفسهم نحو الأفضل. وهذه الجدية في بناء الشخصية البناء الذاتي نحو الأفضل هو ما يسمى «تزكية النفس» لأنه متى طهرت النفس حَسُنَ السلوك. وهذا منهج الإسلام الأساسي في التربية. قال سبحانه وتعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ (الشمس:٧-١٠). وتزكية النفس مرتبطة بطلب العلم من الكتاب والسنة، وإن كان هناك مفاهيم أخلاقية عامة يعلمها جميع الناس، لكن العلم شيء والتطبيق شيء آخر، وهو الأهم، بالإضافة إلى أمور تربوية مهمة لا تُعْلَم إلا بالتعلم، ويجهلها كثير من الناس. كفنّ تعامل الزوجين مع بعضهما بعضا، وفن تربية الأبناء في مختلف المراحل، وآداب تلقي العلم، وغيرها من فنون التربية في مختلف مجالات الحياة.

إن تزود الأبوين بعلم التربية وفنونه ينزل منزلة الواجب لكل أم وأب.. إن كل رب أسرة وربة أسرة يجب أن يكونا مربيين ناجحين وهذا لا يتأتى إلا بتحصيل «علم التربية للأسرة» أي أن كل أب وأم يجب أن يكونا مختصين بعلم التربية، وما فاتهما من فن التربية في الأسرة يجب أن يحصلا عليه بجهدهما واجتهادهما. إن أفضل زاد تربوي هو المستقى من القرآن والسنة الموحى بهما من لدن حكيم عليم، هذا الزاد التربوي السليم، لا ينعكس على أفراد الأسرة فقط، وإنما على المجتمع عامة.

إن ضعف الزاد التربوي لأفراد المجتمع له دور أساسي في تخلف المجتمع، لأن التربية الحسنة من ضمن ما تعنيه: الالتزام بتطبيق القانون وباتباع النظام، واحترام الآخر ومساعدته، ورفض الرشوة والتحيز، وإقامة العدل، ومنع الظلم... إلخ. إن عدم التزود بالزاد التربوي بشكل مستمر نحو الأفضل يصيب الأفراد والأسر والمجتمع ليس فقط بالركود الأخلاقي، وإنما أيضا بالتراجع الأخلاقي، وازدياد انتشار الفساد، وتمزيق المجتمع وخرابه، خاصة إذا انتشرت فيه أخلاق هدامة كالعصبية والعنصرية.

إن نجاح أو فشل الأسر يعود بشكل أساسي إلى تحسين الأداء التربوي، لأن الزاد التربوي المستمر يصحح المسار، ويزيد الألفة والمودة، ويقوي العلاقات بشكل أفضل. وقد ربط الإسلام بين الأخلاق الفاضلة من جهة والتقوى من جهة ثانية برباط وثيق، فجعل الأخلاق مرتبطة بالإيمان.

قال سبحانه وتعالى ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾ (التوبة: ١٢٤)، وكلما ارتقى المسلم بأخلاقه ارتقى بإيمانه. وهذا منهج

الاســـلام فـي التربية القائم على زيادة الزاد التربوي بشكل مستمر.

إن مسؤولية الأم في تربية الأبناء مسؤولية عظيمة وتنشئتهم النشأة التربوية الخلقية الرفيعة. وليتحقق هذا الهدف يجب أن يتوفر ثلاثة أمور:

أولا: أن تكون الأم متربية التربية الصحيحة من أخلاق حميدة وصفات نبيلة، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

ثانيا: أن تتعلم أصول التربية السليمة في التعامل مع أولادها في مختلف الأعمار.

ثالثا: أن تسيطر على مشاعرها الأنثوية تجاه الآخر، إن كان زوجها أو حماتها أو غيرهما من الأقرباء، وتسيطر على عواطفها الجياشة في تربيتها لأولادها.

لتحقيق الأمر الثاني: (أن تتعلم أصول التربية السليمة في التعامل مع أولادها في مختلف الأعمار). يجب أن تخضع الأمهات وحتى الآباء إلى دورات تربوية عالية، لإعداد أولاد ناجحين في حياتهم. مطيعين لربهم، بارين بوالديهم، نافعين لأمتهم. والتركيز في هذه الدورات على أمور مهمة ومستقبلية، تنفعهم وتنفع أولادهم. أو قراءة الكتب التربوية النافعة. نضرب بعض الأمثلة على بعض المواضيع التي يجب طرحها في هذه الدورات، فيما يتعلق بواجبات الأم التربوية.

١- أصول التعامل مع الزوج: من حيث الاحترام والتقدير والطاعة بما لا يخالف أوامر الله عزوجل. والشكر على ما يبذله من تعب في سبيل خدمة الأسرة، لأن الأم بقدر ما تحترم زوجها وتقدره تؤثر إيجابا على أولادها.

٢- الخلافات الزوجية: تجنب المشادة بين الأبوين في حال نشوء أي خلاف أمام الأبناء، لأن الخلافات الحادة والمستمرة، تؤدي إلى عدم احترام الأبناء لأبويهم. وعدم الإصغاء لنصائحهم، بسبب التشتت النفسي الذي يصيبهم من جراء هذا الشجار، فينعدم بذلك تأثير الأسرة التربوي، ومن ثم يخضعون لمؤثرات نفسية داخلية سلبية لهم، ومؤثرات خارجية تشوه الصياغة التربوية السليمة لهم أيضا.

٣- عدم التمييز بين الأبناء: قد تميز الأم بين أولادها بما فيهم الأطفال لأسباب عدة، سواء تميز الإناث أكثر من الذكور، أو العكس، حيث تتحيز للذكور أكثر من الإناث، أو بين الذكور والإناث أنفسهم. مما يولد حقد الأبناء على بعضهم، ونشوء العداوة بينهم، وقد يؤدي إلى كراهة الولد غير المفضل لإخوته، وينعكس ذلك مستقبلا حتى على أمه أيضا، فلا يكون متعاونا معها أو سلبيا تجاهها، إن لم يسئ إليها.

٤- الغيرة الشديدة: الغيرة عند الأمهات تظهر بشكل واضح بعد الزواج بين الكنة -زوجة الابن- والحماة -أم الزوج-، إذا لم تُكْتَم مشاعر الغيرة بينهما، وظهرت على شكل أحاديث ينال كل منهما من الآخر أمام الأبناء، وتصاعدت حدتها انقلبت الغيرة إلى عداوة، مما ينعكس على الأبناء وعلاقتهم مع جدهم وجدتهم وبقية أقاربهم، فتبقى رواسبه مع تقدمهم في السن مما قد يؤدي إلى قطيعة في الرحم. بين الأبناء وأقربائهم، تتحمل الأم المسؤولية في ذلك.

٥- التربية في مختلف المراحل العمرية: لكل مرحلة من مراحل عمر الأبناء طبيعتها الخاصة وحاجياتها النفسية والجسمية، وبالتالي فإن تعامل المربي والمربية -الأم بشكل خاص- يجب أن يتناسب مع هذه المرحلة. قد لا تدرك الأم وحتى الأب الفروق في الأداء التربوي بين مرحلة وأخرى. مما يسيء للطفل، سواء وهو في مرحلة الطفولة أو في المستقبل عندما يصبح شابا ثم شيخا. لأن رواسب التربية الخاطئة في مرحلة الطفولة يصعب تغييرها مستقبلا، مثلا: الانتقال من مرحلة الحضانة إلى مرحلة الروضة وما بعدها، في مرحلة الروضة يستطيع الطفل بنفسه القيام بأعمال لم يكن يستطع القيام بها في مرحلة الحضانة، كتناول الطعام وحده مثلا، فعلى الأم أن تدعه يعتمد على نفسه في بعض الأعمال.. تجد بعض الأمهات من تستمر في العناية بولدها وكأنه مازال في مرحلة الحضانة، فيصبح اتكاليا لا يستغني عن خدمات أمه. مثال آخر: مرحلة المراهقة: يصيب الأبناء شيء من القلق بسبب التغيرات الجسمية والنفسية عليهم.. وهنا يجب أن يراعي المربي ذلك.. فلا يعامل الفتى وهو يشعر أنه أصبح رجلا معاملة الطفل.

لذا فإن حضور الدورات التربوية، أو القراءة في كتب تربوية موثوقة، مما يجعل الأم ذات كفاءة عالية في التربية، ولها دور كبير في نجاح أولاد المستقبل. ولا يخلو مجتمعنا من أمهات فاضلات حققن الأداء التربوي لأبنائهن وبناتهن بشكل جيد، وكن قدوة حسنة في ذلك، وإن لم يحضرن دورات، لكن الحاجة أصبحت ماسة في هذا العصر، خاصة بعد ظهور مؤثرات جديدة في التربية لم تكن فيما مضى، والتي ذكرت أثناء البحث.

قضايا المرأة في الصحافة الإسلامية

الواقع والطموح

سعاد بعوش - كاتبة جزائرية

تتعدد الرسائل الإعلامية الموجهة اليوم للفرد المسلم، في عالم أضحى ممتلئا بالقنوات الفضائية والإذاعات، الخارجية منها والمحلية، والصحافة المكتوبة والإلكترونية، فهو زمن الإعلام بامتياز. ومن ثم أصبحت الحياة تعج بالأخبار والمعلومات، الصحيحة والكاذبة، والرسائل المباشرة وغير المباشرة، وفيها ما يستهدف الأفكار والمعتقدات والتصورات، أو السلوك والأخلاق وأنماط الحياة، سواء بالتغيير أو بالتعزيز والتثبيت، تستعمل فيها كل أساليب الاتصال الإقناعي من المؤثرات الصوتية وتقنيات الصورة والإخراج الفني والتحرير الصحفي.

ولا تجد وسيلة إعلامية إلا وقد أعطت المرأة من مساحاتها الزمنية وبرامجها وأركانها واهتماماتها المتنوعة، نصيبا منها، يقل أو يكثر، إيمانا من الجميع بمدى تأثير المرأة في المجتمع، إن سلبا أو إيجابا، وحاولت أن توجه رسائل معينة لها، تتناسب ونظرتها للمرأة وفلسفتها حول المهام التي عليها أن تؤديها في المجتمع العام. وبناء على ذلك، تكثر التجاذبات في واقع المرأة المسلمة بين دعاة الإيمان ومقتضياته العملية، ودعاة التحرر من كل الأحكام الشرعية والأعراف المجتمعية الأصيلة والانطلاق نحو تحقيق الذات وإثبات الوجود وفقا لمنظومة القيم والتصورات الغربية وبعيدا عن منهج الله القويم.

وليس غريبا، بل من الأهمية بمكان أن نجد اهتماما واضحا بالمرأة وقضاياها من قبل الصحافة الإسلامية أيضا، شأنها في ذلك شأن كل الوسائل الإعلامية، وهي تلك «الصحافة التي تعالج مختلف قضايا الحياة وأحداثها من منظور إسلامي، استنادا إلى القرآن الكريم، وصحيح سنة رسول الله ﷺ، وما ارتضته الأمة من مصادر تشريعية في إطارها، وتقدم هذه القضايا والأحداث إلى الجماهير بلغة مناسبة، واستخدام الفنون الصحفية الملائمة، والإفادة من كل وسائل التكنولوجيا الحديثة. ويتولى عرض هذه القضايا محررون وكتاب مسلمون على معرفة عميقة بالإسلام وحقائقه، بما يخدم الأهداف والمثل والقيم الإسلامية، ويمثل ترجمة وقيادة لواقع المجتمع الذي تنشر فيه» (١). وهي أيضا صحافة عادة ما يشرف عليها علماء ودعاة ومصلحون، فهموا رسالة الإسلام، وتشبعوا من قيمها، ورأوا فيها دواء لكل أدواء الأمة الإسلامية، فنادوا بالعودة إليها، واتخذوا من الصحافة وسيلة للاتصال بالجماهير المسلمة كونها «وسيلة شعبية ناجحة، تستطيع أن تغير بمواضيعها وأساليبها العقول والأفكار والقيم والموازين، وأن توجه الرأي العام إلى ما تريده» (٢). وكانت المرأة من بين الفئات المستهدفة برسالتهم من خلال معالجة مواضيعها والوقوف على قضاياها.

وقد انطلقت الصحافة الإسلامية في اهتمامها بالمرأة وقضاياها من:

- مرجعيتها الإسلامية، وخلفيتها الفكرية، وأهدافها الرامية إلى العودة بالمجتمع المسلم إلى مقوماته الحضارية، وإحياء روح الانتماء فيه بالعودة إلى أحكام الإسلام، عقيدة وشريعة وأخلاقا، والشعور بالفخر والاعتزاز بهذا الانتماء، وبناء شخصية الفرد المسلم عليها.
- اهتمام الصحافة الإسلامية بقضايا المرأة من اهتمام الإسلام بالمرأة، وهو الدين الذي أعاد إلى المرأة كرامتها وحفظ حقوقها، وإدراكا لدورها المهم في الحياة وإعطائها الدعم الذي يؤهلها لأن تكون فردا صالحا في المجتمع وسندا قويا لشقيقها الرجل في معتركات الحياة وأما مربية تخرج للأمة العظماء من الرجال والنساء الذين يضطلعون بالحفاظ عليها والتضحية من أجلها.
- تخصيص المرأة بالخطاب بهدف لفت انتباهها، وتركيز اهتمامها، وتولي معالجة مشكلاتها انطلاقا من توجيه الخطاب إليها مباشرة في القرآن الكريم والسنة النبوية، مثل قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ (النور:٣١).

وقول النبي ﷺ: «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار. قالت امرأة منهن: مالنا أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي

لب منكن. قالت: ما نقصان العقل والدين؟ قال: شهادة امرأتين بشهادة رجل، وتمكث الأيام لا تصلي» (٣).
والأمثلة كثيرة.

● استهداف المرأة المسلمة من قبل أعداء الأمة وقوى التغريب، والتركيز عليها في عمليات الغزو الفكري والتغيير المنهج للمجتمع المسلم، مما يفرض القيام بمسؤولية الدعوة إلى الله في أوساط النساء، تبليغا وتعليما وتربية، باستعمال كل الوسائل المشروعة، ومن بينها الصحافة الإسلامية.

● إبراز المنهج الإسلامي في معالجة قضايا المرأة، وإثبات أحقيته وعدالته وعمقه ومناسبته للفطرة السليمة، والدفاع عنه، والإقناع به باستعمال وسيلة جماهيرية قادرة على التأثير وصناعة الرأي العام الذي تريد على المدى البعيد.

● إيجاد بديل إعلامي إسلامي وسطي معتدل يلبي احتياجات المرأة المسلمة إعلاميا، وفقا لهويتها الإسلامية ومكانتها في الإسلام وموقعها من المجتمع ودورها الاجتماعي والحضاري المنوط بها والمنتظر منها ضرورة في عالم اليوم.

وعلى أهمية هذا الاهتمام من الصحافة الإسلامية بالمرأة المسلمة وقضاياها، فإنه لا يخلو من وجوه نقص وصور تقصير، نجدها هنا أو هناك، خصوصا في بعض الصحف والمجلات الإسلامية الناشئة، أو التي ليس لها تجربة طويلة وخبرة متنوعة في الإعلام.

ودعما لها بالملاحظة العلمية والنقد الهادف إلى البناء والتقييم الرامي إلى التقويم والتطوير والتحسين، تم تسجيل بعض النقائص وأوجه القصور الظاهرة فيها وهي كالآتي:

● اضطراب الهدف المنشود من معالجة قضايا المرأة، وعدم وضوحه أحيانا لدى القائمين عليها، مما يجعل المواضيع عشوائية تخضع للمواد المتوافرة لدى الصحيفة أو المجلة.

● عدم توافر التخصص أحيانا في المشرفين على قضايا المرأة في الصحافة الإسلامية، وتواضع الثقافة الإسلامية لديهم، وعدم الإلمام بقضايا الأسرة ومكانتها في الإسلام وتاريخ المرأة المسلمة ودورها عبر مراحله البارزة، مما يضفي عليها نوعا من الإرباك في اختيار الأركان التي تقدم من أجل المرأة.

● صغر المساحة المكانية المخصصة لقضايا المرأة في كثير من الصحف والمجلات الإسلامية، وجعلها في الأغلب في الصفحات الأخيرة، وعدم تمييزها بإخراج مختلف عن الصفحات الأخرى.

● حصر قضايا المرأة في الأسرة وأمورها، وإغفال العديد من القضايا الأخرى التي تهم سائر النساء والفتيات، مثل قضايا بناء الشخصية والإبداع والعمل والدعوة والهداية، أو الانحراف والعنوسة والطلاق والترمل والفقر وغيرها.

● التركيز بكثرة على تربية الأبناء والواجبات والحقوق الزوجية من بين قضايا الأسرة كلها، فعلى الرغم من أهمية هذين الأمرين في حياة المرأة ومسؤوليتها فإنهما ليسا كل شيء في قضايا المرأة والأسرة.

● الاعتماد بكثرة على المقال وغياب أشكال وقوالب التحرير الصحفي المختلفة الأخرى، مثل الخبر والتقرير والتحقيق والحوار وغيرها.

● الإمعان في استحضار الشخصيات النسائية التاريخية واستظهارها من أجل الاقتداء والاستئناس بها، وإغفال الشخصيات النسائية المسلمة المعاصرة الناجحة، التي تجمع بين الدين الإسلامي، كالتزام وهوية ومنطلق لجميع الإنجازات والعمل والإنتاج والإبداع، وبذلك المساهمة في تهميشها وتغييبها عن حاضر الحياة العامة، رغم أن الاقتداء بها أيسر لتشابه الظروف الزمانية والمكانية.

● الاعتماد بكثرة من قبل بعض الصحف الإسلامية أو المجلات على شبكة الإنترنت كمصدر للمعلومات والمادة الصحفية الموجهة إلى المرأة، مما يفقدها الحيوية والفاعلية، ويجعلها ذات صبغة استهلاكية غير قابلة لأن تكون مادة للبناء الصحيح والمعالجة الناضجة، والتفاعل الهادف الصادق مع قضايا المرأة المنطلق من واقعها الحقيقي.

● معالجة بعض القضايا الهامشية في حياة المرأة، والانسياق وراء احتياجات السواد الأعظم من النساء، منافسة لبعض الصحف العامة واتباعا لها، وهي - في الأغلب - لا تحمل للإسلام هما ولا للتغيير الصحيح قضية، وذلك على حساب قضايا مصيرية تتعلق بنجاح المرأة في الحياة الدنيا أو الفلاح في الآخرة، خصوصا مع قلة المساحة المخصصة للمرأة.

وبناء على كل ما تقدم، وطلبا لمعالجة فاعلة وذات أثر لقضايا المرأة المسلمة في الصحافة الإسلامية، فإنه يمكن اقتراح ما يأتي:

● وضع أهداف محددة وواضحة لصفحة أو صفحات قضايا المرأة، وفق احتياجات المرأة في الدولة التي تصدر فيها الصحيفة، إن كانت محلية، أو احتياجات المرأة في العالم الإسلامي عامة.

● التركيز على تكوين شخصية المرأة المسلمة وبنائها، وإعلاء همتها، وحثها على التعلم والقراءة واكتساب الخبرات واستثمار تجارب غيرها، ومدها بالبرامج والنماذج والمقترحات العملية والحلول الموضوعية لمشكلاتها والتحديات التي تواجهها في الحياة، وعدم الاكتفاء بذكر الإشكاليات وتفصيل المشكلات والتعليق عليها والتذمر من واقعها.

● تعزيز قيم الإيجابية والأمل والطموح والعمل والتفاؤل والبناء والتنمية والتميز والنجاح والقوة والتسامح والتكامل والتواضع.. وغيرها من القيم، التي إن وجدت في النساء انعكست على الأسر ومن ثم على المجتمع العام.

● رصد النشاطات الإسلامية الدينية أو الثقافية أو الصحية أو الأسرية أو غيرها التي تقدم هنا وهناك من أجل المرأة خاصة، وتقديم ملخصات عنها؛ بهدف إفادة المرأة وإعلامها بما يقدم لمصلحتها، وتعريفها بالجهات الحريصة على مساعدتها والمستعدة لرعاية اهتماماتها.

● الحرص على ترقية اهتمامات المرأة المسلمة المعاصرة، وعدم الاكتفاء بتلبية احتياجاتها، لأن الأصل في الصحافة الإسلامية «ترقية اهتمامات الناس قبل تلبية احتياجاتهم. والسبق بهذه الترقية من أهم مبادئها، لأن مجرد تلبية الاهتمامات على ما هي عليه من دون قيد ولا شرط أو بعد إفسادها لا يمثل إلا منطق الباطل والهلاك» (٤).

● الاجتهاد في ترتيب أولويات المرأة بدقة وعناية، وبنظرة شاملة واعية بواقع المرأة المسلمة ومتطلباته الحقيقية، وبناء على الفروض العينية فالكفائية وما يحتاج إليه المجتمع المسلم من المرأة كفرد فاعل فيه وفقا للتصور الإسلامي القويم المتوازن.

● الوقوف على الإشكاليات المعاصرة الطارئة في عالم المرأة المسلمة، وتأصيلها التأصيل الشرعي من خلال البحث والدراسة، وسؤال العلماء، وطرح القضايا على المجامع الفقهية واتحادات العلماء ورابطاتهم؛ حتى يعم العلم ويفهم الحكم وتقام الحجة أمام الله تعالى.

● القيام بسبر آراء أو قياس الرأي، والاهتمام بالبحوث الميدانية وفق نظرية الاستخدامات والإشباع في الإعلام على القارئات، ومعرفة مختلف الآراء حول ما تقدمه الصحيفة أو المجلة من أركان ومواضيع خاصة بالمرأة، واستيضاح ما يردنه منها وما يقترحنه من أجلها.

● تنويع قوالب التحرير الصحفي، واستعمال أنماط التفاعل الجماهيري، والنزول إلى واقع المرأة الحقيقي وإبراز مشكلاتها ومعالجتها مع المختصين والمهتمين.

● جعل المساحة المخصصة لقضايا المرأة من صفحتين فأكثر، من أجل استيعاب الأركان والمواضيع والقضايا الخاصة بها والتمكن من التعرض لعدة جوانب حياتية مهمة، وتمييزها بألوان زاهية وإخراج جذاب ومكان مناسب.

● إبراز الشخصيات النسائية المتمكنة في مجالات معينة، خصوصا اللاتي جمعن بين التدين والعلم والنجاح في مجال من المجالات، ومناقشتهن في قضايا المرأة، من تعلم وتدين وعمل ومسؤوليات أسرية ونشاطات اجتماعية أو ثقافية أو سياسية أو غيرها، وتقديمهن كنماذج تستحق أن يقتدى بها.

● مناقشة وتحليل ما ينشره ويقدمه الإعلام المضلل من دعوات صريحة أو ضمنية للمرأة إلى الانحراف والانصراف عن كل ما له صلة بالعفة والستر والحياء، والارتقاء إلى المثل الإسلامية، نهيا عن المنكر وأمرا بالمعروف.

● استكتاب المرأة المسلمة، وإعطاؤها الفرصة لنشر كتاباتها كمساهمة في إيجاد خطاب نسوي إسلامي معاصر واع وقادر على استيعاب قضايا المرأة ومشكلاتها، ومواجهة دعاة التفلت والتحرر من أحكام الدين الإسلامي الحنيف، والرد على الشبهات التي ترد منهم هنا وهناك.

● الاستفادة من شبكة الإنترنت في نشر قضايا المرأة، وإقناع الرأي العام بها، وتوجيه مواقفه وتعديل اتجاهاته، وتوسيع دائرة جمهور القراء، وتحقيق الاستجابة، ومعرفة رجع الصدى واستثماره في اختيار المواضيع.

● محاولة العناية وتوجيه الخطاب لكل شرائح وفئات المجتمع النسائي من أجل احتواء أكبر عدد ممكن من النساء، وتحويل الصحيفة أو المجلة إلى مصدر من مصادر التأثير الاجتماعي في حياتهن ومسارهن.

● الالتفات إلى شريحة الفتيات ورعاية اهتماماتهن ومناقشة قضاياهن، كونها شريحة لا تزال في بداية التكوين بالنسبة إلى شخصياتهن وبناء الاعتقادات والتصورات ومتعطشة لاكتساب القيم والمبادئ والأخلاق، وهي أكثر الشرائح النسائية تفاعلا مع وسائل الاتصال الجديدة وتأثرا بسلبياتها، مما يتطلب وجود بدائل تربوية هادفة وواقعية لدى الصحافة الإسلامية.

● تشجيع المرأة الداعية، ومعالجة مشكلاتها، وتفعيل الدعوة في أوساط النساء؛ نظرا لأهمية القضية وحاجة الساحة الإسلامية إليها «فالدعوة بحاجة ماسة إلى المرأة وجهودها الدعوية، وإنه من دون مشاركة فاعلة قوية من قبلها فإن الدعوة لن تتقدم التقدم المرجو، ولن تخطو الخطوات المطلوبة القوية، وستظل عرجاء متعثرة..» (٥).

الهوامش

١- محمد منصور محمود هيبة، الصحافة الإسلامية في مصر بين عبدالناصر والسادات (١٩٥٢-١٩٨١م)، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٩٩٠م، ص٤٠.

٢- يوسف القرضاوي، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، دط، ١٩٨٤م، ص٣٠.

٣- أخرجه مسلم (٧٩). ذكره النووي في رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ﷺ، باب الاستغفار وفضله، طبعة بان الجوزي، القاهرة ٢٠٠٦م، ص٤٣٩.

٤- عمارة نجيب، محاضرات في الإعلام ووظائفه: نقلا عن فؤاد توفيق العاني، الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٣م، ص٦٨.

٥- محمد بن موسى الشريف، مقدمة كتاب: المرأة الداعية «معالم وعقبات ومحاذير»، دار الأندلس الخضراء، دار ابن حزم، جدة، ط٣، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ص٧.

مقتطفات من «الإنصاف»

التحرير

في كتابه «الإنصاف سبيل للائتلاف واجتماع الأمة»، الصادر عن دار الوطن للنشر بالرياض ضمن سلسلة الفوائد الذهبية من سير أعلام النبلاء، ذكر المؤلف عبيد بن أبي نفيع الشعبي أن حال الأقران، فيما بينهم، حال تستحق أن تفرد بالدراسة والبحث، فمنهم من يعظم أقرانه ويفضلهم على نفسه، ومنهم من يكون خلاف ذلك، وهكذا يبتلي الله الناس بعضهم ببعض.

ويفصل فيقول: «فهذا هشام بن يوسف يقول: كان عبدالرزاق أعلمنا وأحفظنا».

قال الذهبي: «هكذا كان النظراء يعترفون لأقرانهم بالحفظ».

فهذه صورة جميلة لحال الأقران المنصفين. وصورة أخرى لأقران كل منهما على مذهب، غير أن الخلاف بينهما ما أفسد للود قضية.

فانظر إلى هؤلاء الأبرار مع طول المناظرة والمحاورة إلا أن القلوب لم تزدد إلا حبا وتعظيما.. فما بال أقوام تمتلئ قلوبهم حقدا وحنقا على إخوانهم وأقرانهم على أقل محاورة وإقحام، ولم يوغل المرء صدره ويمتلئ غلا على أخيه فلا تراه إلا نكدا ضيق الصدر يطلق لسانه في حق أخيه ولا ينصفه. فاتق الله يا أيها المتحامل على أخيك، وكن زكي النفس، واشرح صدرك لأخيك، واكسب محبته وتقديره، وكن كالليث بن سعد، الإمام الحافظ شيخ الإسلام وعالم الديار المصرية، الذي كان يحسن وصل إخوانه وأقرانه، كالإمام مالك، مع ما بينهما من طول مناظرة ومراسلة علمية.

ويروى عن رجاء بن حيوة، قال: «من لم يؤاخ إلا من لا عيب فيه قل صديقه، ومن لم يرض من صديقه إلا بالإخلاص له دام سخطه، ومن عاتب إخوانه على كل ذنب كثر عدوه».

فيا سبحان الله، ما الذي يتسلل إلى نفوس الأقران خفية من دون أن يشعروا، ومع هذا يظن الأخ أنه منصف مع أخيه؟!

وينصح الشعبي إخوانه فيقول: «فيا عبدالله، أحسن الظن بأخيك، وعليك بما قاله رجاء ابن حيوة، واعمل به تبق سعيدا هنيئا».

وفي موضع آخر يقول: فارض بما قسمه الله لك، وادع لأخيك بالتوفيق، وقابل سيئته بالحسنة منك، ولا تشغل نفسك بالرد عليه، واستبق الخيرات؛ فأبوابها كثيرة. وأما قول الأئمة إن كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعول عليه إلا لعلمهم ما للمعاصرة والتنافس من إفساد المودة والأخوة بين المتعاصرين. والخطأ قد يكون من طرف واحد لا من الطرفين، فواحد ينتقص والآخر منتقص منه، فقد يمن الله على المتأخر بالهداية والالتزام والإسلام وقد سبقه منافسه بالهداية والإسلام ثم هو اليوم يشاركه مرتبته العلمية والدعوية، والتفاف الخاصة والعامة حول دروسه وأطروحاته وكتبه على المستوى الكبير أو قيادة مجموعة صغيرة من الدعاة، فيتسلل مرض الأقران إلى السابق من دون أي يتسبب اللاحق في ذلك المرض من طريق مباشر بكلمة أو تصرف استفزازي من جانبه أو من جانب قيادتهما. فينبغي أن يعلم السابق أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وأن ذلك أيضا بسبب اجتهاد وإخلاص من اللاحق، فليتق الله ذلك العبد وليحب لأخيه ما يحب لنفسه، وليعلم أيضا أن سبقه إلى الخير محفوظ ولن ينسى أبدا.

كيف أنمي الحس الجمالي لدى الأطفال

د. آندي حجازي
أستاذ علم النفس التربوي

كنت أركب يوما مع والد وطفله في سيارتهما الفضية اللون، قاصدين معا شراء بعض الحاجيات، وفي الطريق لفت انتباهي أسلوب ذلك الوالد: يأخذ رأي طفله الصغير ذي الثماني سنوات في كل مبنى يشاهده أو شارع يمر به، ويسأله ما رأيك في هذا المبنى وتلك العمارة أو ذاك الشارع وتلك الحديقة؟ ويثني على رأي طفله، ويمدحه، ويبدي إعجابه بما يقدم من إجابات وملاحظات، بل يتعجب الأب ذاته من دقة ملاحظة طفله، فهو يطرح جوانب لم يلتفت إليها والده نفسه، ويجيب بإجابات تزيد من ثقة الأب بقدرات ابنه وتذوقه لمواطن الجمال من حوله، مما يجعله يستمر في طلب رأي طفله في تلك السيارة وذلك اللباس وذاك المسكن. أعجبت بذاك النموذج من التربية.. إنها تربية تقوم على تنمية الجوانب الحسية والجمالية لدى الطفل.

فالطفل زوده الله تعالى بمصادر لتلقي المعلومات، وهي تلك الحواس الخمس، وبتفاعلها مع العقل فإنها تنتج العلم والمعرفة والتواصل مع الآخرين. ولذا، إن اهتم الوالدان ومن يحيط بالطفل باستغلال تلك الحواس، من سمع وبصر وتذوق وشم ولمس، لتربية الطفل على الجوانب الحسية والجمالية، فإنه حتما سينشأ لدينا طفل ذو حساسية عالية للجمال في الكون والحياة، الأمر الذي هو مهم من أجل اكتشاف مواطن القوة والضعف، أينما كانت، وكذلك مواطن النقص والخلل وتعديلها ومحاولة إصلاحها، وذلك في كل نواحي الحياة. فإبداع الإنسان يأتي من تفهمه لتفاصيل الأشياء ودقائق الأمور، وجمالها وقبحها، وجوانب النقص والقصور من أجل استكمالها وتحسينها.

فالإنسان الذي يستشعر الجمال يسعى إلى إضفاء لمسات إنسانية راقية جميلة على ما يحيط به، فهو قادر على إحداث التغيير في عالمه نحو الأفضل، وما تلك الإبداعات والاختراعات الكثيرة في عالمنا اليوم إلا نتيجة رغبة الإنسان في تنمية الجانب الحسي والجمالي في حياته، مما يضفي عليها البهجة والحيوية والفائدة ويقلل المشقة والعناء.

دعوة لتذوق الجمال

إن بوادر تذوق الجمال والاستمتاع بالأشياء الجميلة والقيم السامية ما هي إلا أمور فطرية في الإنسان وتؤكد على الكيان الإنساني، ولكن تنميتها وتشجيعها أمر يحتاج إلى تدريب، وهو أمر مهم لتحقيق النمو السوي والنمو المتوازن والمتكامل للإنسان في جميع جوانب نموه العقلي والجسدي والنفسي والاجتماعي، فالإنسان هو المخلوق الوحيد القادر على التذوق الجمالي؛ لما أودعه الله تعالى فيه من قدرات ومواهب وأحاسيس، ودعاه إلى ذلك في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، لتنمية الجوانب الجمالية لما في ذلك من منفعة ومتعة وفائدة للإنسان، فعلى سبيل المثال لا الحصر، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر:٢٧ و٢٨). فدعا إلى اكتشاف أنواع الجبال والثمرات وألوانها وأنواع وأشكال الطيور والأنعام والمياه.

والإسلام هو الدين الوحيد الذي دعا الناس إلى الاهتمام بالجمال وإلى أن يكون شعارا للمسلم، في المظهر والملبس والمسكن والمأكل والنفس والأخلاق، مما يبعث في النفوس السرور والسعادة، ويضفي الرونق على الحياة. وقال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ (فاطر:١٠)، فطيب الكلام هو من الجمال في القول والتعبير والتفاهم مع الآخرين وإصلاح

ذات البين. وقال تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف:١٩)، ففي هذه الآية دعوة لتذوق الطعام وانتقاء أطيبه وأكثره حلاة وطعما، وهنا يظهر الحس الجمالي في الآية في جانب من جوانب الحياة. وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما طابت رائحة عبد قط إلا قل غمه، ولا نظفت ثيابه قط إلا قل همه». وروي عن عامر ابن سعد أن النبي ﷺ قال: «إن الله نظيف يحب النظافة، وجميل يحب الجمال، وجواد يحب الجود، وكريم يحب الكرم، وطيب يحب الطيب». وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة» (رواه الترمذي).

إحساس الطفل بالجمال

يقع على عاتق الوالدين والمربين دور مهم في جعل الأطفال يستشعرون منذ نعومة أظفارهم أن هذا الكون الذي أوجدهم الله فيه ممتلئ بمظاهر الجمال وعلاماته، وأن يحركوا فيهم مشاعر التأمل في هذا الجمال الكامن في الإنسان والحيوان والنبات والبر والبحر بتناسق تام، فمثلا: تشجيعهم على إدراك الفرق بين مفهوم الجمال الحسي والجمال المعنوي كما في قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل:٥ و٦).

فتنمية الحس الجمالي لدى الطفل بتذوق جمال الأشياء لا تكون من خلال مادة دراسية، وإنما من خلال جميع المواد الدراسية، ومواقف الحياة، ومن خلال التدريب والتعلم والتعرض المستمر للبيئة المفعمة بالأشياء من حولنا، والثناء ولفت النظر إلى المواطن الجمالية والفنية، وفي كل المواقف الحياتية واليومية. وهذا يبدأ منذ وقت مبكر من حياة الطفل، لأن مرحلة الطفولة هي المرحلة الأساسية لخلق الوجدان البديعي والحس الجمالي الراقي، مما يعني أهمية التنشئة الاجتماعية ودور مؤسسات التنشئة، كالأسرة والروضة والمدرسة ووسائل الإعلام، في إثراء بيئة الطفل بالمفردات وبالوسائل المحسوسة لتنمية إمكاناته الحسية والإدراكية.

وإذا عاش الطفل في عالم ينمي لديه الإحساس بجمال الأشياء، فلابد أن ينعكس ذلك على سلوكياته ونواحي حياته، فمثلا: يحسن انتقاء ملابسه، ويهتم بأناقته ونظافته وبمظهره وهندامه، ويعتني بحاجياته وألعابه وأماكن جلوسه وعيشه. وعموما، فإن الجمال يصاحب الترتيب والنظافة والتناسق والسلوك الجيد. والطفل الذواق هو الذي يهتم بذلك كله، ويشعر بالفرح والمتعة عندما يمارسه، وعندما تقع حواسه على الأشياء الجميلة، ويصبح يمارس هوايات تضفي على حياته الرونق والجمال، كالرسم والزخرفة والنحت وكتابة الشعر وزيارة المعارض وتصوير بعض المشاهد الجميلة من الطبيعة والكون من حوله.

والأهم من ذلك كله أن التأمل في جمال الكون وروعة الطبيعة بألوانها الساحرة من حولنا وعظمة مخلوقات الله تعالى بألوانها وأشكالها التي لا تعد ولا تحصى في البر والبحر والفضاء، يجعل الإنسان يدرك تماما أن لهذا الكون خالقا واحدا نظم الكون بانتظام واتساق وجمال تفوق الوصف، فمهما حاول الإنسان أن يرسم أشياء أو لوحات أو يبدع نماذج لمجسمات أو مخلوقات، فإنه لم ولن يستطيع يوما أن يخرج عن نطاق ما خلق الله في الكون. فخيال الإنسان مهما بلغ لن يخرج عن إطار مخلوقات الله تعالى، فانظر مثلا في تلك الأفلام الأجنبية التي تحاول إنتاج كائنات من صنع البشر للتمثيل، فإنها لابد أن تجعل لها من رأس وأيد وأرجل وحواس، ولم تستطع أن تبدع أكثر من ذلك، بل إنها

كثيرا ما تشوهها بدلا من أن تضفي جمالا عليها، وهذا حتى ينطبق على ما حاول الإنسان تصوره عن أشكال المخلوقات الفضائية التي يتوقع الإنسان أنها تعيش في عوالم أخرى في الكون.

طرق تدريب الحس الجمالي

إن الأسرة والمدرسة هما أهم طرفين يمكن أن يعملا على تنمية الناحية الجمالية والتذوق الحسي لما يواجهه الطفل، مع حرصهما على إبداء الرضا عن السلوك الجميل والشيء الجميل، والتنويه إلى مواطن الجمال دائما. وأقترح تاليا على الوالدين والمربين بعضا من الطرق التي أرجو أن تكون مفيدة في تنمية الطفل وتدريبه على التذوق الجمالي وإنعاش الحس الجمالي والفني لديه ومنها الآتي:

- اصطحب طفلك دوما إلى الطبيعة؛ لمشاهدة جمال الأشجار والأنهار أو البحار والجبال والكائنات، كالحيوانات والطيور، والثمار، كالفاكهة، والاستمتاع بألوان الطبيعة، ولفت نظر الطفل إلى تلك النواحي الجمالية والفنية، وتصويره معها، وجعله يتفاعل معها من خلال حواسه المختلفة، السمع والبصر واللمس، فيتلمس بعض ما يرى من الطبيعة، ومناقشته في جمالها، وفي ما يعجبه فيها، وفي ألوانها، وتذكيره بالخالق لها، وبقدرة الله تعالى في كونه.
- عود طفلك على احترام الأماكن العامة والطبيعية التي يزورها، والعناية بها، والمحافظة على سلامتها ونظافتها.
- اصطحب أبناءك لزيارة المتاحف والأماكن الأثرية والمعارض الفنية والثقافية المتنوعة؛ لرؤية ما أنتجته الحضارات السابقة والحالية وتذوق جمالها وفنها، كفسيفساء ونقوش ومنحوتات وحلي وأدوات فخارية وزجاجية ومعدنية وقدور ومسكوكات نقدية ورسومات.. مما قد يثير لدى الأبناء الجانب الإبداعي والإنتاجي وهو المأمول منهم.
- اعرض على الأطفال لوحات لصور من الطبيعة وناقشهم فيها. كما أنصح بذلك المعلمات داخل الصفوف الدراسية والروضة ومناقشة الأطفال فيها؛ لتنمية الجانب الجمالي في ما يشاهدونه في اللوحة.
- شجع أطفالك على رسم مشاهد جميلة من الطبيعة بألوانها الجذابة، لأن هذا الرسم هو دعوة للتفكر في الكون ومخلوقات الله تعالى وتذوق الجمال الذي تتضمنه.
- أظهر دوما الاهتمام بالعمران القديم والحديث وأشكاله وفنونه لمحاولة غرس هذا الجانب في نفوس الأبناء بالثناء على الأبنية الجميلة والجذابة أمام الأطفال، وتشجيعهم على إبداء الرأي فيها وفي جوانب الفن والإبداع الذي تتضمنه، فقد ينشأ من بين أبنائك مهندسون مهرة ومبدعون.
- قم دوما وقدر استطاعتك باصطحاب أبنائك في رحلات سفر خارج بلدهم من أجل مشاهدة البلدان الأخرى وجمال الطبيعة من بحار وأنهار وجبال ومدن أخرى، فالعالم كتاب مفتوح، ومن لا يسافر لا يقرأ غير صفحة أو صفحات قليلة منه، ولا يتفتح ذهنه إلا بقدر محدود.
- اسمع الأطفال قصصا متنوعة وناقشهم بها، لأنها تدرب لديهم الحس الجمالي الخيالي من خلال ما يسمعونه.
- شجع أبناءك الصغار والمراهقين على القراءة لأنها تنمي لديهم الحس المعنوي، وتعينهم على التصور الخيالي لما يقرأون، مع محاولة الانتقاء الجمالي والأدبي لشكل الكتاب ومضمونه.
- شجع أبناءك على العناية بالكتب والحفاظ عليها نظيفة مرتبة، وفي هذا نوع من أنواع التربية الجمالية ونوع من أنواع الارتقاء بالحس الفني.
- شجع أبناءك الذين ينظمون الشعر أو يتذوقونه، وعلى سماع أو كتابة بعض الأناشيد الهادفة التي تنمي لديهم الذوق السماعي، وكذلك التدرب على أحكام تجويد القرآن الكريم لتنمية الحس الجمالي والسماعي.
- حضور بعض المسرحيات الهادفة أو الثقافية أو التعليمية على المسرح، مما يعين على الاطلاع على كواليس المسرح من فنون الإضاءة والصوت والإخراج، فالمسرح قد يقوم بدور مهم في مجال التربية المعرفية والفنية والجمالية لدى الطفل، وهو من العوامل التربوية والثقافية المهمة إذا أحسن توظيفها للتربية، وكذلك التلفزيون والإنترنت وليس فقط للأطفال بل حتى للمراهقين، مع محاولة الانتقاء والمراقبة لما تعرضه هذه الوسائل حتى لا ندخل في الآثار السلبية.

وختاما

أؤكد على دور الأسرة أولا وأخيرا - وقبل المدارس - في تنمية الحس الجمالي السامي لدى الأبناء، فالأسرة هي القادرة على زراعة هذه البذور ورعايتها وصقلها بمختلف الوسائل والأساليب وأفضلها. فالأسرة التي لا يقرأ فيها الآباء الكتب والصحف، ولا يشاهدون البرامج الثقافية، ولا يسافرون، ولا يزورون المتاحف العلمية والتاريخية والطبيعية والمعارض الفنية والثقافية، ولا يمارسون هوايات معينة تضفي على حياتهم الرونق والجمال.. فإنهم لا يتمتعون بشكل كاف بالحس الجمالي وبالذوق الرفيع في التعامل مع الأشياء، وبالتالي سيصعب عليهم أن يوفروا للطفل ثقافة راقية وحسا جماليا عصريا، وهو ما نحتاج إليه في واقعنا الحالي، لعلنا نستعيد بعض أمجادنا العربية والإسلامية السالفة والرقي بنواتجنا قدما في عالم سريع متطور.

صلة الأرحام
واجب لا يقتصر على الأعياد

حسن بن محمد - كاتب تونسي

أولى الإسلام عناية كبيرة لبناء مجتمع إسلامي متماسك وقوي، تسوده روح المحبة والرحمة والتكافل بين كافة أفراده ومكوناته، وذلك من خلال دعوته إلى التمسك بصلة الأرحام، والتي تعتبر من أفضل القربات إلى الله، ومن أعجل الخير والثواب في الدنيا وفي الآخرة، ولقد جاءت العديد من آيات القرآن الكريم تحث على صلة القربى، وتدعو إلى التمسك بها، وتنهى عن قطعها، ومن ذلك ما ورد في سورة الأنفال حيث يقول الله تعالى ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال:٧٥)، وفي سورة النحل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل:٩٠).

كما حذر الله سبحانه وتعالى من العواقب الوخيمة لقطع الأرحام في الدنيا وفي الآخرة، حيث يقول في سورة محمد: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ (محمد:٢٢-٢٣).

ولذلك فإن صلة الرحم هي عنصر بارز في منظومة الأخلاق في الإسلام، وهي تعتبر ضمانة لسلامة المجتمع وتماسكه وقوته، ولها معان عديدة، فهي تشمل القريب في النسب، والجار في السكن، ولقد أمر المسلم أن يكون واصلا لرحمه، محسنا لجاره، لأن تماسك المجتمع وسلامته يكمنان أساسا في الحفاظ على صلة الرحم وحسن الجوار.

وإن من بركات صلة الرحم أن الله سبحانه يوسع لواصل رحمه في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء، حيث قال ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»، وحذرنا نبينا ﷺ من العواقب الوخيمة المترتبة عن قطع صلة الرحم، مهما كانت الأسباب الدافعة إلى ذلك، حيث أكد أن قاطع الرحم لا يدخل الجنة، ولذلك ينبغي على المسلم ألا يقوم باتباع مبدأ المعاملة بالمثل، وألّا يقابل السيئة بالسيئة، فالمعنى الحقيقي لصلة الأرحام أن يصل من قطعه، ولا يقصرها على من يصله فقط، حيث قال ﷺ «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها».

ويبقى الحديث النبوي الشريف «لا يدخل الجنة قاطع رحم» بمثابة الحافز والدافع القوي لجميع المسلمين لتكثيف التواصل الأسري والاجتماعي بين أفراد العائلة والأقارب، في الأيام العادية كما في الأعياد والمناسبات الخاصة، فالتزاور يدخل -عادة- الفرح والسعادة والسرور على القلوب، ويخفف من وطأة الشدائد والمحن.

ولكن اليوم نرى أن عددا كبيرا من المسلمين أصبحوا مقصرين في أداء هذا الواجب العظيم، وأصبح القيام به موسميا، ويكاد يصبح مقتصرا على الأعياد والمناسبات الخاصة، وهذا يعتبر من مظاهر الخلل والتقصير الذي نهى عنه الإسلام، لأن جعل صلة الأرحام مقصورة على الأعياد والمناسبات أمر غير محمود، وسلوك غير أصيل لكل مسلم متمسك بدينه وبسنة نبيه ﷺ، بالرغم من كثرة الأعذار التي يقدمها الناس اليوم، وتعللهم بأننا نعيش في زمن يوصف بعصر السرعة، حيث كثرة مشاغل الحياة وتعقد تفاصيلها، الأمر الذي لا يتيح الوقت الكافي للقيام بواجب صلة الأرحام.

إن صلة الأرحام كانت في الماضي تعتبر أحد الفروض الدينية والاجتماعية المقدسة لدى السلف الصالح، ولكنها اليوم بدأت تشهد فتورا وتراجعا بشكل ملحوظ، خاصة في ظل تسارع نسق الحياة وتعقد تفاصيلها، فاقتصر القيام بها على المناسبات العامة، مثل الأعياد والمناسبات الخاصة، كحفلات الزواج، وباستثناء تلك المناسبات لا توجد صلة رحم حقيقية ومستمرة بشكل دائم، كما كان الأمر سائدا في ماضي المسلمين، حيث كان التواصل حميميا ومتينا بين الأهل والأقارب في جميع الأوقات والمناسبات.

وقد شق الله سبحانه وتعالى لها اسما من أسمائه ووعد بوصل من يصلها، وقطع من يقطعها.

العقيدة.. ودورها في التنمية الاقتصادية

أحمد العبادي
باحث إسلامي

العقيدة هي اللبنة الأساسية التي ينبني على صرحها كل بناء متين، وبقدر صلاحها يصلح كل شيء في المجتمع والعكس بالعكس، فهي القوة المعنوية التي تبعث في الإنسان الحماس ليعمل بجد ونشاط، فالجندي -مثلا- «الذي يحمل أفتك الأسلحة إذا لم يتسلح بروح معنوية قوية مبعثها العقيدة لا تجدي معه الأسلحة الفتاكة شيئا» (١). والكلام عن العقيدة ليس «استهواء خلابا يخدر عقول العامة وضمائر الجماهير بألفاظ ضخمة فقدت دلالتها ومعناها وفاعليتها، أو عبارات فخمة يلوكها مدعو عصرية، من باعة الكلمة وتجار القلم. وليس جذبة شطحات هائمة في تيه السراب، تسقط الأمة في غيبوبة عن الوعي، وتعطل إدراكها لسنن الكون والحياة، وتريحها من مكابدة هموم يقظتها وتكاليف وجودها ومسؤولية أمانتها وتبعات المصير» (٢).

وهذا ما يميز المسلم عن غيره، لأن كل نشاطه يتمحور حول العقيدة، فحركته وسكونه لله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ (الأنعام:١٦٢).

ويعلق سيد قطب -رحمه الله- على ذلك بقوله: «إنه التجرد الكامل لله بكل خالجة في القلب وبكل حركة في الحياة، بالصلاة والاعتكاف وبالمحيا والممات، بالشعائر التعبدية وبالحياة الواقعية، وبالممات وما وراءه، إنها تسبيحة التوحيد المطلق والعبودية الكاملة، تجمع الصلاة والاعتكاف والمحيا والممات وتخلصها لله وحده.. في إسلام كامل لا يستبقي في النفس ولا في الحياة بقية لا يعبدها لله، ولا يحتجز دونه شيئا في الضمير ولا في الواقع» (٣).

إن استحضار هذا البعد يجعل الإنسان المؤمن يجد ويخلص في كل الأعمال التي يباشرها، مما يؤثر على مردوده إيجابا. والمتأمل في مكانة العقيدة في المنظومة الاقتصادية في حياة المسلم يجد أنها تتمحور حول جانبين اثنين:

الأول - ممارسة النشاط الاقتصادي كجزء من العقيدة، فقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ (الجمعة: ١٠)، فالمشي في مناكب الأرض والانتشار فيها ابتغاء رزق الله وعطائه -عوامل إنتاجية- أوامر إلهية يعتبر النكوص عنها تحت أي مبرر من المبررات انحرافا عقديا. وبذلك فالمؤمن مطالب بأن يضع نصب عينيه كلما أقبل على عمل أو كلف بمهمة أنه مسؤول أمام الله قبل أن يكون مسؤولا عنه أمام مرؤوسيه. وهذا الوعي هو الذي يولد في نفس المسلم التفاني في العمل والإخلاص فيه، فينتقل بذلك من مزاولة العمل باعتباره عادة إلى جعله عبادة. بمعنى آخر، إن الواجب العقدي يملي على الإنسان ضرورة الانخراط في العمل التنموي حتى يصبح عنده خيارا لا محيد له عنه، لأن «اعتناق العقيدة الإسلامية يفرض على المسلم الاضطلاع بواجب التنمية الذي استخلف من أجله. كما يفرض على الجماعة الإسلامية وعلى الأمة الإسلامية القيام بهذا الواجب الديني الذي يضمن لها أن تظل كما وصفها الحق سبحانه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠) فكل فرد مسؤول عن جهده في القيام بالواجب» (٤). ويبين النبي ﷺ ارتباط البعد الديني بالدنيوي فيقول: «إن من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الوضوء ولا الحج ولا العمرة. قيل فما يكفرها يا رسول الله؟ قال: الهموم في طلب المعيشة» (٥)، تعبيدا منه عليه السلام للفعل الإنساني المحض.

الثاني - تشبع الممارس للنشاط الاقتصادي بتوجيهات العقيدة؛ ليشع نورها على سلوكه ومعاملاته. والناظر في أحكام المعاملات المالية وآدابها يلمس ذلك جليا، كما في الأمر بالتزام السماحة في البيع والشراء، والنهي عن التدليس والغش.. وهو ما عبر عنه النبي ﷺ في قوله للتجار وهم يتبايعون فناداهم ﷺ «يا معشر التجار» فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال ﷺ: «إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله وبر وصدق» (٦).

وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. قلنا: من هم يا رسول الله فقد خابوا وخسروا؟ فقال: المنان والمسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» (٧).

إن تتبع نصوص الشريعة يبين أنها تربط بين السلوكين العقدي والاقتصادي وفق حالتين اثنتين:

الأولى - الكفر والطغيان مقابل الشدة والعسر، كما في قصة شعيب عليه السلام مع أهل مدين ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا

أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ (هود:٨٤-٨٧).

لنتوقف عند الأمر الإلهي الأول ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، فهو ربط للمخلوقين بالخالق، بعد ذلك حذرهم من سلوك اقتصادي مشين عرفوا به ألا وهو التطفيف في المكاييل والموازين ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾، فكان رد فعل القوم ما عبروا عنه وكلهم دهشة واستنكار ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾، فكانت نتيجة بغيهم وعتوهم ما حكاه الحق عزوجل، فبعد نجاة الثلة المؤمنة، تحقق الوعد الإلهي حيث ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ﴾ (هود:٩٤-٩٥).

ولا تتغير سنة الله ولا تتبدل، ففي قصة أصحاب الجنتين عبرة أخرى نتبين من خلالها ارتباط العقدي بالاقتصادي ﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾﴾ (الكهف:٤٢)، فاغترار هذا الجاهل بما ملّكه الله إياه قاده إلى العصيان والغي، فكانت النتيجة أن «أحاط الهلاك والجوع بثمره، وهي صنوف ثمار جنته التي كان يقول فيها ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾﴾ فأصبح هذا الكافر -صاحب الجنتين- يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وأسفا على ذهاب نفقته التي أنفق في جنتيه» (٨).

إنها النتيجة الطبيعية للأمن من مكر الله والاغترار بالنعمة وعدم شكرها.

الثانية - في مقابل هذا نجد للإيمان أثرا فعالا في الاستزادة من النعم والحفاظ عليها وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾﴾ (نوح:١٠-١٢). وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (الأعراف:٩٦).

ومنه يتضح قصور أي تصور يفصل الجانب العقدي عن عملية التأهيل الاقتصادي.

وبذلك تكون مقولة إن الإيمان شأن خاص يهم العبد بربه ولا صلة له بالشؤون الاقتصادية والسياسية والعسكرية... مجانبة للصواب، لأن من شأن هذا التفكير أن يخلق شرخا بين قناعات المرء وبين سلوكه العملي، هذا إذا تحدثنا بلغة الفرد، أما إذا نظرنا إلى الأمر من زاوية الجماعة، فلنقل إن هذه المقاربة الوثنية هي التي سلخت الأمة عن فطرتها وجعلتها تعيش حالة من التيه والضياع لفترة ليست بالقصيرة.

ونافلة القول إنه يمكننا الجزم بأن تحقيق التنمية المادية لابد أن يقترن بتنمية القيم الروحية، لأن هذه الأخيرة بمنزلة الطاقة التي تمد الروح المعنوية بالقوة، وحيثما اجتمعتا سنكون على يقين من الرعاية والمعية الإلهية وذلك «بالتقاء عطاء الله من السماء والأرض: نماء وبركة، بعطاء الإنسان: طاعة وتقوى، فتكون النتيجة أن يحفظ الله الخيرات على أهل المجتمع» (٩)، ولهذا يجب على الأفراد والجماعات -الدولة- استحضار هذا البعد عند كل تخطيط اقتصادي، صغيرا كان أم كبيرا، لدوره الفاعل في الدفع بالعمل التنموي إلى الأمام، هذا في الدنيا، ثم لتحسين الصلة بالله تعالى وتجديد النية والعزم عند الإقبال على أي عمل كيفما كان نوعه لنحقق المثابتين، وبخلاف ذلك «فإسقاط البعد الغيبي بالمفهوم الإسلامي وتراجع فكرة الثواب والعقاب وعدم تجاوز عالم الشهادة إلى المستقبل الأبعد -عالم الغيب- والتحضير له عن خطط ومخططات التنمية بمفهومها الشامل تحت ضغط المجتمعات المادية أو التفسير المادي للحياة، واعتماد الإنسان الاستهلاكي ومساحة الاستهلاك مقياسا للنمو يؤدي إلى إصابات نفسية وسلوكية واجتماعية تعوق العمل التنموي» (١٠).

الهوامش

١ - العقيدة والقوة معا، محمد السمان، ص١٧٧، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ-١٩٨٤م، دار الجيل، بيروت.

٢ - انظر القرآن وقضايا الإنسان، عائشة عبدالرحمن، ص٤٠٥، الطبعة الأولى، يناير ١٩٧٢م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

٣ - في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٣، ص١٢٤٠-١٢٤١، الطبعة الرابعة والعشرون، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، دار الشروق.

٤ - الطريق إلى المعجزة الاقتصادية وتحول الدول النامية إلى دول متقدمة، أحمد علي دغيم، ص١٣٠، الشركة العربية للنشر والتوزيع.

٥ - كنز العمال رقم ١٦٦٤٠.

٦ - رواه الترمذي، كتاب البيوع، باب: ما جاء في تسمية التجار وتسمية النبي إياهم، رقم ٣٤٤٢.

٧ - رواه الحاكم في المستدرك، كتاب: الأشربة، ج٤، ص١٤٧.

٨ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ج١٥، ص٢٥٠، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، دار الفكر، بيروت.

٩- التنمية من منظور إسلامي، زكريا القضاة، ج٢، ص٧٢٨، منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان، الأردن ١٩٩٤.

١٠ - التنمية الاقتصادية في المنهج الإسلامي، سلسلة كتاب الأمة، ع١٧، ص١٢، مقدمة محمد عبيد حسنة.

المخطوطات القرآنية النادرة في المكتبات المغربية

ياسين محمد كتاني
باحث دراسات إسلامية

بعد أن تحدثنا عن خزائن الكتب المغربية وتقسيم محتوياتها - في مقال سابق - إلى فهارس ومجاميع وكناشات ها نحن نشرع اليوم في تسليط الضوء على درر من محتوياتها، ونخصص هذا المقال للمخطوطات النادرة والفريدة، وعلى رأسها المخطوطات القرآنية؛ حيث كان جمع القرآن وكتابته من أكثر اهتمامات المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وقد شاع استعمال «جمع القرآن» للدلالة على الكتابة والتدوين، وترتيب الآيات والسور في مصحف واحد.

ومن الطبيعي أن تكون عناية المغرب بالمصحف الشريف من أهم أسباب استقرار الإسلام بهذه البلاد، وقد كان في دعاء الإمام الفاتح، إدريس الثاني، بعد بناء مدينة فاس: «اللهم إنك تعلم أني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة، ولا سمعة ولا مكابرة، وإنما أردت أن تعبد فيها، ويتلى كتابك، وتقام فيها حدودك، وشرائع دينك، وسنة نبيك ﷺ ما بقيت الدنيا...».

ومدينة فاس هي مدينة مغربية شيدت سنة (١٩٢هـ - ٨٠٨م)، على يد الأمير إدريس الثاني ابن أمير المؤمنين إدريس الأول ابن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى ابن أمير المؤمنين الحسن ابن أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وتظهر عناية أهل المغرب بالمصاحف في كون النُسّاخ الكبار قد رسموا النسخ القرآنية وأكثروا منها، كما فعل ذلك الخلفاء أنفسهم في بعض الأحيان، فقد رسم العاهل الموحدي عمر المرتضى مصحفا من عشرة أجزاء، وأوقفه في أحد مساجد مراكش. وعمر المرتضى هو عمر بن أبي إبراهيم إسحاق بن يوسف بن عبدالمؤمن. اقتصر حكمه على مراكش من سنة ١٢٤٨م إلى وفاته سنة ١٢٦٦م، وهو آخر من اهتم بالخزانة الموحدية، التي صارت من بعد الموحدين إلى دولة المرينيين. ولا تزال حاليا بعض المؤلفات في خزانة القرويين برسم خزانة الخليفة عمر المرتضى، منها مخطوطتان تحت رقم (٢٩١-٢٩٦).

كما خصصت خزائن خاصة بالمصاحف، وأول من قام بهذا المشروع هو الخليفة المريني أبو عنان (ت ١٣٥٨م)، حيث أمر-بعد الانتهاء من بناء خزانة كبيرة للقرويين سنة ١٣٤٩م- ببناء خزانة كتب صغيرة تضم -فقط- نسخ القرآن الكريم.

ومن أنفس نسخ القرآن الكريم التي عثر عليها في المغرب وأندرها هي:

مصحف عثمان رضي الله عنه

بعد أن جمع عثمان رضي الله عنه القرآن الكريم في مصاحف ووزعها على الأمصار لتكون بمنزلة المرجع في قراءة القرآن وكتابته، عُثر على نسخة من هذه المصاحف في قرطبة في إسبانيا، وهي النسخة التي أرسلها عثمان رضي الله عنه إلى البصرة أو الكوفة. وحين فتحت قرطبة وصارت تابعة للمغرب، قام العاهل الموحدي عبدالمؤمن سنة ١١٥٨م، بنقل هذه النسخة من المصحف إلى مراكش، عاصمة الدولة في ذاك الوقت. وقد ذكر ابن خلدون رحلة هذا المصحف إلى أن استقر في خزائن بني مرين، حيث قال: «... وإنه كان في خزائن قرطبة عند ولد عبدالرحمن الداخل، ثم صار في ذخائر لمتونة فيما صار إليه من ذخائر ملوك الطوائف بالأندلس، ثم إلى خزائن الموحدين من خزائن لمتونة، وهو لهذا العهد في خزائن بني مرين».

ولتاريخ هذا المصحف وارتباطه بعصر الصحابة كانت له مكانة رفيعة، خصوصا عند الموحدين، فقد كانوا يحملونه بين أيديهم أينما ذهبوا على ناقة حمراء محلاة بأنفس الثياب والديباج الفاخر، ويضعون تحته بردعة من الديباج الأخضر يجعلونه عليها، إلى أن غاب هذا المصحف عن الأنظار، ولم نعد نسمع به منذ بداية القرن الرابع عشر.

مصحف محمد بن عبدالله ابن تومرت

يأتي هذا المصحف في المرتبة الثانية، بعد مصحف عثمان رضي الله عنه، من حيث المكانة، فقد جاء في كتاب «المعجب» للمراكشي، بعد أن ذكر مكانة مصحف عثمان: «... وخلف الناقة -التي كان يحمل عليها مصحف عثمان رضي الله عنه- بغل محلى أيضا، عليه مصحف آخر يقال إنه بخط ابن تومرت، دون مصحف عثمان في الجرم، محلى بفضة مموهة بالذهب». وتوجد أجزاء منه في دار الآثار بمدرسة الأوداية بالرباط، وأجزاء أخرى بخزانة كلية ابن يوسف بمدينة مراكش.

مصحف عقبة بن نافع

وهو مصحف كبير محلى بالذهب والياقوت، كتبه له أحد معاونيه بالقيروان الأولى، وهو أول مصحف معروف في المغرب. ظل محفوظا في المكتبة الملكية إلى أن أرسله الملك العلوي مولاي عبدالله إلى المدينة النبوية ووقفه هناك مع مجموعة من نفائس الكتب. وفي هذا يقول الزياني في «البستان» في سياق حوادث عام ١١٥٥هـ: «ولما سافر الركب النبوي وجه معه السلطان المولى عبدالله ثلاثة وعشرين مصحفا - بين كبير وصغير- كلها محلاة بالذهب، منبتة بالدر والياقوت، ومن جملتها «المصحف الكبير العقباني»، الذي كان الملوك يتوارثونه بعد المصحف العثماني، وهو مصحف عقبة بن نافع الفهري، نسخه في القيروان من المصحف العثماني، فوقع هذا المصحف بيد الأشراف الزيانيين يتداولونه بينهم، إلى أن بلغ إلى السلطان المولى عبدالله المذكور، فغربه من المغرب إلى المشرق، ورجع الدر إلى صدفه، والإبريز إلى معدنه». وقد غاب هذا المصحف أيضا عن الأنظار وصار في عداد النوادر المفقودة.

وما زالت الخزانات المغربية تحتفظ بمصاحف قديمة ونادرة، مثل المصحف المحفوظ في الخزانة الملكية تحت رقم ١٣٣٠، مكتوب على رق الغزال في سنة ٥٧٣هـ، ومصحف يعتقد أنه يعود إلى القرون الأولى من الهجرة، مكتوب على الرق من دون سنة النسخ.

وفي المكتبة العامة بالرباط توجد نسخة مذهبة مكتوبة على رق الغزال لجزء من القرآن، للخليفة أبي زيان في تلمسان (ت ٦٣٣ هـ)، محفوظة تحت رقم (ز٣٥٩٢).

كما أن هناك عددا كبيرا من

المصاحف النادرة تم نقلها إلى المكتبات الأجنبية، نذكر منها:

١ - المصحف الذهبي المرسوم بمداد العنبر: كان في خزانة العاهل السعدي أحمد المنصور (ت١٠١٢هـ)، وانتهى به الأمر إلى خزانة الأسكوريال في إسبانيا.

٢ - المصحف المرسوم بماء الذهب: كان في خزانة الأمير علي، حفيد الملك العلوي مولاي إسماعيل، وهو محفوظ اليوم في دار الكتب في القاهرة.

٣ - مصحف آخر مرسوم بماء الذهب: كان في خزانة الخليفة عبدالله الغالب، وهو محفوظ اليوم في المتحف البريطاني في لندن.

المؤلفات الفريدة

تعد المخطوطات الفريدة أحد الكنوز الهائلة التي تحتوي عليها المكتبات المغربية، نذكر منها:

١ - مخطوط في علم الأنساب: كتاب عنوانه «حذف من نسب قريش»، ويعد أقدم مخطوط عربي في العالم، عثر عليه في خزانة كتب زاوية تمكروت -إحدى أغنى الخزانات المغربية- لمؤلفه مؤرج بن عمرو السدوسي (ت١٩٥هـ). وقد تم نقل هذا المخطوط إلى الخزانة العامة بالرباط سنة ١٩٥٨م، بأمر من ملك المغرب محمد الخامس (ت١٩٦١م).

٢ - مخطوط للجاحظ: كتاب عنوانه «البرصان والعميان والحولان والعرجان»، فُقِد هذا المخطوط لفترة طويلة حتى عثر عليه العلامة عبدالحي الكتاني (ت ١٩٦٣م) في مكتبة مسجد مدينة «بزو» -مدينة صغيرة في وسط المغرب- وهو محفوظ في خزانة القرويين في فاس.

٣ - سيرة ابن إسحاق (ت١٥١هـ - ٧٦٨م): مخطوط في أربعة مجلدات، مكتوب سنة ٢٧٠هـ، عثر عليه الحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ)، في قاعة قديمة مغبرة في خزانة القرويين.

٤ - مخطوط: عنوانه «الحوض» المشهور بـ«أوزال»، للعالم المغربي الحوزلي السوسي (ت١١٦٢هـ)، وهو ترجمة لـ«مختصر خليل» باللغة البربرية (الأمازيغية) -لغة أهل الجنوب المغربي- وهو محفوظ في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ٦٠١٤.

المخطوطات الملكية

وهي المخطوطات التي كتبها الملوك بأيديهم أو بإشارة منهم.

أولا - المخطوطات التي كتبها الملوك بأيديهم، منها:

١- مخطوط أمير المؤمنين ابن تومرت -صاحب المصحف النادر-: وهو أحد كنوز القرويين، كتاب في الحديث الشريف، يسمى «محاذي الموطأ»، محفوظ تحت رقم ١٨١، علما بأن أسماء المترجمين في المخطوط مكتوبة بماء الذهب على رق غزال مذهب.

٢- مخطوط السلطان العلوي مولاي إسماعيل (ت ١١٣٩هـ)، عنوانه «مجموعة أحاديث نبوية، وأسرار جلية، وأمثال عربية»، وهو محفوظ في الخزانة الملكية تحت رقم ز١٩٨٢.

ثانيا - المخطوطات التي كتبت بإشارة من الملوك، منها:

١- ديوان في نسب الأشراف: كتاب ألفه العالمان إدريس بن عبدالوهاب العلمي وأحمد بن عمر العلمي، بإشارة من الملك مولاي سليمان (ت١٨٢٢م)، بهدف تمييز أحفاد الرسول ﷺ عن غيرهم من المنتسبين المدعين.

٢- إدراك الأماني من كتاب الأغاني: وهو صياغة جديدة لكتاب الأغاني للأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، وهو عمل عبدالقادر المدعو السلاوي بن عبدالرحمن الأندلسي ثم الفاسي، بتوجيه السلطان محمد بن عبدالله (ت ١٢٠٤هـ). والكتاب لا يزال مخطوطا في خمسة وعشرين جزءا، رقمه في الخزانة الملكية ٢٧٠٦.

المخطوطات الخزائنية

وهي المخطوطات التي كتبت بخط جميل مميز، بعناوين ملونة وأحرف كبيرة، ومجلدة بغلاف جميل، وقد تكون محلاة بالفضة في بعض الأحيان.

وقد تميزت بغلاء ثمنها، فكان المولعون بالكتب ينفقون مبالغ باهظة في سبيل الحصول عليها واقتنائها. والمكتبات المغربية غنية بهذه المخطوطات التي نذكر منها:

١- الجوهر الثمين في نخب سير الأمين: ألفه عبدالنبي بن جماعة، وهو مخطوط مكتوب بماء الذهب بخط مشرقي جميل، موضوع داخل صندوق مغشى بنسيج من الحرير. وهو محفوظ في الخزانة الملكية برقم ١١٦٩.

٢- شرح لامية الأفعال: ألفه العلامة أبو عبدالله محمد بن عبدالسلام الفاسي (ت١٢١٤هـ)، وكان أستاذ السلطان العلوي مولاي سليمان (ت١٨٢٣م)، مخطوط مكتوب بخط مغربي جميل، مزخرف العناوين، مغطى بغلاف ذهبي، محفوظ في الخزانة الملكية برقم ١٢٧٦.

وفي الختام، مهما تكلم الباحث في محتويات هذه الخزائن فلن يوفيها حقها؛ لما تحتويه من كنوز تعد بحق تاريخا تراثيا لا يمكن فصله عن أصل هذه الأمة العريقة، وإني إذ عرضت لبعض هذه النفائس فإني تركت ذكر الكثير منها لأحيل القارئ الكريم إلى المراجع التي ذكرتها بتفاصيلها، لتثبت لنا قيمة العلم والثقافة في أمتنا الإسلامية (أمة اقرأ).

المصدر: ٠كتاب «تاريخ خزائن الكتب بالمغرب» للدكتور أحمد شوقي بن بين، ترجمة الدكتور مصطفى طوبي. وإن أغلب ما ورد في هذا العرض المتواضع استقيته منه، بتصرف يسير.

العطاء في القرآن

د. محمد سعيد باه
مفكر سنغالي

سنـدير مناقشتنا للموضوع في ظلال قوله، جل شأنه، حيث يلخص لنا الرؤية المنهجية التي يجب أن تحكم فهم الإنسان المسلم ومسلكه، حين يتعلق الأمر بدوره في إسناد من هم في مسيس الحاجة إلى من يعينهم على تجاوز بعض لحظات القصور التي تنتاب كل إنسان: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ (المؤمنون:٦١).

ثم، من المسلمات أن جل ما يتلقاه الإنسان المسلم من شحنات تربوية مرقية لذاته أو مهذبة لروحه، إنما يبدأ ويندرج في إطار السعي إلى تخليصه من معوقات نفسية تجعله يعيش في حالة انكفاء يوصف من يصاب به، وفق التعبير القرآني، بـأنـه ممـن ﴿أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٤) (١). فهذا الصنف ممن ينتمون إلى الإسلام لم يستوعبوا جوهر رسالة الإسلام التي تقوم على ركائز، منها أن من يعيش لنفسه يعتبر عنصرا سلبيا لا يفي بالتزاماته تجاه الجماعة الحاضنة، التي يفرض عليه التزامه العقدي بأن يدخل معها في شراكة واسعة.

ومع نصاعة هذه الحقيقة وتضافر الأدلـة المؤكدة لها، ظللنا، نحن المسلمين، طيلة السني الأخيرة نكثر من الجؤار من أن الآخر يستغل ثغرات العوز في صفوفنا، كي يتسلل إلى قلب الحصن، حاملا بذور الفتنة ليضعها وفسيلة الضلال ليزرعها هناك، أو ما أسميه بالامتداد في فراغ قائم ثمة، لكن السؤال الذي كان يطرح أقل من ذلك يتمثل في: ما الذي أوجد هذه الثغرة في جدارنا، أو ما الذي جعلنا قابلين للاختراق عبر هذه الثلمة بالذات ونحن نملك كل هذه الأرصدة من المحفزات على العطاء الثر وبأزهى صوره؟!

بعد طول تأمل في هذا الشق من أزمتنا الحضارية، وبالأخص في ما يتعلق بالعلاقة مع الغير المسيطر ونحن نحمل له متاعه الذي اختلسه من ديارنا، أو عندما نشتبك في صراع محتدم مع هذا الغير وقد بلغ التدافع أوجه، وجدت أن التوقف عن العطاء، بمعناه الشامل الأصيل، شكل ثلمة كبيرة ومتزايدة الحجم، مع أن النص الذي نتعبد الله به يجعل العطاء مرتكزا لا يحسن تديننا إلا باكتماله حتى إذا تخلف اعتبر ذلك منقصة وأي منقصة مع إدراج من نجا من التقصير ممن حقق شرط الانخراط في سلك الفالحين:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ (الحشر:٩).

من اللطيف واللافت هنا أن نسجل أن هذا المقطع الذي نستهدفه في الآية قد تكرر وروده في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ

﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (التغابن:١٦)، كما نلحظ أهمية السياق الذي جاء فيه هذان التوجيهان التربويان في مجال تنمية حس العطاء على المستويين الفردي والجماعي، وذلك في السورتين:

ففي سورة الحشر (٢) ورد التوجيه إثر ثلاث آيات تعالج قضايا الدفع إلى اقتسام ما يتوافر لدينا مع الآخر المحتاج، العمل الذي وصف في سورة البلد بأنه فعل من نوع خاص، ما برر اختيار مصطلح خاص للتعبير عمن ينجح في ذلك بأنه قد (اقتحم العقبة) فإذا قلبنا الصفحات في التغابن نجد التوجيه يندرج ضمن حشد من التعاليم العالية تتجمع لتشكل منظومة في مجال الحث على البذل والعطاء لمنفعة الآخر مع توظيف صيغة الأمر دون وجود قرينة صارفة له عن الوجوب، ولحق ذلك ترتيب ثواب دافع للتطلع إلى ما عند الله من مدخل إقراض الله الكريم المنان وانتظار المثوبة المضاعفة:

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ (التغابن:١٧).

حين نستشعر بعمق وبجدية ما تتضمنه هذه التعاليم الربانية من معان جميلة ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ (الذاريات:١٩)، وأن ما لدينا من طاقة وقدرات وإمكانات مجرد عارية قد تسلب منا في أية لحظة مع تحمل تبعة الحساب على ذلك ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ (الحديد:٧)، فإن قناعة مختلفة ستنشأ في أعماق وعينا، ويظهر لذلك أثر ندي في المجتمع من حولنا، وهنا نستحق التزكية العالية التي رصدت لطائفة خاصة ممن يدعون تحقيق مطالب هذه الحقيقة:

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ (المؤمنون:٦٠).

أما إذا بحثنا عن صورة تطبيقية للنهج الذي اختطه الإسلام لجعل المجتمع الإيماني قادرا على تحقيق مطلب إحداث «حالة الاستنفار» لفعل الخير بدافع ذاتي تم تجريده من كل الحسابات التي اعتاد الناس أن يراعوها وهم يمدون يد العون لغيرهم، فقد لا نجد أروع من اللفتة التي قام بها الكليم وهو غريب طريد لكنه لم يتعلل بهذا كله، ها هو المشهد يرتسم أمامنا بكل تفاصيله:

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ (القصص:٢٣ و٢٤).

ومن أروع ما اختطه المنهج الإسلامي أنه لن يترك أحدا من أفراد المجتمع الإيماني يتسلل من دائرة العطاء، أو يعفيه من فريضة بسط كف العطاء لمن يساكنه أو يلتقيه، وذلك للحيلولة دون انشطار هذا المجتمع إلى فريقين: أحدهما يبسط كف العطاء بعد كل موسم حصاد، والآخر يحترف مد يد التسول مطأطئ الرأس. لاستجلاء هذا البعد فلنتابع هذا الحوار الشيق:

– عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ﷺ، ماذا ينجي العبد من النار؟

– قال: الإيمان بالله.

– قلت: يا رسول الله، إن مع الإيمان عملا؟

– قال: يرضخ مما رزقه الله.

– قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان فقيرا لا يجد ما يرضخ به؟

– قال: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

– قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان عييا لا يستطيع أن يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر؟

– قال: يصنع لأخرق.

– قلت: أرأيت إن كان أخرق لا يستطيع أن يصنع شيئا؟

– قال: يعين مغلوبا.

– قلت: إن كان ضعيفا لا يستطيع أن يعين مغلوبا؟

– قال: ما تريد أن تترك في صاحبك من خير؟! يمسك عن أذى الناس.

– فقلت: يا رسول الله، إذا فعل ذلك دخل الجنة؟

– قال: ما من مسلم يفعل خصلة من هؤلاء إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة.

إن هذا النص النبوي، الذي أعود إلى قراءته بين فينة وأخرى في محاولة لاستجلاء بعض دروسه وفتق بعض مكنونه، يكاد يكون، لو فهمناه في مضامينه الجلية واستنطقناه في مراميه الخفية، دستورا متكاملا لفعل الخيرات والتسابق في ميادينها، واختراع أروع البرامج واستحداث أطرف الوسائل لتفعيل الشعار الرائع الذي كان الخليفة الحصيف دائم الترديد له: «انثروا القمح على رؤوس الجبال لكيلا يقال: جاع طير في بلاد المسلمين»!

هلا رفعنا الشعار القرآني الذي يمزج مصادر الكمالات: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ (الأنبياء:٧٣).

الهوامش

١ – هم الذين يقرعهم القرآن بطرائق شتى تناهت في التبكيت، منها ما جاء على هذا النحو: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (آل عمران:١٨٠).

٢ – تتميز هذه السورة، من بين أشياء أخر، بأنها التي أرست قاعدة ذهبية في حسن التعاطي مع الثروات للحيلولة دون تكدس رؤوس الأموال والثروات في أيدي حفنة ممن نخر فيهم داء الجشع من خلال قوله تعالى ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ (الحشر:٧)، وللتوسع يمكن الرجوع إلى مقالنا المنشور في مجلة الاقتصاد الإسلامي بعنوان: «دور القيم في بناء منظومة اقتصادية صالحة لإسعاد البشرية».

إعداد : د. محمود محمد الكبش
الباحث بوحدة البحث العلمي
(إدارة الإفتاء)

خطأ المفتي- أثره وضمانه- (٢/١)

اتفق السلف ومن بعدهم من علماء الأمة على خطورة مقام المفتي وأهميته، وقد صور الإمام الشاطبي -رحمه الله- مكانة المفتي أدق تصوير بقوله: «المفتي هو القائم في الأمة مقام النبي ﷺ». (الموافقات ٥/٢٣٥).

ولذا؛ كان خطأ المفتي في فتواه ليس بالأمر الهين، بل كلما كان تعلقها عاما وموضوعها دقيقا؛ كان أثر الخطأ فيها عظيما!

ولا أبلغ في بيان مكانة المفتين في هذه الأمة من أن رب العالمين؛ أوجب على عموم المؤمنين طاعتهم بنص كتابه العزيز؛ قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ (النساء:٥٩).

فالمفتي -كما بينته الآية- موقع عن رب العالمين! وطبيعة عمله أنه يقول على الله ويخبر عنه، ثم يكون تشريعا بعد ذلك، فيتعبد المكلف به ربه تعالى، فإذا صدرت الفتوى من أهلها المعتبرين بشروطها المعتبرة كانت أقرب إلى الحق، بإذن الله؛ دالة على الخير والرشاد، وإذا كانت خلاف ذلك: ضل صاحبها وأضل!

قال ابن القيم: «فخطر المفتي عظيم، فإنه موقع عن الله ورسوله، زاعم أن الله أمر بكذا، وحرم كذا، أو أوجب كذا!». (إعلام الموقعين ٤/١٨٩).

إلا أن البشر مجبولون على الخطأ؛ لأن العصمة ليست لأحد في التشريع سوى رسول الله ﷺ، فإن أخطأ المفتي وكان من أهل العلم والاجتهاد والديانة؛ فإن خطأه مغفور، وله أجر عليه، كما ثبت بذلك الحديث. وأما إن كان من غير أهل العلم والفقه والديانة والتحري؛ فإن عليه وزر خطئه، ولا

عقوبة الاتهام بالباطل

(رقم الفتوى ٥٤٤٩)

عرض على «لجنة الفتوى» في دولة الكويت الاستفتاء التالي:

ما حكم الشرع في شخص افترى على زميل له في العمل بأمور غير صحيحة، وفيها طعن في ذمة زميله المالية، واتهامه بالرشوة والانتفاع غير المشروع من جهة العمل؟ وما الذي يجب على رب العمل فعله في مثل هذه الحالة؟

أجابت اللجنة بما يلي:

الاتهام بالباطل محرم شرعا، وفاعله آثم ويستحق عقوبة تعزيرية تتناسب مع ما اقترفه من جرم، إلا إذا سامحه المتهم.

وأما صاحب العمل، فعليه أن يتحقق من كل ما أثير من اتهامات، كالاتهام بالرشوة، أو الانتفاع غير المشروع، وأن يتخذ ما يراه محققا لمصلحة العمل نحو كل منهما في ضوء ما ينتهي إليه التحقيق في ضوء اللوائح والقوانين المطبقة. والله أعلم.

الحيوانات السائبة

(رقم الفتوى ٥٢٥)

عرض على «لجنة الفتوى» في دولة الكويت الاستفتاء التالي:

هل يجوز للبلدية الاستيلاء على الحيوانات السائبة في الشوارع؟ وهل يجوز بيع هذه الحيوانات في المزاد؟ وهل يجوز لنا شراء هذه الحيوانات السائبة التي استولت عليها البلدية؟

أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كان صاحبها معروفا فلا يجوز بيعها إلا برضاه، وترد إليه، وتحصل منه الغرامة. أما إذا لم يعلم صاحبها فتجري عليها أحكام اللقطة، فمن تعرف عليها ردت إليه بعد تحصيل ما أنفق عليها. أما إذا لم يعرف صاحبها فتبقى مدة إلى أن يغلب على الظن أنه لن يطلبها أحد، ثم تباع ويحفظ ثمنها إلى فترة يغلب معها الظن ألا يطلبها أحد، ثم تنفق هذه الأموال بعد ذلك في المصالح العامة، والله أعلم.

عقوبة شاهد الزور

(رقم الفتوى ٥٤٥٠)

عرض على «لجنة الفتوى» في دولة الكويت الاستفتاء التالي:

هل هناك تعريف لشهادة الزور؟ وما هي عقوبة شاهد الزور؟

أجابت اللجنة بما يلي:

شهادة الزور: هي الشهادة على إنسان معين بأنه قال قولا أو فعل فعلا، وكانت هذه الشهادة كاذبة ومخالفة للواقع. وهذه الشهادة من أكبر الكبائر؛ لما رواه عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: «قال النبي ﷺ: «أكبر الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وشهادة الزور - ثلاثا - أو قول الزور». فما زال

يعذر فيه، بل يأثم عليه.

● خطأ المفتي وما يترتب عليه:

إن خطأ المفتي في فتواه، ليس بالأمر الهين، وكلما كان تعلقها عاما وموضوعها دقيقا؛ كان أثر الخطأ عظيما!

ومما يترتب على هذا الخطأ أمور؛ منها:

١ - تأثيم المفتي إذا لم يكن من أهل الاجتهاد، أو أفتى فيما لا يحسنه من أبواب العلم، أو قصر في البحث وتلمس الحق، أو أفتى اتباعا للهوى أو ابتغاء عرض من الدنيا.

لذلك كان الصحابة رضي الله عنهم وتبعهم سلف الأمة؛ من أهل القرون المفضلة، كانوا يقدرون هذا الأمر حق قدره، وهذا ما يفسر تجنبهم وتدافعهم الفتوى قدر الإمكان.

قال الحافظ ابن عبدالبر، رحمه الله: «والذي أقول به: إن المجتهد المخطئ لا يأثم إذا قصد الحق، وكان ممن له الاجتهاد، وأرجو أن يكون له في قصده الصواب، وأراد به، له أجر واحد إذا صحت نيته في ذلك». (جامع بيان العلم ١٤٩/٢).

وينبني على هذا: أن من أفتى ولم يكن من أهل الفتوى فهو آثم عاص، ومن ولاه ذلك، وأقره؛ فهو آثم كذلك.

وقد حمى الله سبحانه جناب الفتوى، ورفع من شأنها، فنص كتاب الله على تحريم القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (الأعراف:٣٣).

بل قال ابن الجوزي رحمه الله: «ويلزم ولي الأمر منعهم كما فعل بنو أمية، وهؤلاء بمنزلة من يدل الركب، وليس له علم بالطريق، وبمنزلة الأعمى الذي يرشد الناس إلى القبلة، وبمنزلة من لا معرفة له بالطب وهو يطب الناس، بل هو أسوأ حالا من هؤلاء كلهم، وإذا تعين على ولي الأمر منع من لم يحسن التطبب من مداواة المرضى، فكيف بمن لم يعرف الكتاب والسنة، ولم يتفقه في الدين».

٢ - أن الفتوى غير الصحيحة ينسحب أثرها على تصرفات المكلفين، أو معتقداتهم، وتصوراتهم، وهذا له تعلق بمسألة «ضمان المفتي»؛ أي: من أفتى شخصا، فانبنى على فتواه إتلاف مال، أو تفويت مصلحة؛ فما عليه؟

وهو ما سنتحدث عنه في العدد القابل بإذن الله.

يكررها حتى قلنا ليته سكت» (رواه البخاري).

وعقوبة شاهد الزور التعزير من قبل القاضي بما يراه مناسبا لجريمته. والله أعلم.

هل يجوز إضراب السجناء عن الطعام

(رقم الفتوى ٦٨١٨)

عرض على «لجنة الفتوى» في دولة الكويت الاستفتاء التالي: هل يجوز من الناحية الشرعية للسجناء القيام بالإضراب عن الطعام لتحقيق أهدافهم؟

أجابت اللجنة بما يلي:

لقد أمرنا الله تعالى بالحفاظ على حياتنا وعدم تعريضها للهلاك، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة:١٩٥)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء:٢٩).

وقد حرم الشرع أن يقتل الإنسان نفسه، قال ﷺ: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا» (رواه الشيخان).

وقد نهى رسول ﷺ أصحابه الذين عزموا على الصيام أبدا والقيام أبدا وعدم تزوج النساء فقال: «لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (أخرجه البخاري في كتاب النكاح).

هذه هي نظرة الإسلام للحفاظ على النفس البشرية.

فإذا تعرض هؤلاء لظلم عجزت أمامه كل السبل لرفعه؛ فالتعبير عن عدم الرضا بما هم فيه من ظلم وقهر وعدم اعتداد بحقوق الإنسان التي كفلتها له جميع الشرائع السماوية والوضعية بالإضراب عن الطعام ليصل صوته إلى جميع العالم، إذا كان هذا الإضراب لفترة لا تؤدي إلى إتلاف النفس ولا تعرضها للهلاك، فلا مانع منه إذا كان هذا هو الوسيلة الوحيدة والناجعة لرفع صوتهم إلى العالم، وطلب نجدتهم والأخذ على يد الظالم، وقهر جبروته وطغيانه، بإعطاء هؤلاء حقوقهم المسلوبة.

أما إذا وصل هذا الإضراب إلى حد إزهاق الروح أو الإضرار بجزء من البدن فهذا لا يجوز شرعا، ويجب حينئذ على المضرب عن الطعام أن يرجع عن إضرابه، إلى أن يأتي الله بالفرج والنصر. والله أعلم.

إعداد: علاء عبدالفتاح

وما يعقلها إلا العالمون

ضرب المثل دائما سبب لهداية أقوام وضلال آخرين، إذ يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ (البقرة:٢٦)، فهو سبب لهداية إنسان عاقل فهم الحكمة منه، وضلال غافل قصر عن إدراك مراميه وغاياته، فإن للأمثال حكمة يدركها أناس دون آخرين، وما يدركها إلا العالمون بالله تعالى. وقد حكى الإمام ابن كثير عن بعض السلف قول أحدهم: إذا سمعت المثل في القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي، لأن الله قال ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (العنكبوت:٤٣).

ومع ذلك فقد أخبر القرآن الكريم، أن الله، عزوجل، قد صرف للناس القول من أسلوب إلى أسلوب، فما زاد أكثرهم إلا نفورا وبعدا عن الحق، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ (الإسراء:٨٩)، أي: ضرب الله للناس الأمثال من كل نوع بما فيها من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد، فأبى أكثرهم إلا عنادا وكفرا وجحودا.

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ (الكهف:٥٤)، غير أن الإنسان كما تشرحه هذه الآية؛ برغم تنوع أساليب ضرب المثل التي تحمله على معرفة الحق، والاتعاظ به، وسبيل الوصول إليه، كان أكثر معارضة وجدالا ومخاصمة.. ولقد ربط القرآن الكريم بين ضرب المثل و نعمة العقل حين نعلم ونعي قدرة المثل على التأثير العقلي في الإنسان، وتوجيهه إلى الامتثال، ومدى تأثيره في النفس، وقيامه مقام الدليل في الإقناع، ودلالة على ارتباط ضرب المثل بالوظائف العقلية قال الله تعالى ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ (العنكبوت:٤٣).

● د. محمد أحمد الدش

الإخلاص.. بوابة الخلاص

لا يتخوف المرء المسلم من فقد شيء أكثر من فقدانه الإخلاص، وقد كان من الناس من يبدي الولاء الشديد للدين، ويجتهد أيما اجتهاد في قتال المشركين، فما يمنعه ذلك أن يعد من أصحاب السعير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر، فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: «هذا من أهل النار». فلما حضر القتال؛ قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة. فقيل: يا رسول الله، الذي قلت إنه من أهل النار؛ فإنه قد قاتل اليوم قتالا شديدا، وقد مات. فقال النبي ﷺ: «إلى النار». قال: فكاد بعض الناس أن يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل إنه لم يمت ولكنَّ به جراحا شديدا، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال: «الله أكبر، أشهد أني عبدالله ورسوله». ثم أمر بلالا فنادى بالناس: «إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر».

إن صلاح العمل والكينونة مع جماعة من الصادقين لا يغنيان عن المرء شيئا إلا أن يقترنا بصدق طلب القرب من الله عزوجل، وإخلاص الوجهة له، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ (الكهف:١١٠)، عمل صالح وإخلاص لله عزوجل، إيمان واستقامة.

● خالد العسري

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي تساهم في نشر الوعي وتثقيف الناس على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

aelbarbary@live.com

تنويه

ورد في عدد شهر شعبان ١٤٣٥هـ خطأ مطبعي في اسم كاتب موضوع «قبة الصخرة» حيث نشر اسم الكاتب: الحسن محمد والصحيح حسن بن محمد، لذا وجب التنويه.

المنظومة التربوية والتعليمية أساس نهضة الأمة

حتى تنجح المنظومة التربوية لابد أن تسطر من طرف خبراء وأخصائيين نفسانيين واجتماعيين ومتمرسين في علوم التربية، يدركون طبيعة التركيبة النفسية للطفل، وكذا الظروف الاجتماعية السائدة في الدولة، ولعل أهم السنوات التي يجب التركيز فيها على الجانب التربوي في المنظومة التعليمية هي السنوات الأولى التي يتلقى فيها الطفل تعليمه الأساسي، حيث إنه في هذه المرحلة يكون على استعداد لتلقي الأوامر والنواهي، وكذلك يعتبر ذهنه أرضية خصبة لزرع القيم الاجتماعية والدينية والأخلاقية، كما يجب أن تكون هذه المنظومة مسطرة وفقا لهوية الأمة، ولا يسمح إطلاقا باستيرادها وإسقاطها على المجتمع، فمهما تشابهت طبائع المجتمعات فإن هوياتها تختلف باختلاف قيمها وعاداتها وتقاليدها، فلكل أمة هويتها الخاصة، ولكل مجتمع قيمه وثقافته الخاصة كذلك.

كما أن المناهج التعليمية لابد أن تتماشى مع تطور ونمو الطفل، فيجب أن تكون مدروسة بطريقة علمية وحديثة.

● هواري عبدالقادر

كتاب الأغاني والتاريخ

يعتبر كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني موسوعة متكاملة وكتابا أدبيا ضخما ثريا وممتعا، يحتل مكانة مهمة في تاريخنا الأدبي وتراثنا الشعري.

والأصفهاني أديب كبير من أدباء اللغة العربية، لا يختلف عن كبار الأدباء في شيء، فقد كان موسوعي المعرفة ذا اطلاع واسع على العلوم المتداولة في العصر العباسي، من علوم نقلية أو عقلية، وكذلك على الفنون من أدب وشعر، وإن كان محل نقد في رواية الحديث.

لم يكتف أبوالفرج بما أخذه عن بعض أفراد عائلته من علوم وثقافات، إنما تتلمذ في الكوفة ثم في بغداد على طائفة كبيرة من علماء عصره، عرف عن أبي الفرج الأصفهاني إلمامه بأشتات من العلوم والمعارف، واتساع دراسته بالتاريخ العربي وحفظه لكثير من منثور الأدب ونظمه، ومعرفته بما يدور في المجتمع حوله.

وقد كان الهدف من الكتاب هو التسلية وتقديم صورة من صور المجتمع العربي في العصر العباسي، وبهذه الصفة، أي الكتاب الأدبي المسلي والممتع، أخذ الكتاب مكانته في عصره، وعلى ضوء هذا الفهم قرئ ونسخ وتداوله الناس، وما كان كتاب الأغاني هو الأدب العربي كله، وإنما جزء يسير من الأدب العربي الثري والواسع والمتنوع بكتابه وشعرائه واتجاهاته وميوله ومذاهبه ونصوصه.

● عبدالقادر رالة

إعداد: تركي النصر

المزاح

قال الزبيدي شارح القاموس: المزاح: المباسطة إلى الغير على جهة التلطف والاستعطاف دون أذية، حتى يخرج الاستهزاء والسخرية.

وقد قال الأئمة: الإكثار منه والخروج عن الحد مخل بالمروءة والوقار، والتنزه عنه والتقبض مخل بالسنة.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «الوقار في النزهة سخف»

وقال عبدالله بن المقفع: الإفراط في التواضع؛ يوجب المذلة، والإفراط في المؤانسة؛ يوجب المهانة»

(الذخائر والعبقريات ١٨٢/٢، ٢٠٨) (ديوان الشافعي).

مزاح العاقل

العاقل يتوخى بمزحه إحدى حالتين: إما إيناس المصاحبين والتودد إلى المخاطبين، وإما أن يزيل بالمزاح ما طرأ عليه من سأم أو حدث به من هم وغم.

وأنشد أبوالنواس:

أروح القلب ببعض الهزل
تجاهلا مني بغير جهل
أمزح فيه مزح أهل الفضل
والمزح أحيانا جلاة العقل

(غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح ص١٧).

اقتصد في مزحك

قال سعيد بن العاص لابنه: «اقتصد في مزحك؛ فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرئ السفهاء، وإن التقصير فيه يفض عنك المؤانسين، ويئيس منك المصاحبين»

(الخبر في محاضرات الأدباء).

المفاكهة

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا بأس بالمفاكهة؛ يخرج بها الرجل عن حد العبوس».

وسئل النخعي: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم! والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي.

(المراح في المزاح ص٥٧، ٦٧).

مزاح الأدباء

قال ابن عياش: رأيت على الأعمش فروة مقلوبة، صوفها إلى خارج، فأصابنا مطر فمررنا على كلب فتنحى الأعمش وقال: لا يحسبنا شاة.

(الخبر في السير ٢٣٩/٦).

الابتسامة

كان أبوالدرداء لا يتحدث إلا وهو يتبسم، فقالت له امرأته أم الدرداء: إني أخاف أن يرى الناس أنك أحمق!

فقال: ما رأيت رسول الله ﷺ حدث إلا وهو يتبسم في حديثه.

(المراح في المزاح ص ٦٩).

المهدي في ضيافة الأعرابي

خرج المهدي يتصيد، ففار به فرسه حتى وقع في خباء أعرابي، فقال يا أعرابي هل من قرى؟ فأخرج له قرص شعير فأكله.. وقال: أتدري من أنا؟ قال: لا. قال: أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة.. ثم سقاه مرة أخرى فشرب. فقال: يا أعرابي، أتدري من أنا؟ قال: زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة. قال: لا، أنا من قواد أمير المؤمنين.. ثم سقاه الثالثة، فلما فرغ قال: يا أعرابي أتدري من أنا؟ قال: زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين. قال: لا، ولكني أمير المؤمنين. قال: فأخذ الأعرابي الركوة فوكأها، وقال: إليك عني، فوالله لو شربت الرابعة لادعيت أنك رسول الله! فضحك المهدي حتى غشي عليه.

(المستطرف ٥٠٤/٢).

أهل السنة لا يبتدعون قولا

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله: «أهل السنة لا يبتدعون قولا، ولا يكفرون من اجتهد فأخطأ، وإن كان مخالفا لهم، مكفرا لهم، مستحلا لدمائهم، كما لم يكفر الصحابة الخوارج، مع تكفيرهم لعثمان وعلي ومن والاهما، واستحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم».

(منهاج السنة النبوية ٥/٩٥).

صناعة الغناء

قال ابن خلدون عن صناعة الغناء: «لا يستدعيها إلا من فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل وغيره، فلا يطلبها إلا الفارغون عن سائر أحوالهم تفننا في مذهب الملذوذات».

(المقدمة ص٤٢٢).

فائدة في أنواع الولائم

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الأطعمة المعتادة التي تجري مجرى الشكران كلها سبيلها الطبخ، ولها أسماء متعددة:

١ – فالقرى: طعام الضيفان.

٢ – والمأدبة: طعام الدعوة.

٣ – والتحفة: طعام الزائر.

٤ – والوليمة: طعام العرس.

٥– والخرس: طعام الولادة.

٦ – والعقيقة: الذبح عنه يوم حلق رأسه في السابع.

٧ – والغديرة: طعام الختان.

٨ – والوضيمة: طعام المأتم.

٩ – والنقيعة: طعام القادم من سفره.

١٠ – والوكيرة: طعام الفراغ من البناء، فكان الإطعام عند هذه الأشياء أحسن من تفريق اللحم.

(تحفة المودود بأحكام المولود ١/٧٦).

الحجاج والحرورية

أتي الحجاج بحرورية (من الخوارج)، فقال لأصحابه: ما تقولون في هذه؟

قالوا: اقتلها، أصلح الله الأمير، ونكل بها غيرها!

فتبسمت الحرورية، فقال لها الحجاج: لم تبسمت؟!

فقالت: لقد كان وزراء أخيك فرعون خيرا من وزرائك ياحجاج!؛ استشارهم في قتل موسى فقالوا: أرجه وأخاه، وهؤلاء يأمرونك بتعجيل قتلي، فضحك الحجاج، وأمر بإطلاقها.

(العقد الفريد ٢/٤٨).

فائدة في صفات الخيل

أولا: العربي: وهو ما أبوه وأمه عربيان.

ثانيا: البرذون: عكسه، أبوه وأمه نبطيان.

ثالثا: المفرق: أمه عربية وأبوه نبطية.

رابعا: الهجين: عكسه، أبوه عربي وأمه نبطي.

(حواشي ابن قاسم ص ٢٨٠).

على قدر خوفك من الله يهابك الخلق

قال يحيى بن معاذ، رحمه الله تعالى:

«على قدر خوفك من الله يهابك الخلق، وعلى قدر حبك لله يحبك الخلق، وعلى قدر شغلك بالله يشتغل الخلق بأمرك»

(صفة الصفوة ٤/٩٥).

ذو الوجهين

عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «إن شر الناس يوم القيامة ذو الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه» (رواه أحمد).

قال العلامة ابن مفلح الحنبلي: «وهذا لأنه نفاق وخداع وكذب، وتحيل على اطلاعه على أسرار الطائفتين، لأنه يأتي كل طائفة بما يرضيها، ويظهر أنه معها، وهي مداهنة محرمة، ذكر ذلك العلماء».

(الآداب الشرعية ١/٢٤).

كتب المتقدمين

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «كتب المتقدمين وكلامهم وسيرهم أنفع لمن أراد الأخذ بالاحتياط في العلم، على أي نوع كان، وخصوصا علم الشريعة الذي هو العروة الوثقى».

(الموافقات ١/٩٩).

العمران البشري

د. خالد راتب
دكتوراه في الشريعة الإسلامية

أبجديات الوجود الإنساني قائمة على التعارف والاستخلاف وعمارة الأرض، من أجل ذلك عندما خلق الله آدم -عليه السلام- آنسه بحواء، وجعل منهما رجالا ونساء، فكان الاجتماع الإنساني هو أول اجتماع على وجه الأرض، وهذا الاجتماع ضرورة حياتية وحضارية، فلا حضارة بغير اجتماع وأمة، ولا حياة لأمة بلا حضارة واسعة النطاق الفكري والبشري، ومن هنا وقبل أن يصرح علماء الاجتماع بأن الإنسان كائن اجتماعي؛ أصل القرآن الكريم هذا الأمر وجعله بمثابة القاعدة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ (الحجرات:١٣)، لذا كان أشد عقاب على أي إنسان أن يعزل بعيدا عن الناس، وهذا ما فعله ﷺ مع المتخلفين عن الجهاد معه، حيث أمر المجتمع باعتزالهم، حتى ضاقت عليهم الدنيا بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ (التوبة:١١٨).

فما الأرض إلا بأهلها وبالقيم السائدة فيها، والوشائج والعلاقات بين أصحابها، والإنسان لا يستطيع أن يعيش وحده أو أن يبني مجدا وحضارة بمعزل عن الناس، ولو ملك الأرض كلها.

وإذا تمسكت الأمة الإسلامية بقواعد الاجتماع الثلاثة (التعارف، التعاون، والتواصي بالحق والصبر والمرحمة) فستصبح قوية، ومعها المقومات التي تواجه بها التحديات الداخلية والخارجية، وهذا ما يدركه الأعداء جيدا، فهم يعلمون علم اليقين أن الأمة الإسلامية والعربية إذا اتحدت فإن ذلك يهدد كيانهم؛ لذا فإنهم يحاولون تمزيق جسد العرب والمسلمين.

وقد نجح الأعداء إلى حد كبير في الوصول إلى مآربهم، وقطع كل طريق يرى فيه العرب والمسلمون بصيصا لتحقيق وحدتهم، والخطر الأكبر ليس في المعوقات الخارجية وحدها، ولكن الخطر الحقيقي أن تكون الإعاقة من داخلنا، ومن أبرز هذه المعوقات في طريق الوحدة أن يكون عند العرب والمسلمين جاهزية الاختراق والتشبع والانقياد لكل ما يأتينا، دون نظر فيه، وتمحيص دقيق حتى نميز الخبيث من الطيب، فيكون الاتباع الأعمى والتقليد الذي يقضي على الهوية ويحطم الذاتية.

كما أن من معوقات الوحدة: التوجهات الفكرية المتناحرة القائمة على أحادية التوجه، وإقصاء كل من يخالف هذا الفكر والتوجه؛ لأن مخرجات هذه الأحادية في الفكر والتوجه هو التحزب الممقوت، وعقد الانتماء للأحزاب والأفراد، وليس للإسلام ومصلحة الوطن والعباد.

وهذا الانتماء الخاطئ والاتباع والتقليد الأعمى يعالجان بإعادة التربية الاجتماعية برؤية شرعية.

الكشاف السنوي لمجلة الوعي الإسلامي

١٤٣٥هـ

الافتتاحية

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	التربية والتعليم	التحرير	٥٨١	٣
٢	شقائق الرجال	فيصل يوسف العلي	٥٨٢	٣
٣	أنتم أعلم بأمور دنياكم	فيصل يوسف العلي	٥٨٣	٣
٤	التكافل والتكامل	فيصل يوسف العلي	٥٨٤	٣
٥	كناطح صخرة	فيصل يوسف العلي	٥٨٥	٣
٦	حرية أم فوضى	فيصل يوسف العلي	٥٨٦	٣
٧	وكان بين ذلك قواما	فيصل يوسف العلي	٥٨٧	٣
٨	منادمة الأطلال	فيصل يوسف العلي	٥٨٨	٣
٩	عمارة الأوقات	فيصل يوسف العلي	٥٨٩	٣
١٠	الصداقة والصديق	فيصل يوسف العلي	٥٩٠	٣
١١	من كل فج عميق	فيصل يوسف العلي	٥٩١	٣
١٢	حصائد الألسنة	فيصل يوسف العلي	٥٩٢	٣

كلمة العدد

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	صناعة التعليم	التحرير	٥٨١	٥
٢	المرأة	مصطفى صبري	٥٨٢	٥
٣	إنما بعثت معلما	التحرير	٥٨٣	٥
٤	المجتمع المدني	التحرير	٥٨٤	٥
٥	تعصب	د. عبدالمنعم النمر -رحمه الله- أول رئيس تحرير	٥٨٥	٥
٦	الحرية	الشيخ محمد الخطيب -مفتي الكرك بالأردن سابقا- العدد٢٣	٥٨٦	٥
٧	ترشيد الاستهلاك	التحرير	٥٨٧	٥
٨	الحضارة الإسلامية	التحرير	٥٨٨	٥
٩	تحية رمضان	الشيخ حسن مأمون، شيخ الجامع الأزهر الأسبق	٥٨٩	٥
١٠	الصداقة والأخوة	التحرير	٥٩٠	٥
١١	إلى البيت العتيق	التحرير	٥٩١	٥
١٢	الابتهاج	التحرير	٥٩٢	٥

فكر

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	دراسة المستقبل.. أولوية شرعية	د. إدريس مقبول	٥٨١	٦
٢	التسامح في التصور الإسلامي	د. أمان قحيف	٥٨١	١٦

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
٣	مسالك تقريب الخطاب الشرعي	د. أمينة مزيغة	٥٨٢	١٤
٤	منطق العمران بين التأنس والتوحش	د. هبة رءوف عزت	٥٨٢	٧٤
٥	الفطرة: خرائط المفهوم وبناء المستقبل	د. هبة رءوف عزت	٥٨٣	٥٢
٦	عود على بدء: عن النهضة	د. هبة رءوف عزت	٥٨٤	١٢
٧	مسارات الإصلاح	أحمد عبدالجواد زايدة	٥٨٦	٦٤
٨	التنوع الإسلامي في الغرب وإشكالية المرجعية الدينية	د. حسن عزوزي	٥٨٦	٧٨
٩	هذا الدرس الحضاري.. كيف نتعلمه؟	عطية الويشي	٥٩٠	١١
١٠	فقه الإصلاح	أحمد عبدالجواد زايدة	٥٩٠	١٤
١١	العقل في ضوء الوحي	خالد برادة	٥٩١	٨٣

دعوة

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	التعامل مع الوعود الربانية بين التصديق والتضييق	د. محمد علي يوسف	٥٨١	٨
٢	شبكة ملتقى الخطباء	التحرير	٥٨١	١٠
٣	المراقبة فريضة غائبة	رسمي عجلان	٥٨٢	٦
٤	التمتع بالطاعة	محمد فتحي النادي	٥٨٢	٧١
٥	الاعتصام بالإسلام	هناء ثابت	٥٨٤	٣٥
٦	لماذا نتصدق؟	هائل سعيد	٥٨٩	٥١
٧	الدعوة الإسلامية ومواقع التواصل الاجتماعي	د. عبدالصبور فاضل	٥٨٩	٦٦
٨	الأمالي والمجالس في الحياة العلمية عند المسلمين	د. أحمد الشال	٥٩٠	١٦
٩	الإسلام.. والخلاص الفردي	نجلاء محفوظ	٥٩١	٨٤

حوار

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	الحلواني: صراع الحضارات أصله عقائدي	محمد حبيب	٥٨١	١٢
٢	عميد كلية اللغة العربية السابق د. عبدالغفار هلال	إسلام لطفي	٥٨٢	٨
٣	د. مختار المهدي: تغليب المصلحة العامة يعيد للأمة ترابطها	إسلام لطفي	٥٨٣	١٤
٤	د. سعيد إسماعيل	محمد ثابت توفيق	٥٨٤	١٠

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
٥	الشيخ كامل سميع الله مفتي تترستان	مهدي عبدالستار	٥٨٥	١٠
٦	د. عبدالفتاح إدريس أستاذ الفقه المقارن	إسلام لطفي	٥٨٥	٦٦
٧	مدير مؤسسة جسور للتعريف بالإسلام فاضل سليمان	حسن يسري	٥٨٦	٩
٨	رئيس الاتحاد الدولي لحوار الثقافات د. علي السمان	إسلام لطفي	٥٨٦	٥٠
٩	السفير عبدالرحمن الموسى	إسلام لطفي	٥٨٧	١٢
١٠	الغنيم: مخطوطاتنا تقينا متاهات العولمة	إسلام لطفي	٥٨٨	١٠
١١	رئيس منظمة ماس الأميركية	علاء عبدالفتاح	٥٨٨	٧٠
١٢	وزير الأوقاف الأسبق راشد الفرحان	هاني عبدالله	٥٨٩	١٦
١٣	الخبير الاقتصادي د. علي السالوس	محمد عبدالعزيز	٥٨٩	٦٢
١٤	مدير معهد الدراسات الجيوسياسية الفرنسي	محمد عويس	٥٨٩	٨٠
١٥	د. محمد مورو: التشدد ظاهرة إنسانية وليست إسلامية	إسلام لطفي	٥٩٠	٨
١٦	د. أحمد معبد: سخرني الله لتكوين مدرسة حديثية دقيقة	إسلام لطفي	٥٩٢	١٦

ملف العدد

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	المعلم القدوة	رشيد الحسن	٥٨١	١٩
٢	التعليم.. بوابتنا للنهضة	السنوسي محمد	٥٨١	٢٠
٣	ثمار التعليم في عالمنا العربي	د. آندي حجازي	٥٨١	٢٣
٤	أدوار المعلم في عصر المعلوماتية	محمد عباس	٥٨١	٢٦
٥	أمة اقرأ.. واقع مؤلم وطموحات خلاقة	مياسة النخلاني	٥٨١	٢٨
٦	التعليم المحظور في بلادنا	محمد إلهامي	٥٨١	٣٢
٧	النشء المسلم.. أين موقعه في مناهج التعليم؟	هالة عبدالحافظ - منار محمد	٥٨١	٣٤
٨	النساء في الإسلام بين الماضي والحاضر	د. آندي حجازي	٥٨٢	١٨
٩	«هي» قضية الشخصية الإسلامية بكل أبعادها	د. محمد سعيد باه	٥٨٢	٢٢
١٠	المرأة بين الإسلام والغرب	السنوسي محمد	٥٨٢	٢٤
١١	التجارة بالمرأة في الغرب	التحرير	٥٨٢	٢٧
١٢	زينب زوجة الأمراء	محمد إلهامي	٥٨٢	٢٨
١٣	المرأة والعمل	جمال الدين عيار	٥٨٢	٣٠
١٤	الاغتصاب جريمة أعجمية المنشأ	عبدالعزيز العسكر	٥٨٢	٣٣
١٥	كواليس مطاردة شبح الطلاق والعنوسة	بسمة رمضان	٥٨٢	٣٤
١٦	شابة برتبة عانس	منى الشريف	٥٨٢	٣٨
١٧	مطلوب مقرر تربوي لمواجهة الطلاق	التحرير	٥٨٢	٤٠
١٨	الأسرة القدوة	رشيد ناجي الحسن	٥٨٢	٤٢

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١٩	موسوعة المرأة عبر العصور	علاء عبدالفتاح	٥٨٢	٤٥
٢٠	لماذا تأخر المسلمون	شكيب أرسلان	٥٨٣	٢٠
٢١	العلم أساس النهضة	هواري عبدالقادر	٥٨٣	٢٢
٢٢	كيف نهيئ أطفالنا للتفكير العلمي؟	الطيب أديب	٥٨٣	٢٤
٢٣	التعليم الذي ننشده	د. محمد سعيد باه	٥٨٣	٢٦
٢٤	فضل كفالة العالِم المعلم والطالب المتفرغ	د. محمد الأمسمي	٥٨٣	٢٩
٢٥	علم الكيمياء وتطبيقاته في الحضارة العربية والإسلامية	د. رفعت هلال	٥٨٣	٣٢
٢٦	إسهامات الحضارة العربية والإسلامية في علم الفلك	د. أحمد فؤاد باشا	٥٨٣	٣٧
٢٧	المسؤولية الاجتماعية والعمل العام	حسين المحمد	٥٨٤	٢٠
٢٨	الإسلام والمسؤولية الفردية	عطية الويشي	٥٨٤	٢٢
٢٩	الجمعيات الأهلية.. محاصرة برؤى ضيقة	هاني عبدالله	٥٨٤	٢٥
٣٠	برامج وجمعيات حقوق الأطفال	د. آندي حجازي	٥٨٤	٢٨
٣١	عرقلة المجتمع المدني	السنوسي محمد	٥٨٤	٣٢
٣٢	التعصب.. مفسد للدين والدنيا	السنوسي محمد	٥٨٥	٢٤
٣٣	الإيغال في دروب التدين: حالة جنوح..!	د. محمد سعيد باه	٥٨٥	٢٨
٣٤	التحصين الفكري ضد التشدد	د. إبراهيم نويري	٥٨٥	٣٠
٣٥	غلو العلمانية	محمد شعبان أيوب	٥٨٥	٣٢
٣٦	الحرية والبناء الحضاري	السنوسي محمد	٥٨٦	٢٠
٣٧	الحرية الشخصية فطرية أم متعلمة؟	د. آندي حجازي	٥٨٦	٢٤
٣٨	تحرير المرأة في عصر الرسالة	التحرير	٥٨٦	٢٧
٣٩	مغالطات في الحرية بين الغرب والإسلام	محمد إلهامي	٥٨٦	٢٨
٤٠	الحرية في العالم العربي بين التحذير والانطلاق	نشوة صالح	٥٨٦	٣٠
٤١	الحرية: مدخل إلى الخريطة المفاهيمية	د. هبة رءوف عزت	٥٨٦	٣٢
٤٢	كيف طغى الاستهلاك	محمد شعبان أيوب	٥٨٧	١٨
٤٣	الإنتاج وسؤال الحضارة	السنوسي محمد	٥٨٧	٢١
٤٤	ما بين الإبداع.. والمجتمعات الاستهلاكية	د. آندي حجازي	٥٨٧	٢٢
٤٥	بين منطق الاستخلاف.. وشهوة الاستهلاك	د. هبة رءوف عزت	٥٨٧	٢٥
٤٦	الإسراف.. الجذور والمسار والثمار	محمد إلهامي	٥٨٧	٢٨
٤٧	اقتصاد الأسرة: ضوابط شرعية وآداب مرعية	د. حسين شحاتة	٥٨٧	٣٠
٤٨	المزيدي: نسعى إلى نشر القيم الإيجابية في العالم	نشوة صالح	٥٨٧	٣٤
٤٩	لجنة التأليف والترجمة والنشر	علاء عبدالفتاح	٥٨٧	٣٦
٥٠	العمارة فن وذوق وأخلاق	التحرير	٥٨٨	١٤
٥١	ببليوجرافيا «الوعي» والعمران الإسلامي	التحرير	٥٨٨	١٧
٥٢	مساجد الكويت القديمة	تركي النصر	٥٨٨	١٨

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
٥٣	الأوقاف وبداية عمران المساجد الكويتية	التحرير	٥٨٨	٢١
٥٤	مجموعة السلطان قلاوون.. ياقوتة القاهرة الإسلامية	إسلام لطفي	٥٨٨	٢٢
٥٥	ثراء المعمار العربي.. نظرة غربية	السنوسي محمد	٥٨٨	٢٥
٥٦	عيون دمشق	-	٥٨٨	٢٨
٥٧	سنان باشا.. أبو العمارة التركية	التحرير	٥٨٨	٣٠
٥٨	مكية والمسجد الكبير	التحرير	٥٨٨	٣١
٥٩	التراث الكويتي.. قاطرة التقدم الحضاري	نشوة صالح	٥٨٨	٣٢
٦٠	خصائص الحدائق الإسلامية	محمد إلهامي	٥٨٨	٣٤
٦١	عيون المغرب	-	٥٨٨	٣٦
٦٢	عيون الأندلس	-	٥٨٨	٣٧
٦٣	حسن فتحي.. وسكن البسطاء	التحرير	٥٨٨	٣٨
٦٤	عيون القاهرة	-	٥٨٨	٤٠
٦٥	عيون الكويت	-	٥٨٨	٤١
٦٦	بيت السناري.. تفرد معماري	التحرير	٥٨٨	٤٢
٦٧	ماذا فعل الاحتلال الفرنسي بالعمارة الجزائرية؟	التحرير	٥٨٨	٤٦
٦٨	رؤية المستشرقين للعمران الإسلامي	يحيى وزيري	٥٨٨	٤٨
٦٩	الأبعاد الأمنية.. وفقه التدبير العمراني المستقر	عطية الويشي	٥٨٨	٥٢
٧٠	العمران والبشرية: بين التفكير.. والتدبير	د. هبة رءوف عزت	٥٨٨	٥٦
٧١	الخدمة.. ومنظومتها القيمية	د. محمد المشطاوي	٥٨٩	٢٢
٧٢	كيف صنع الإسلام «المجتمع المتين»؟	محمد إلهامي	٥٨٩	٢٤
٧٣	الخدمة الاجتماعية.. وروح المبادرة الإيجابية	عطية الويشي	٥٨٩	٢٦
٧٤	الخدمة العامة: المنطق والمجالات.. وخرائط «العموميات»	د. هبة رءوف عزت	٥٨٩	٢٩
٧٥	الصداقة	محمد الخضر حسين	٥٩٠	٢٠
٧٦	من صور الصداقة في الأدب العربي	محمد شعبان أيوب	٥٩٠	٢٤
٧٧	أخلاق الصديق عند ابن المقفع	د. محمد المشطاوي	٥٩٠	٢٦
٧٨	الصاحب: من فهم الذات.. لتأسيس المجتمعات	د. هبة رءوف عزت	٥٩٠	٢٨
٧٩	من الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي	علاء عبدالفتاح	٥٩٠	٣١
٨٠	أدب الانسحاب من مودة الأصحاب	التحرير	٥٩٠	٣٤
٨١	من أدب الرحلات.. رحلات الحج نموذجا	د. عبدالعزيز جامع	٥٩١	٦
٨٢	رحلات الحج في كتب العلماء والأدباء والمستشرقين	أحمد العساف	٥٩١	١٠
٨٣	رحلات أهل العلم في الحج	عبدالكريم خضير	٥٩١	١٤
٨٤	رحلات الحج المغربية.. لذة التقصي وأمانة النقل	د. عبدالهادي التازي	٥٩١	١٨
٨٥	الرحلات المغربية الحجازية	د. أحمد عيساوي	٥٩١	٢٠
٨٦	الحفيان: طرق الحج القديمة ساهمت في التحضر	محسن عبدالفتاح	٥٩١	٢٤

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
٨٧	طرق الحج ومسالكه	تركي النصر	٥٩١	٢٦
٨٨	حملات الحج الكويتية	التحرير	٥٩١	٣٢
٨٩	طريق الحج من إسطنبول إلى مكة	التحرير	٥٩١	٣٨
٩٠	القصيدة الذهبية	العلامة مجد الدين البغدادي	٥٩١	٤٠
٩١	كتب المناسك	رشيد الحسن - ياسين كتاني	٥٩١	٤٦
٩٣	لنفرح ولنتعبد	السنوسي محمد	٥٩٢	٢٤
٩٤	البهجة المطمئنة	د. هبة رءوف عزت	٥٩٢	٢٦
٩٥	غذاء الأرواح بالمزاح	التحرير	٥٩٢	٢٨
٩٦	اللهو المباح في العصر الحديث	التحرير	٥٩٢	٣٠
٩٧	أسباب السعادة في سورة الانشقاق	خديجة أحمد	٥٩٢	٣٢

دراسات

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	آثار المعصية في الفرد والمجتمع	مختار لوح	٥٨١	٣٨
٢	حضارتنا المتألقة في العصور الوسطى	د. أشرف صالح	٥٨١	٤٢
٣	الشركات في الفقه الإسلامي	د. صالح سالم النهام	٥٨١	٤٨
٤	تقنيات كشف الكذب في تشريع الإجراءات الجنائية الإسلامي	د. رضا عبدالحكيم	٥٨٢	٤٦
٥	المعجزة العربية في الهندسة	مصطفى يعقوب	٥٨٢	٥٠
٦	وقفات مع عقد الحوالة	د. صالح سالم النهام	٥٨٢	٥٥
٧	النبي ﷺ وذوو الاحتياجات الخاصة	محمد فتحي النادي	٥٨٣	٤٠
٨	التكافؤ الاقتصادي بين الربا والتورق (٢-١)	د. سامي السويلم	٥٨٣	٤٤
٩	عقد الضمان في الفقه الإسلامي	د. صالح سالم النهام	٥٨٣	٤٨
١٠	عقد الوكالة	د. صالح سالم النهام	٥٨٤	٣٨
١١	عقد الاستصناع	د. حسن أبو غدة	٥٨٤	٤١
١٢	التكافؤ الاقتصادي بين الربا والتورق (٢-٢)	د. سامي السويلم	٥٨٤	٤٤
١٣	وظيفة الزكاة في المجتمع	د. عبدالله رمضاني	٥٨٤	٤٨
١٤	مذاهب العلماء في طرق التخلص من تعارض الأدلة	د. صالح سالم النهام	٥٨٥	٤٢
١٥	القوادح الكاشفة عن الخطأ في الاعتبار بالقاعدة الفقهية	د. لخضر بوغفور	٥٨٥	٤٦
١٦	الفكر الإصلاحي عند الإمام الشاطبي	د. عبدالرحيم باحمو	٥٨٥	٥١
١٧	أثر مباحث الحديث في العلوم الأخرى	رياض العيسى	٥٨٦	٣٦
١٨	الحقائق الشرعية حول السدرة	د. رضا رضوان	٥٨٦	٣٨
١٩	دراسة الجدوى	محمود زويل	٥٨٦	٤١
٢٠	الفتوحات الإسلامية	مصطفى يعقوب	٥٨٧	٤٠
٢١	التأصيل الإسلامي لعلم إدارة الأزمات	محمد الحريري	٥٨٧	٤٥

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
٢٢	الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الكريم	د. أمان قحيف	٥٨٩	٣٦
٢٣	التفكر.. العبادة الصامتة	د. أزهور أومهدي	٥٨٩	٤٠
٢٤	ضياع الوقت: أسبابه ومظاهره	د. أحمد الشال	٥٨٩	٤٤
٢٥	الخبرة وموقعها في اجتهاد القاضي	د. أمينة مزيغة	٥٨٩	٤٨
٢٦	هكذا نحسن التأسي برسول الله ﷺ	د. أمان قحيف	٥٩٠	٣٧
٢٧	مشاهد حضارية من نظام التكافل الأسري	د. حميد مسرار	٥٩٠	٤٠
٢٨	ميزان الاعتدال في الكسب والإنفاق	د. محمد سعيد باه	٥٩٠	٤٤
٢٩	تكنولوجيا التحكم بالأمطار	د. رضا عبدالحكيم	٥٩٠	٤٧
٣٠	طب العلاج الطبيعي في المنظور الإسلامي	د. جمال الدين الفاروقي	٥٩١	٤٨
٣١	مقصد التعارف وأثره في تقوية النسيج الاجتماعي	د. إبراهيم مهنا	٥٩١	٥٢
٣٢	أسباب الانبهار بالغرب وتداعياته	أحلام عباسي	٥٩١	٥٥
٣٣	محنة القضاة: الخوارزمي نموذجا	د. محمود خلف	٥٩٢	٣٦
٣٤	انتصار المقاومة الريفية وآثاره على المجتمع الإسباني	أحمد لحميمي	٥٩٢	٤٠
٣٥	منهج الإقراء في الأندلس	د. مراد زهوي	٥٩٢	٤٤
٣٦	وظائف التأليف في «الرقائق»	د. خالد فهمي	٥٩٢	٥٠

لغة وأدب

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	قصة وقصيدة (١)	د. عبدالرحمن الحقان	٥٨١	٥٢
٢	القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (١٥)	عبدالله أيت الأعشير	٥٨١	٥٤
٣	الندم بين الشريعة والأدب	مصطفى عباس	٥٨١	٥٦
٤	الأدب حياة	التحرير	٥٨١	٥٨
٥	سورية	وليد الخطيب	٥٨١	٥٩
٦	أحلام شاب عزب	عبدالكريم إبراهيمي	٥٨١	٦٠
٧	ظاهرة المثلث القرائي	د. خالد فهمي	٥٨١	٦٢
٨	القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (١٦)	عبدالله أيت الأعشير	٥٨٢	٥٨
٩	رؤية جابر قميحة في الأدب الإسلامي	محمد عباس عرابي	٥٨٢	٦٠
١٠	الكريم	مياسة النخلاني	٥٨٢	٦٣
١١	اللغة العربية.. صورة لقيمة الأمة	سالم بن عميران	٥٨٢	٦٤
١٢	حدث ذات صباح في حافلة	محمد ثابت توفيق	٥٨٢	٦٦
١٣	صورة المسلمين في رحلة الجاسوس برتراندون دي لابروكيبه	د. عمرو عبدالعزيز	٥٨٢	٦٨
١٤	أبو القاسم	جاك صبري شماس	٥٨٢	٧٠
١٥	القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (١٧)	عبدالله أيت الأعشير	٥٨٣	٥٤
١٦	الاعتذاريات النبوية بين عصرين من الشعر	محمد أبو السعود	٥٨٣	٥٦

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١٧	البحث عن وطن	طارق نصار	٥٨٣	٥٩
١٨	من جمال النظم القرآني في سورة الإخلاص	د. أحمد إسماعيل	٥٨٣	٦٠
١٩	القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (١٨)	عبدالله أيت الأعشير	٥٨٤	٥٢
٢٠	عش.. بالتفاؤل	التحرير	٥٨٤	٥٤
٢١	أم العرب	جاك صبري شماس	٥٨٤	٥٥
٢٢	وأعرض عن الجاهلين	محمد السعيد الشيخ	٥٨٤	٥٦
٢٣	بسمة	محمد عباس	٥٨٤	٥٨
٢٤	بين ديموقراطية زكي وأرستقراطية تيمور	صلاح رشيد	٥٨٥	٥٦
٢٥	القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (١٩)	عبدالله أيت الأعشير	٥٨٥	٥٨
٢٦	براعة المنهج القرآني في استيعاب تزاحم المعاني	د. خالد فهمي	٥٨٥	٦٠
٢٧	المتنبي.. شاعر العربية ولسانها الحكيم	التحرير	٥٨٥	٦٣
٢٨	القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٢٠)	عبدالله أيت الأعشير	٥٨٦	٥٢
٢٩	جائزة البوكر.. دماء زرقاء في عروق الثقافة العربية	محمد أبو السعود	٥٨٦	٥٤
٣٠	رؤية الزمان والمكان في الرواية الإسلامية المعاصرة	عبداللطيف خروبة	٥٨٦	٥٦
٣١	مقام البداية والختام	محمد عباس	٥٨٦	٥٩
٣٢	البوابة الكبيرة	مياسة النخلاني	٥٨٦	٦٠
٣٣	في المفاضلة بين الشعر والنثر	إبراهيم نويري	٥٨٦	٦٢
٣٤	القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٢١)	عبدالله أيت الأعشير	٥٨٧	٥٢
٣٥	قراءة في رواية ساق البامبو	محمد أبو السعود	٥٨٧	٥٤
٣٦	فضلك قد جرى	محمد عباس	٥٨٧	٥٧
٣٧	القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٢٢)	عبدالله أيت الأعشير	٥٨٨	٦٢
٣٨	القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٢٣)	عبدالله أيت الأعشير	٥٨٩	٥٢
٣٩	الطريق إلى النور	د. خالد فهمي	٥٨٩	٥٤
٤٠	سلمى تواجه الأرق	محمد ثابت توفيق	٥٨٩	٥٧
٤١	من جمال النظم القرآني في سورة الكوثر	د. أحمد عبدالكريم	٥٨٩	٥٨
٤٢	عبقرية اللغة العربية	محمد المبارك	٥٩٠	٥٠
٤٣	الضبيب: بعض وسائل الإعلام تهدد الفصحى	صابر رمضان	٥٩٠	٥٤
٤٤	لحظة بعمر الزمن	محمد عبدالقادر	٥٩٠	٥٧
٤٥	هذه النافذة.. هل أطللت منها؟	د. سعيد شوارب	٥٩٠	٥٨
٤٦	رحيل	مياسة النخلاني	٥٩٠	٦٠
٤٧	شهيد القدس	نجاح سرور	٥٩٠	٦٣
٤٨	القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٢٤)	عبدالله أيت الأعشير	٥٩١	٥٨
٤٩	نحو مشروع قومي لإنشاء شهادة اللغة العربية الدولية	محمد عويس	٥٩١	٦٠
٥٠	الله كريم	مياسة النخلاني	٥٩١	٦٢

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
٥١	حين تحب الناس جميعا	نجاح سرور	٥٩١	٦٣
٥٢	رؤى مغربية جريئة في مسألة التعريب	محمد سعيد صمدي	٥٩١	٦٤
٥٣	القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٢٥)	عبدالله أيت الأعشير	٥٩٢	٥٤
٥٤	من أوابد عرب الجاهلية وأكاذيبهم	محيي الدين عواد	٥٩٢	٥٦
٥٥	قصة البناء والإعراب	محمود عبدالصمد	٥٩٢	٥٨
٥٦	أغنية المساء	مياسة النخلاني	٥٩٢	٦٠
٥٧	في حب الآباء للبنات	د. يوسف الحزيمري	٥٩٢	٦٢
٥٨	عندما يكون الأدب في خدمة الصهيونية	المنشاوي الورداني	٥٩٢	٦٤

أنباء الكتب

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	أطلس الوقف	السيد المخزنجي	٥٨١	٦٥
٢	الذب عن مذهب مالك	د. الطاهر خذيري	٥٨٢	٧٢
٣	الوقف الإسلامي.. فنون إدارته والدعوة إليه	د. عيسى القدومي	٥٨٥	٤١
٤	المشترك الأسمى بين الشعوب	منتصر الخطيب	٥٨٧	٥٨
٥	قراءة في مشروع رعاية أجيال الكويت	التحرير	٥٨٨	٦٨
٦	أحكام الحشرات في الفقه الإسلامي	السيد المخزنجي	٥٨٩	٦٠
٧	معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية	د. الطاهر خذيري	٥٩١	٧٠

مناسبات وفعاليات

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	الإسلاميون وامتحان الدولة	التحرير	٥٨٦	١٨
٢	العلماء طوق نجاة الأمة	إسلام لطفي – محمد عبدالعزيز	٥٨٧	٦
٣	تأملات في آية الإسراء	د. أمان قحيف	٥٨٧	٨
٤	رمضان.. ثلاثية الفكر والعاطفة والحركة	السنوسي محمد	٥٨٩	٦
٥	بحثا عن ولادة جديدة	محمد ناصيف	٥٩٢	١٠
٦	الإعلام في عرفات	د. محمد البنداري	٥٩٢	١٣
٧	البيت الحرام.. وأثره في الاقتصاد العالمي	د. مجدي حسن	٥٩٢	١٦
٨	الحج.. رحلة حنين	محمد توفيق	٥٩٢	١٨

ثقافة

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	البشريات القرآنية بين الأمل والعمل	د. محمد علي يوسف	٥٨٣	١١
٢	التقليد المهلك	رشيد الحسن	٥٨٤	٧٧
٣	ثقافتنا وحرية التفكير والإبداع	د. أمان قحيف	٥٨٥	٦
٤	بيوت الحكمة	هند محفوظ	٥٨٦	٦٦

رقائق

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	أن يكلمك ربك	د. محمد علي يوسف	٥٨٧	١٤
٢	الفرار إلى قدر الله	محمد فتحي النادي	٥٨٩	١٤
٣	الأخلاق بين التحلي والتعري	أحمد عقل	٥٩٠	٦
٤	بالذي هو خير	صفاء سليمان الأشقر	٥٩٠	١٩

قضايا

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	قراءات في الأعمال الرشدية الصادرة بالألفية الثالثة	بشرى شاكر	٥٨٣	٦
٢	قصة التاريخ الهجري	د. مسعود صبري	٥٨٣	٨٠
٣	منهجية العمل الخيري عند الدكتور عبدالرحمن السميط	صلاح توقه	٥٨٦	٤٤
٤	قيمة الانتماء للوطن	سالم بن عميران	٥٨٧	١٧
٥	حق البيئة على الإنسان	أ. د. حسن عبدالغني أبو غدة	٥٨٩	٣٢
٦	العصبية القبلية والعشائرية	بشرى شاكر	٥٨٩	٨٢
٧	فلسطين الثروة الباقية	شهاب الدين المحمدي	٥٩١	٨٨
٨	صلة الأرحام واجب لا يقتصر على الأعياد	حسن بن محمد	٥٩٢	٨١

خواطر

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	اختبار كاشف الأسرار	هنادي الشيخ	٥٨١	٧٨
٢	هل تغيرنا كما تغير عمر؟	محمد صديق	٥٨٢	١٢
٣	لتحيا الحياة	صبحة بغورة	٥٨٣	٥١
٤	أنا والشتاء	آيات الحسن	٥٨٤	٥٩
٥	اجعل لكتابك عيدا	د. يوسف الحزيمري	٥٨٦	٨٥
٦	رحلة البحث عن الحق	د. محمد علي يوسف	٥٩١	٨٦

تراث

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	أجوبة لطيفة عن أربع سؤالات شريفة	صالح عبدالخالق	٥٨٣	٦٢
٢	مخطوطات دور الكتب المغربية	ياسين محمد كتاني	٥٨٥	١٨
٣	منظومة مخارج الحروف للديريني	صالح عبدالخالق	٥٨٦	٣٥
٤	المخطوطات النادرة في المكتبات المغربية	ياسين محمد كتاني	٥٩٢	٨٥

تحقيق واستطلاع

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	حكاية الشجرة الملعونة	بسمة رمضان	٥٨١	٨٠
٢	مضايقات مواقع التواصل الاجتماعي.. صداع المراهقين	منير أديب	٥٨٢	٨٢
٣	كيف اعتنى الإسلام بالمسنين	منى الموجي	٥٨٣	٨٢
٤	دعوة الحق.. مجلة الثقافة والفكر المغربي	رئيس التحرير	٥٨٤	٣٦
٥	مكتبة السقاط.. وقف خيري في خدمة البحث العلمي	بشرى شاكر	٥٨٤	٦٤
٦	متحف الفن الإسلامي في قطر	عبادة نوح - خالد خلاوي	٥٨٤	٨٠
٧	الخوف من الإسلام.. مسؤولية من؟!	ريهام عاطف	٥٨٥	٢١
٨	مؤسسة علال الفاسي.. منارة المغرب الثقافية	رئيس التحرير	٥٨٥	٣٨
٩	الجامعة النظيمية.. تلم الشمل وتؤهل طلاب الشريعة	عبادة نوح - علاء عبدالفتاح	٥٨٥	٨٤
١٠	مكتبة بايزيد في إسطنبول	التحرير	٥٨٦	٤٨
١١	سمرقند	د. محمد المحمدي	٥٨٧	٧٨
١٢	ثقافة الاعتذار بين الحق والكبرياء	منير أديب	٥٨٨	٨٢
١٣	زكاة الفكر	عبدالله الشريف	٥٩٢	٦٧

أسرة

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	زوجك جنتك أو نارك	شيماء فريج	٥٨١	٧١
٢	الإدمان في الأسرة	محمود حسانين	٥٨١	٧٢
٣	السعادة على أنقاض الآخرين	منير أديب	٥٨١	٧٤
٤	الأنشطة المدرسية بين اعتبارات التربية وضغوط الواقع	حمدي سعيد	٥٨٣	٦٧
٥	نعمة الذرية بين المنحة والمحنة	رضى الحمراني	٥٨٣	٧٠
٦	مذكرات الفتاة المسلمة	سعاد بعوش	٥٨٣	٧٢
٧	الأسرة بين الشرق والغرب	محمد شعطيط	٥٨٣	٧٤
٨	أخاف النوم وحدي	ريهام عاطف	٥٨٣	٧٦
٩	الخروج من الورطة التربوية	عبدالرحمن ضاحي	٥٨٤	٦٦

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١٠	أسرتك سر سعادتك	د. خالد النجار	٥٨٤	٦٨
١١	الخادمات وأسرار البيوت	منير أديب	٥٨٤	٧٠
١٢	التدرج الهرمي للعنف الأسري	كمال عبدالمنعم	٥٨٤	٧٢
١٣	أب فقد معناه	محمد عبدالقادر	٥٨٥	٦٩
١٤	التفوق الدراسي.. فن المنافسة على القمة	منى الشريف	٥٨٥	٧٠
١٥	الطفل بين الكذب والخيال	صبحة بغورة	٥٨٥	٧٢
١٦	أهمية العربية عند أطفالنا	د. مصطفى رجب	٥٨٥	٧٤
١٧	دور المرأة المسلمة في التنوير	د. الجيلاني سبيع	٥٨٦	٦٩
١٨	القراءة في الأسرة	محمد شعطيط	٥٨٦	٧٢
١٩	من معالم المدرسة النبوية في تعليم الأطفال	محمد شعبان	٥٨٦	٧٤
٢٠	إرشادات في تربية البنات	د. خالد النجار	٥٨٦	٧٦
٢١	نحو ثقافة مثلى للطفل العربي	رفعت بدوي	٥٨٧	٧٠
٢٢	الجميل: دمج مجهولي الأبوين في الأسر البديلة ضرورة	محمد عبدالعزيز	٥٨٧	٧٢
٢٣	ما يطلبه المراهقون	د. آندي حجازي	٥٨٨	٧٤
٢٤	الطفل بين الحياء والخجل	رندة السراج	٥٨٨	٧٨
٢٥	أثر العقيدة في تعديل السلوك	منتصر الخطيب	٥٨٩	٧٠
٢٦	أولادنا والتربية الجنسية	د. محمد العطار	٥٨٩	٧٢
٢٧	حسن إدارة الزوجة لبيتها	إحسان الدبش	٥٨٩	٧٦
٢٨	شهادة التدريب على الحياة الزوجية	محمد شعطيط	٥٨٩	٧٨
٢٩	الأثرياء والأبناء	محمد شعطيط	٥٩٠	٦٦
٣٠	صل رحمك.. واكسب	محمد رشيد العويد	٥٩٠	٦٩
٣١	المرأة المعاصرة بين التقديس والتدنيس	دار الإعلام العربية	٥٩٠	٧٠
٣٢	اكتساب العفة	محمد فراج	٥٩٠	٧٣
٣٣	كيف نحمي أبناءنا من الانحرافات الفكرية	عبدالرحمن ضاحي	٥٩٠	٧٤
٣٤	الأدوار الأسرية في مراحل الطفل العمرية	د. مراد زهوي	٥٩١	٧٤
٣٥	الطفل غرس والدين.. وثمار تربية	صبحة بغورة	٥٩١	٧٦
٣٦	أدب الطفل وخطاب الهوية	د. أحمد يحيى	٥٩١	٧٨
٣٧	الطفل والولع بالصور المتحركة	د. إبراهيم نويري	٥٩٢	٧٠
٣٨	واجبات الأم التربوية	إحسان الدبش	٥٩٢	٧٢
٣٩	قضايا المرأة في الصحافة الإسلامية	سعاد بعوش	٥٩٢	٧٤
٤٠	كيف أنمي الحس الجمالي لدى الأطفال	د. آندي حجازي	٥٩٢	٧٨

فتاوى الوعي

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	فتاوى الوعي	د. محمود الكبش	٥٨١	٩٢
٢	فتاوى الوعي	د. محمود الكبش	٥٨٢	٩٢
٣	فتاوى الوعي	د. محمود الكبش	٥٨٣	٩٠
٤	فتاوى الوعي	د. محمود الكبش	٥٨٤	٩٠
٥	فتاوى الوعي	د. محمود الكبش	٥٨٥	٩٠
٦	فتاوى الوعي	د. محمود الكبش	٥٨٦	٩٠
٧	فتاوى الوعي	د. محمود الكبش	٥٨٧	٩٠
٨	فتاوى الوعي	د. محمود الكبش	٥٨٨	٩٢
٩	فتاوى الوعي	د. محمود الكبش	٥٨٩	٩٢
١٠	فتاوى الوعي	د. محمود الكبش	٥٩٠	٩٢
١١	فتاوى الوعي	د. محمود الكبش	٥٩١	٩٢
١٢	فتاوى الوعي	د. محمود الكبش	٥٩٢	٩٢

بريد القراء

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	بريد القراء	التحرير	٥٨١	٩٤
٢	بريد القراء	-	٥٨٢	٩٤
٣	بريد القراء	علاء عبدالفتاح	٥٨٣	٩٤
٤	بريد القراء	التحرير	٥٨٤	٩٤
٥	بريد القراء	-	٥٨٥	٩٤
٦	بريد القراء	علاء عبدالفتاح	٥٨٦	٩٤
٧	بريد القراء	التحرير	٥٨٧	٩٤
٨	بريد القراء	التحرير	٥٨٨	٩٤
٩	بريد القراء	علاء عبدالفتاح	٥٨٩	٩٤
١٠	بريد القراء	التحرير	٥٩٠	٩٤
١١	بريد القراء	علاء عبدالفتاح	٥٩١	٩٤
١٢	بريد القراء	علاء عبدالفتاح	٥٩٢	٩٢

ينابيع المعرفة

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	ينابيع المعرفة	تركي النصر	٥٨١	٩٦
٢	ينابيع المعرفة	تركي النصر	٥٨٢	٩٦
٣	ينابيع المعرفة	تركي النصر	٥٨٣	٩٦
٤	ينابيع المعرفة	تركي النصر	٥٨٤	٩٦
٥	ينابيع المعرفة	تركي النصر	٥٨٥	٩٦
٦	ينابيع المعرفة	تركي النصر	٥٨٦	٩٦
٧	ينابيع المعرفة	تركي النصر	٥٨٧	٩٦
٨	ينابيع المعرفة	تركي النصر	٥٨٨	٩٦
٩	ينابيع المعرفة	تركي النصر	٥٨٩	٩٦
١٠	ينابيع المعرفة	تركي النصر	٥٩٠	٩٦
١١	ينابيع المعرفة	تركي النصر	٥٩١	٩٦
١٢	ينابيع المعرفة	تركي النصر	٥٩٢	٩٤

كتب عربية علمت الإنسانية

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	كتب عربية علمت الإنسانية	خالد خلاوي	٥٨١	٩٠
٢	كتب عربية علمت الإنسانية	خالد خلاوي	٥٨٢	٩٠
٣	كتب عربية علمت الإنسانية	خالد خلاوي	٥٨٣	٩٢
٤	كتب عربية علمت الإنسانية (تاريخ الأمم والملوك للطبري)	خالد خلاوي	٥٨٤	٩٢
٥	كتب عربية علمت الإنسانية	خالد خلاوي	٥٨٥	٩٢
٦	كتب عربية علمت الإنسانية	خالد خلاوي	٥٨٦	٩٢
٧	كتب عربية علمت الإنسانية (مقدمة ابن خلدون)	خالد خلاوي	٥٨٧	٩٢
٨	كتب عربية علمت الإنسانية (الجامع الصحيح للإمام البخاري)	خالد خلاوي	٥٨٨	٨٦

مسك الختام

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	مالك بن نبي وأسئلة الاستعمار والنهضة	محمد صديق	٥٨١	٩٨
٢	أزمة الفعالية وأمتنا	أحمد عبدالجواد زايدة	٥٨٢	٩٨
٣	القلم أمانة	خالد برادة	٥٨٣	٩٨
٤	مكونات الإمام العادل	عثمان إسماعيل	٥٨٤	٩٨
٥	الحكمة ضالة المؤمن	السيد زرد	٥٨٥	٩٨
٦	الإسلام والغرب.. استمرارية التفاعل والصراع	محمد فتحي النادي	٥٨٦	٩٨
٧	فلا تظلموا فيهن أنفسكم	د. أحمد الدش	٥٨٧	٩٨
٨	حرية التعبير	د. السيد شعيب	٥٨٨	٩٨
٩	سيدي العالم	محمد رامز الحموي	٥٨٩	٩٨
١٠	الإصلاح ضرورة دعوية واجتماعية وحياتية	د. إبراهيم نويري	٥٩٠	٩٨
١١	الحج عبادة الأمة	السنوسي محمد	٥٩١	٩٨
١٢	العمران البشري	د. خالد راتب	٥٩٢	٩٦

متنوع

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١	التفاعل الاجتماعي وتشكيل الشخصية	الزبير مهداد	٥٨١	٦٨
٢	الحب لغة الإسلام	عمر تدرارني	٥٨١	٧٦
٣	ضغط الدم.. القاتل الصامت	منى الموجي	٥٨١	٨٤
٤	حوار مع الخطاط المغربي محمد أهري	بشرى شاكر	٥٨١	٨٧
٥	طور نفسك	سلمان الكندري	٥٨١	٨٨
٦	النفاق الاجتماعي وخطره على الأمة	د. خالد راتب	٥٨٢	١٦
٧	السمنة وأعراضها	د. محمد عزيز الرحمن القاسمي	٥٨٢	٧٨
٨	أبي.. لسنا في ثكنة عسكرية	عبدالرحمن ضاحي	٥٨٢	٨٠
٩	عسل النحل.. فوائد غذائية وعلاجية لا حد لها	منى الموجي	٥٨٢	٨٤
١٠	تذكر أنك بشر	د. سلطان السهو	٥٨٢	٨٧
١١	القيم في الإسلام.. سورة الحجرات نموذجا	د. مراد زهوي	٥٨٣	٨
١٢	التاجر القدوة	رشيد الحسن	٥٨٣	١٧
١٣	معاني القعود في القرآن الكريم ودلالاتها التربوية	د. مصطفى رجب	٥٨٣	٦٤
١٤	إدارة الرقابة الشرعية الداخلية في الشركات	د. سلطان السهو	٥٨٣	٨٥
١٥	الماء.. فوائده الصحية والجمالية	منور عثمان	٥٨٣	٨٦
١٦	كتابة التاريخ الإسلامي ودعوات التنقية	د. أحمد الشال	٥٨٣	٨٨
١٧	شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعدالله	ياسين كتاني	٥٨٤	٩

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
١٨	الشدياق صاحب الجوائب	علاء عبدالفتاح	٥٨٤	١٧
١٩	الدكتور حسنين محمود.. الأصولي الفقيه في ذمة الله	التحرير	٥٨٤	٥١
٢٠	الحياة مدرسة	إحسان الدبش	٥٨٤	٦٠
٢١	نظم المعلومات.. والرقابة الشرعية في الشركات	د. سلطان السهو	٥٨٤	٦٣
٢٢	أغذية الخمول والكسل	منى الموجي	٥٨٤	٧٤
٢٣	المدرسة الصولتية	د. محمد سعيد صمدي	٥٨٤	٨٢
٢٤	التفتيش والتصنيف ونقد الأصول	د. أحمد الشال	٥٨٤	٨٧
٢٥	مرض السكر	د. محمد عزيز الرحمن	٥٨٥	١٣
٢٦	أدب العلماء مع الله	رشيد الحسن	٥٨٥	١٤
٢٧	تجليات حفظ الشريعة لمقصد المال	د. أمينة مزيغة	٥٨٥	١٦
٢٨	١٠ طرق لمواجهة الإحباط واليأس	د. آندي حجازي	٥٨٥	٦٤
٢٩	محكمة المياه في بلنسية	محمد إلهامي	٥٨٥	٧٦
٣٠	كيف يتجنب المستهلك التأثير على نفسيته؟	بشرى شاكر	٥٨٥	٧٨
٣١	القراءة المتذوقة والفهم الصحيح	د. أحمد الشال	٥٨٥	٨١
٣٢	طور نفسك	سلمان الكندري	٥٨٥	٨٨
٣٣	العدل ومكانة الإنسان في الإسلام	يسري عبدالغني	٥٨٦	٦
٣٤	المواطنة من المنظور الإسلامي	رسمي عجلان	٥٨٦	١٤
٣٥	خلف أسوار الخطأ	د. محمد علي يوسف	٥٨٦	١٦
٣٦	السرد القصصي في القرآن	حسين المحمد	٥٨٦	٦٨
٣٧	صياغة الإستراتيجية التنموية	هواري عبدالقادر	٥٨٦	٨١
٣٨	مدخل إلى دراسة تاريخ الصحابة	د. أحمد الشال	٥٨٦	٨٢
٣٩	الشعير غذاء ودواء وبركة	د. درويش الشافعي	٥٨٦	٨٦
٤٠	إعجاز الخلية الحية	د. عبدالرحمن النمر	٥٨٧	٥٠
٤١	كيف يسمو مجتمعنا بالإنسانية	أحمد هريادي	٥٨٧	٦٢
٤٢	مطارق العسرة.. ومقامات الإيمان	د. خالد راتب	٥٨٧	٦٦
٤٣	محمد قطب في ذمة الله	التحرير	٥٨٧	٦٩
٤٤	الشعب النموذج	إسلام مهدي	٥٨٧	٧٥
٤٥	الشيخ لحبيب فارس	د. محمد مراح	٥٨٧	٨٢
٤٦	محدودية السياحة البينية بين الدول الإسلامية	عبدالحافظ الصاوي	٥٨٧	٨٤
٤٧	مقاومة السكري	د. محمد القاسمي	٥٨٧	٨٧
٤٨	طور نفسك	سلمان الكندري	٥٨٧	٨٨
٤٩	المخطوط العربي يستشرف المستقبل بتراث الأجداد	دار الإعلام العربية	٥٨٨	٦
٥٠	الشيخ رواس قلعجي والعلامة محمد هشام البرهاني	التحرير	٥٨٨	١٣
٥١	كسر الحاجز	مياسة النخلاني	٥٨٨	٦٤

م	الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
٥٢	فرانكشتاين في بغداد .. للروائي أحمد سعداوي	محمد أبو السعود	٥٨٨	٦٦
٥٣	نادر النوري في ذمة الله	التحرير	٥٨٨	٧٣
٥٤	التسامح والحلم مهارتان نكتسبهما	بشرى شاكر	٥٨٨	٨١
٥٥	العواصف الغبارية	محيي الدين عواد	٥٨٨	٨٤
٥٦	رمضان والدعاء	علاء الدين حسن	٥٨٩	٩
٥٧	الفرق بين المعجزة ودلائل النبوة	د. سامي عطا حسن	٥٨٩	١٢
٥٨	التشاؤم..	د. محمد نور العلي	٥٨٩	٢٠
٥٩	ترحيل المسؤولية.. الخطر الأكبر	د. خالد راتب	٥٨٩	٣٤
٦٠	التربية الجمالية في الإسلام	د. صهيب مصباح	٥٨٩	٨٤
٦١	كنزان تراثيان في حضرموت	حسين العيدروس	٥٨٩	٨٦
٦٢	كنوز الذاكرة	أحمد حسن الزيات	٥٨٩	٩٠
٦٣	الشخصية الحدية.. سماتها وعلاجها	بشرى شاكر	٥٩٠	٦٤
٦٤	التربية الزراعية في ضوء القرآن الكريم	د. مصطفى رجب	٥٩٠	٧٦
٦٥	الجمعية الجغرافية المصرية.. صرح عالمي يوثق الزمان والمكان	فيصل يوسف العلي	٥٨٩	٨٠
٦٦	الإمام تشنغ كه لي.. التزام بالحق	د. يونس الصيني	٥٩٠	٨٤
٦٧	الإدارة المكتبية عند الرواد المسلمين	د. أشرف صالح	٥٩٠	٨٨
٦٨	كنوز الذاكرة/ بلاط الشهداء	محمد عبدالله عنان	٥٩٠	٩٠
٦٩	لغة الجسد في القرآن الكريم	صلاح رشيد	٥٩١	٦٧
٧٠	الاقتصاد الإسلامي الأخضر	د. عادل غلام	٥٩١	٨٠
٧١	ماذا يريدون من وراء نشر الإلحاد	عبدالباقي نعيم	٥٩١	٩٠
٧٢	العطاء في القرآن	د. محمد سعيد باه	٥٩٢	٨٨
٧٣	التفسير والحديث.. وبداية الانفصال	عبدالعزيز فارح	٥٩٢	٢٠
٧٤	تأريخ موسم الحج في البيت المقدس	التحرير	٥٩٢	٢٣
٧٥	العقيدة.. ودورها في التنمية الاقتصادية	أحمد العبادي	٥٩٢	٨٢